شمال بلاد العرب

مجموعة دراسات تحليلية للنصوص
المتعلقة بالخريطة التاريخية للجزء
الشمالي من شبه جزيرة العرب

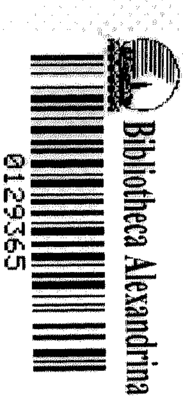
"١"

شمال الحجاز

أ. موسل
أستاذ الدراسات الشرقية بجامعة براغ

نقله الى العربية

الدكتور عبد المحسن الحسيني



مؤسسة الثقافة الجامعية
بالإسكندرية

شمال بلاد العرب

مجموعة دراسات تحليلية ، للنصوص المتعلقة بالخريطة التاريخية ، للجزء الشمالي من شبه جزيرة العرب



«١»

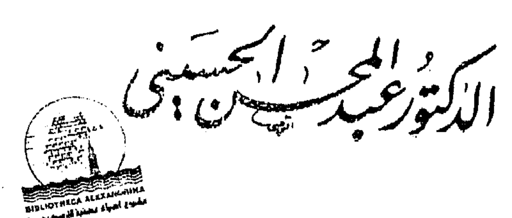


شمال الحجاز

ا . موسل

استاذ الدراسات الشرقية بجامعة براغ

نقله الى العربية



الدكتور عبد المحسن الحسيني

مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع

٤٠ ش د. مطيع شرقة . اسكندرية ت / ٤٨٣٥٢٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

« مقـــدمه »

ان دراسة الأدب العربى القديم ، وأصول الحضـــارة العربية الاولى دراسة" ناقصة" ما لم تعتمد على التفهم الدقيق للبيئة الجغرافية التى نشأ فيها ذلك الأدب والتى امتـــدت فيها الجـذور البعيدة لتلك الحضــارة . وطريقتنا لتفهم البيئة الجغرافية التى نشأ فيها هذا الأدب والتى امتدت فيها جذور الحضارة العربية تعتمد على تخطيط خريطة تاريخية لجزيرة العرب ؛ تبدأ من أقدم العصور حتى عصرنا الحديث .

ولقد أدرك بعض العلمـــاء هذه الحقيقة فأخذوا يعدون المواد التى تدخل فى تأليف تلك الخريطة المعقدة ، كل" واحد منهم فى ميدانه الخاص . فمنهم من اهتم بالنصوص العربية محاولا أن يستخلص منها مادة لتأليف هذه الخريطة ابان العهد العربى الاسلامى . ومنهم من اهتم بالنصوص اليونانية الرومانية أو بالنصوص السامية : ما كان منهـــا شماليا أو جنوبيا ، شرقيا أو غربيا محاولا أن يستخلص منها المواد التى تدخل فى تأليف هذه الخريطة ابان عهودها المختلفة .

ومن بين المحاولات الحاسمة فى هذا الصدد تلك المحاولة التى قام بها ألويس موسل Alois Musil أستاذ الدراسات الشرقية بجامعة براغ ؛ فقد جمع كل المواد التى تتعلق بشمال الجزيرة العربية « شمال خط العرض ٤٠َ ٢٦° » سواء ما كان منها فى النصوص العربية أو ما كان فى غيرها من النصوص السامية أو اليونانية الرومانية . ثم أخذ فى مقارنة هذه النصوص وتفسيرها على ضوء الظواهر الطوبوغرافية لهذه المنـــطقة لتحقيق مواقعها تمهيدا لوضعها على خريطة تاريخية .

ولقد اقتضاه ذلك ارتياد هذه المنطقة وتخطيط خريطة لها جمع فيهـــا كل ما وصل الى علمه من أسماء الأعـــلام والأماكن ليستعين به فى تعيين مواضع الأعلام التى وردت فى نصوصه التى جمعها . وفى سبيل ذلك قام بسلسلة من الرحلات فيما بين عامى ١٨٩٦ ، ١٩١٥ . بدأها فى عام ١٨٩٦ بارتيـــاد الجـــزء الذى كان يعرف قديما باسم بـــلاد العرب الحجرية

Arabia Petraea وانتهى منه فى عام ١٩٠٢ ثم ثنى بعد ذلك بارتياد بادية الشام عام ١٩٠٨/١٩٠٩ وتوغل فيها حتى تدمر . وفى عام ١٩١٠ قام برحلته الثالثة وارتاد الجزء الشمالى من الحجاز . وفى عام ١٩١٢ قام بالرحلة الرابعة وفيها ارتاد اقليم تدمر مرة ثانية وخرج منه الى أواسط الفرات والجزء الجنوبى الشرقى من بادية العراق . وفى عامى ١٩١٤ ، ١٩١٥ قام بالرحلة الأخيرة وارتاد فيها الجزء الباقى من بادية العراق وبادية السماوة والجزء الشمالى من نجد .

ولقد كانت محاولاته هذه عملا مزدوجا : فقد حاول أولاً أن يسجل الصورة الحديثة للجزء الشمالى من الجزيرة العربية راسما له خريطة تخطيطية حديثة مبينا عليها كل ما انتهى الى علمه من أسماء المواقع والأماكن ليستعين بذلك فى تحقيق مواده التى جمعها للخريطة التاريخية . فكانت غايته من هذا العمل الأول غاية تاريخية ولم تكن غاية طوبوغرافية . وبعد أن انتهى من هذا العمل ثنى بالمحاولة الثانية وهى تحقيق المواد التى جمعها من النصوص المختلفة مفسرا لها شارحا اياها ليتمكن من تعيين أماكنها على الخريطة الحديثة مبينا الصلة بين الأسماء القديمة التى كانت تعرف بها الأعلام والأماكن فى العصور المختلفة وبين الأسماء الحديثة التى تعرف بها الآن فى عهدنا الحاضر . والمحاولتان واضحتا المعالم فى تآليف موسل اذ نجد أن مجموعته التى أصدرها تباعا عن رحلاته هذه يتكون كل جزء منها من قسمين واضحين : القسم الأول منهما وصف للرحلة وتأليف" للعناصر التى تتكون منها الخريطة الحديثة . والقسم الثانى هو التحقيقات العلمية التى انتهى اليها فى تحديد المواضع الخاصة بالأماكن القديمة — التى ترد فى نصوصه التى جمعها — معينا مواقع هذه الأماكن على الخريطة الحديثة التى أخذ فى تخطيطها .

ولقد نظرت فى القسمين فوجدت أن القسم الأول عمل أصيل لم يسبق اليه . ووجدت أن القسم الثانى ضرب من العمل العلمى الدقيق اقتضاه معرفة واسعة بالنصوص السامية والعربية واليونانية الرومانية كما اقتضاه من الصبر والجهد ما لايتاح الا للقلة النادرة من الباحثين فقد أنفق

أكثر من ثلاثين عاما فى جمع بعض أجزاء من المواد الخاصة بهذا القسم فكان عمله فى هذا فريدا فى نوعه وقد زاد من قيمته أنه لم يقف عند حد الجمع والاستقصاء فحسب بل أخذ فى تحقيق هذه المواد وتفسيرها . فكشف فى تفسيره وشرحه لهذه المواد عن صورة حية واضحة فى معالمها الرئيسية كانت تحياها الجزيرة العربية — وخاصة الجزء الشمالى منها — خلال العصور المتتابعة للتاريخ . وكشف لنا بتفسيراته هذه عن بعض من الأصول الأولى للحضارة العربية .

لذلك رأيت أن أنقل الى لغتنا العربية ما انتهى اليه موسل من النتائج والأبحاث فى هذا الميدان لنتخذ منها أساسا نبنى عليه ثم لنستكمل ما بدأه حتى تتمه ولنمضى فى الطريق من حيث وقف حتى نصل الى غايتنا التى ننشدها . ولكنى رأيت أن القسم الأول على قيمته وأصالته قد تكون لنا مندوحة عن نقله الى العربية على صورته التى ظهر بها . فقد ظهر فى صورة رحلة يصف فيها المؤلف انتقالاته من مكان الى مكان ليقدم لنا بعد كل مرحلة من المراحل فصلا جديدا نضيفه الى خريطته التى يعمد الى تكوينها . ورأيت أن هذا القسم يمكن الاستغناء عنه تماما بالخريطة التى انتهى اليها المؤلف أخيرا والتى ضمنها جميع مراحل رحلته . فهذه الخريطة هى تلخيص واضح دقيق لجميع ما ذكره المؤلف فى القسم الأول من كل جزء من الأجزاء التى تكون سلسلة تأليفاته . وعلى العكس من ذلك فقد وجدت أن القسم الثانى وهو قسم التحقيقات العلمية لايمكن لنا الا أن ننقله كما وضعه المؤلف وكما أراده أن يخرج . فترجمته الى العربية على حالته . وبدأت بالمجموعة التى ظهرت فى اللغة الانجليزية فترجمت الجزء الخاص بشمال الحجاز وهو أولها . وسأثنى بعد ذلك — ان شاء الله — بالجزء الخاص ببادية العرب وهو ثانيها . ثم أتبعه بعد ذلك بالجزء الخاص بأواسط الفرات وبادية العراق وهو ثالثها . ثم يأتى بعد ذلك الجزء الخاص بتدمر وهو الرابع . ثم أتبع ذلك — بمشيئة الله — الجزء الخاص بشمال نجد وهو الخامس . أنقل من كل ذلك القسم الثانى فقط وهو التحقيقات العلمية . ثم أختتم هذه السلسلة بالخريطة العامة الشاملة لجميع هذه المناطق والتى

أعتبرها تلخيصا وافيا دقيقا لكل ماورد فى القسم الأول من كل جزء من أجزاء هذه السلسلة . وأفرد لهذه الخريطة جزءا خاصا أتناول فيه تفصيل أجزائها ووصف أقسامها ، معتمدا على ما قدمه لنا موسل فى هذا السبيل من مادة مفصلة مسهبة ؛ وان كنت أرجو أن أوفق فى عرضها عرضا يتناسب مع الغاية العلمية التى أنشدها ؛ وذلك بالتخلص من التفصيلات الخاصة بالرحلة وأخبارها ؛ والاقتصار على مافى أخبار هذه الرحلة من وصف علمى .

أما مؤلف موسل الخاص ببلاد العرب الحجرية Arabia Petraea والذى ظهر فى اللغة الألمانية عام ١٩٠٧/١٩٠٨ فانى أرجو أن يكون عملى هذا الذى شرعت فيه حافزا لأحد الزملاء الذين يجيدون الألمانية كى يعاون فى نقل هذا المؤلف الى العربية لتستكمل لغتنا جميع الأجزاء الخاصة بالجزء الشمالى من بلاد العرب من مؤلفات موسل .

وانى أسأل الله أن يؤيدنا بعونه وتوفيقه كى نتمكن من انجاز غايتنا هذه ، انه ولى التوفيق ، ونعم المولى ونعم المعين .

اسكندرية ١٩٥٢ — عبد المحسن الحسينى

الموضـــــوعات

« معان »

١ — معان ومعون

خلال الألف الأولى قبل الميلاد كان الجزء الأعظم من التجارة العالمية فى بلاد العرب واقعا فى يد السبئيين والمعينيين الذين كانوا يسيطرون على الجزء الجنوبى الغربى من الجزيرة العربية . وكان السبئيون والمعينيون أبناء جنس واحد ، ولكنهم كانوا يتنافسون السيادة لا فى بلادهم فحسب ، بل فى الواحات التى تمر بها الطرق التجارية أيضا . فكانت تقيم فى كل واحة من الواحات المهمة — التى تقع على طول الطريق التجارى — جالية من عرب الجنوب ، وكان يقيم مع هذه الجالية مقيم من أهل الجنوب كذلك ، وكانت مهمته الاشراف على ملوك الاقليم ورؤسائه ومراقبتهم لكى لايفعلوا شيئا من شأنه أن يضر بمصالح سيده السبئي أو المعينى الذى قد يكون على رأس المملكة الجنوبية السبئية أو المعينية تبعا لاختلاف العهود التاريخية . ولدينا مثل من ذلك محقق فى واحة ديدان بالقرب من العلا . فحكام سوريا وملوك آشور الذين كانوا يقيمون بعيدا فى منطقة نائية عن طريق التجارة الرئيسى لم يعنوا أنفسهم بتفهم النظم السياسية المختلفة للواحات المتفرقة التى كانت تقع على طول هذا الطريق ، فلم يهتموا بالمفاوضات مع الملوك المحليين للاقليم وأشرافه بل اتجهوا فى ذلك الى المقيم الجنوبى الذى كان معروفا لديهم باشرافه على الاقليم ، وكانوا يخلطون بينه وبين الملك الجنوبى — الذى كان هذا المقيم يعمل فى خدمته — فذكروا اسمه كما لو كان هو الملك الجنوبى . وان هذا ليفسر لنا الاشارات التى ترد فى الوثائق السريانية والعبرية عن السبئيين ، وتذكرهم كما لو كانوا يقيمون فى الجنوب الشرقى للبحر

الميت ، كما يفسر لنا كذلك كيف أن هذه الوثائق قد أهملت ذكر الواحات الكبيرة التى كانت تقع فى تلك المنطقة أو أنها لاتذكرها الا نادرا وفى منطقة أخرى غير التى تقع فيها .

ففى النصف الثانى من القرن الثامن قبل الميلاد توغل الجيش الآشورى فى الاقليم الواقع حول واحة معان ثم تقدم أكثر من ذلك نحو الجنوب ؛ ومع ذلك فان الوثائق الآشورية لاتشير الى هذه الواحة اطلاقا . ونستطيع أن نفسر ذلك تفسيرا واضحا اذا فرضنا أن هذه الواحة كانت ملكا لأصحاب الطريق التجارى وهم سادة الجنوب من السبئيين ، كما كانت كذلك واحة ديدان العظيمة التى لانجد لها اشارة فى الوثائق الآشورية أيضا . فكلتا الواحتين كانت تندرج تحت اسم « سبأ » لأن المقيم السبئى هو الذى كان يدير دفة الأعمال فيهما .

٢ — معون ومَعون فى التوراة

وردت فى العهد القديم مجموعة من الاشارات تتصل بقبيلة مَعون وبسكان معون . ونستطيع أن نقرأ اسم هذه المحلة فى النص العبرى بسهولة كما لو كانت مَعون . ويلوح أن هذه الاشارات مستقاة من مصادر مفصلة دقيقة ؛ فبالرغم من أنها تتضمن اشارات لأماكن لايرد ذكرها فى غيرها فانها تكون متفقة تمام الاتفاق مع الوصف الطوبوغرافى للاقليم الذى تقع فيه . وانى أعتقد أن لفظ معون ومَعون انما يقصد به سكان واحة معان وما جاورها . أما أن يكون اسم مَعون مشتقا من اسم معين فهذا ما لا أستطيع الجزم به لأن كلا الاسمين سامى أصيل وكلاهما يصادفنا فى الشمال الغربى لجزيرة العرب .

ويذكر سفر القضاة « ١٠ : ١٢ » أن المعونيين والعمالقة كانوا يضايقون بنى اسرائيل . وبلاد العمالقة كانت تقع فى جنوب مملكة يهودا نفسها ، فى الاقليم الذى كان يمر فيه طريق التجارة العظيم الذى يصل بين واحة معان وبين غزة ومصر خلال ممر النمالة . فمن الواضح اذن أنه كانت بينهم وبين أهل معان علاقات اقتصادية وسياسية وربما استطاعوا

أن يعقدوا معهم حلفا للاغارة على القبائل الاسرائيلية الواقعة الى الجنوب والتى ربما هددت الطريق التجارى • والترجمة السبعينية تخلط بين معون ومدين وتذكر مكانها فى الجنوب الشرقى للبحر الميت •

والاشارة الهامة بهذا الصدد تلك التى ترد فى سفر الأيام الثانى « ٢٠ : ١، ١٠، ٢٢ » فتذكر أن يهوشافط ملك يهودا « ٨٧٣—٨٤٩ق٠م » قد شن الحرب على بنى مؤاب وبنى معون والعمونيين فساروا اليه على طول الساحل الجنوبى للبحر الميت • وتشير العبارة الى أهل معون كأنهم قد قدموا من منطقة جبل سعير • وتحديد هذه المنطقة يصدق على الاقليم الذى تقع فيه واحة معان • فهذه الواحة تقع فى أقصى المدى الشرقى لجبل سعير وكان ينتهى اليها طريقان من أهم طرق التجارة ، ولذلك فقد كان من المحتمل الى درجة بعيدة أن يكون بنو معون على صلة من الصداقة وثيقة بأهل جبل سعير ؛ وأنهم قد أعانوهم فى حملتهم ضد يهوشافط • وأكثر من ذلك ؛ فان يهوشافط كان يحاول أن يعيد التجارة البحرية الى ميناء عصيون جابر التى تقع فى نهاية الذراع الشمالى لخليج العقبة الى الشمال من مدينة ايلات • فاذا كان قد تمكن من السيطرة على عصيون جابر فانه قد سيطر ولابد على الاقليم الذى تمر فيه احدى شعبتى الطريق التجارى التى تصل بين معان وغزة ، مما يدل على أن مصالحه كانت ولابد متعارضة مع مصالح أهل معون •

ووفقا لما ورد فى سفر الايام الثانى « ٢٦ : ٧ » فان الملك عزّيّا « ٧٧٩ / ٧٤٠ ق • م » قد حطم العرب الذين كانوا يسكنون فى جور بعل كما حطم أهل معون • ويفهم من النصوص المقدسة أن هؤلاء العرب كانوا يسكنون فى الاقليم الواقع فى الجنوب والجنوب الشرقى من البحر الميت أى فى نفس هذا الاقليم الذى تقع فيه واحة معان • وكذلك فان الوثائق التى تتناول المسائل السياسية والاقتصادية فى زمن عزيا توجه نفس الاتجاه • فوالد عزيا وهو أمصيا قد أخضع أهل أدوم وسعير « سفر الايام الثانى ٢٥ : ١٤ » وقد استفاد عزيا من هذا الانتصار فبسط سلطانه فوق ميناء ايلات وهى المعروفة اليوم بالعقبة • وهذا

الحادث يدل على أنه كان ولابد الحاكم المسيطر على جميع الاقليم الشرقى لشبه جزيرة سيناء وأخدود العرَبة الى حيث تمتد حدود أدوم الحقيقية عند سفوح جبل سعير ؛ اذ بدون ذلك لايتمكن من أن يؤمن المواصلات الى ايلات .

ولما تم لعزيا تمكين سلطانه فى الجزء الشرقى من شبه جزيرة سيناء وفى ميناء ايلات فانه قد بسط سلطانه على شعبتين من أهم شعب الطريق التجارى العالمى الذى يصل جنوب بلاد العرب بسوريا ، وحينئذ فقد أصبح كما كان سلفه يهوشافط على صلة ما بحكام واحة معون ، صلة قد يسودها الود أو قد يشوبها العداء . فعند هذه الواحة كان يبدأ الطريق التجارى فى تفرعه ، فتذهب شعبة منه الى غزة وتذهب الأخرى الى ايلات . وقد كان سهلا على عزيا أن يسيطر على الشعبة المؤدية الى غزة أكثر من السيطرة على تلك المؤدية الى ايلات . ولكن هذه الشعبة الأخيرة كانت أهم من الأولى بالنسبة لأهل معون لأنها كانت تصلهم بمصر وتمكنهم من مجانبة حدود يهودا كما كانت تمكنهم من الوصول الى غزة الفلسطينية اما عن طريق الجنوب أو عن طريق الجنوب الغربى . وحين أنشأ سليمان وعزيا التجارة البحرية لايلات فان سادة المملكة الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية قد كان لهم ولابد مصالح تجارية هناك ، فالبضائع التى كانت تنقل الى ايلات بحرا كان يرسل شطر منها الى مصر ويرسل الشطر الثانى الى سوريا ؛ وكان المركز الرئيسى لتجارة دمشق والموانى السورية الكبيرة هو واحة معان فقط ؛ ولم يك ممكنا أن يكون فى غيرها فعندها كان ينتهى طريق التجارة الذى يخرج من ايلات مارا خلال وادى اليتم . فكان هذا الطريق يسير أسفل جبل الشراة ثم يصعد هذا الجبل خلال ممر شتار ويستمر الى الشرق خلال ذلك الاقليم الذى كان عامرا فيما مضى ثم يصل بعد ذلك الى واحة معان . وطالما أن عزيا لم يسيطر على هذا الطريق فانه لايكون سيد تجارة ايلات لأن السفن كان فى استطاعتها أن تفرغ حمولتها عند خليج العقبة ثم تنقلها القوافل خلال طريق النقل الرئيسى

الى معان • ولما استطاع عزيا أن يسيطر على هذه الشعبة من الطريق الواصلة بين ايلات ومعان فقد استطاع أن يتحكم فى المواصلات بين الجنوب وبين معان ومن ثم فقد استطاع أن يرغم أهل معون على أن يدخلوا معه فى نوع من الاتفاقات •

ووفق تفسيرنا للاشارة السابقة فان عزيا كان يحاول السيطرة على شعبة الطريق الواصلة بين ايلات ومعان فهو قد شن الحرب لذلك ضد أهل معون وعرب جور بَعَل • وهذا الاسم الأخير يرد فى نسخ أخرى (codex Amiatinus (c. de Tischendorf) بلفظ « طور بعل » والكثير يفضل أن ينطقة « صور بعل » ولكن الافضل أن ينطق « جور بعل » فان كلمة « جور » هى الكتابة العبرية لكلمة « قور » والتى تعنى الآكام والصخور والتى يوجد منها الكثير فى تلك المنطقة الى الشرق والشمال الشرقى والجنوب الشرقى من ايلات وتمتد حتى سفح جبل الشراة • وهذم الصخور لاتوجد فى الشمال ولا الشمال الغربى من ايلات • ويرتفع قور جبل ارم بين هذه الصخور غير بعيد من شعبة الطريق التجارى الواصلة بين ايلات ومعان • وقد ورد اسم هذا الجبل فى الأخبار الإسلامية فتذكر أنه بالقرب منه أو عليه قد اتخذ أهل هذا الاقليم معبدا لبعل ومن هذا سمى بجور بعل • ونصوص التوراة تجعل اقليم جور بعل خاصا بالعرب وهذا يتفق تماما مع موقعه الى الشرق والشمال الشرقى من ايلات لأن معظم نصوص التوراة تحدد مساكن العرب بالاقليم الشرقى والجنوبى من أدوم القديمة •

وأكثر نصوص العهد القديم افاضة فى التفاصيل الخاصة بأهل معون يرد فى سفر الايام الاول « ٤ : ٣٩/٤٣ » • ففى عهد حزقيا ملك يهودا « ٦٩٩/٧٢٧ ق • م » فان بطونا كثيرة من قبيلة شمعون هاجرت وامتد بها السير الى مدخل جَدُور عند شرقى الوادى الى أبعد مايستطاع من شرقى جائى وذلك انتجاعا للكلأ والمرعى لماشيتهم فوجدوا مرعى خصيبا وكان الاقليم من كلا جانبيه واسعا آمنا • وقد كان هذا الاقليم من قبل مسكنا لآل حام فجاء رجال شمعون وهدموا خيامهم كما هدموا كذلك

خيام أهل معون الذين كانوا هناك ثم استقروا فى أماكنهم • وبعد ذلك ذهب خمسمائة من رجال شمعون متابعين سيرهم بعد ذلك الى اقليم جبل سعير وهنـاك ذبحوا البقية الأخيرة من العماليق واستقروا مكانهم • والترجمة السبعينية لاتقرأ هـذا اللفظ على أنه « جدور » وانما تذهب الى أنه « جرَر » وأن جائى ترد فى الترجمـة كما لو كانت اسم العلم المعروف به الوادى • والنص جميعه يمكن تفسيره تفسيرا عاما فهو يعنى أن رجال شمعون هاجروا غربا الى مكان يمكن الوصول منـه الى جرر وأنهم قد وصلوا الى شرق وادى هاجّائى وهو الوادى الذى يفصل بين أرض الميعـاد وبين مصر والذى كان يقع فى حوزة الحاميين فيما مضى • والعبارة « والذى منـه يمكن الوصول الى جرر » لايظهر أنهـا خاصة بالتفسير السابق فقط لأن اقليم رجال شمعون كان يخترقه كذلك طريق يؤدى الى جرر • والأماكن التى كانوا يسكنون فيهـا كانت تقـع الى الشرق من الوادى الفـاصل الذى كان معروفا دائما باسم نهل لا باسم جائى وعلى مسافة سبعين كيلا الى الشرق من الوادى الفاصل فان الاقليم عامة يكون قاحلا تغطيه الرمال ولايحوى الا القليل من المـاء والكلأ • وانه من الصعب اذن أن تتبين لماذا هاجر رجال شمعون الى اقليم قاحل كهذا الاقليم • بل أكثر من ذلك فانه وفقا لهـذا التفسير فان قسما من رجال شمعون قد تركوا منازلهم الجديدة بالقرب من الوادى الفـاصل واتجهوا الى اقليم جبل سعير الذى يبعد على الأقل نحو مائتى كيل الى الجنوب الشرقى على الرغم من أن النص يفهم منـه أن جبل سـعير كان قريبا من مضارب رجال شمعون •

والأصل العبرى للترجمة السبعينية يذكر الاسم بلفظ « جـدور » ولكنهم يقرأون « الدال » « راء » كمـا يظهر ذلك أيضا فى كثـير من الأماكن الأخرى • والنص العبرى يحوى أسـماء الأماكن « جـدور » و « جائى » و « سعير » • و « جدور » — كما أظن — هى نفس المكان الذى يذكر فى العربية باسم « كِذار » «المسعودى : التنبيه والاشراف — ط دى غوية ص ٣٣٨ » والذى يعرف حاليا باسم « كذور » • فالكاف

العربيـة تترجم دائما فى العبرية « جيما » وهـذا الاسم هو اسم الجزء
الجنوبى الشرقى من جبـل الشراة أو جبل سعير القـديم وكذلك فهو
الإسم الذى يطلق على خرائب المغيرة أيضا ، ووفقا لتفسيرنا هـذا فان
« جدور » تنتهى حدودها عنـد سعير أو انهـا تقع فى القسم الجنوبى
الشرقى منه ، أما اسم المكان جائى فهو يتصل بالاشـارة التى يذكرها
بطليموس فى جغرافيته « ٦ — « ٧ : ٢٩ » » اذ يذكر مكانا باسم «جايا»
Gaia وان كان يضعه فى « بلاد العرب السعيدة » Arabia Felix بدلا من
أن يضعه فى « بلاد العرب الحجرية » Arabia Petrae ، ولكن ليست هـذه
هى المناسبة الوحيدة التى يخلط فيهما بطليموس بين الاقليمين ، ويضـع
بطليموس مدينة Gaia فى المنطقة الواقعة الى شمال تيماء وهذه المنطقـة
منطقة قاحلة لم تنشأ بها مدينة على الاطلاق ، أما جلوكس Glaucus فهو يشير
فى كتابه آثار بلاد العرب Arabia Antiquities الى مدينة جيا Gea على أنها
قريبة من بترا ، (Stephen of Byzantium : Ethnica «Meineke» vol 1. P200)
وعلى كل فان كلا من بطليموس وجلوكس ربما ينقلنا الى الجزء الجنوبى من منطقة
جبل سعير حيث تقوم مساكن الجى al-Gi فى وسط أطلال مدينـة بترا
نفسها ويجب أن تكون هـذه البقعة هى نفسها التى تعنيها التوراة بلفظ
جائى ، وعلى مسافة سبعة وعشرين كيلا الى الشرق من الجى توجد واحة
معان فيكون سكان معون اذن هم سكان هذه الواحة قديما ، وان هذا
التحديد ليستقيم تماما مع مايفهم من التحديدات الأخرى ،

ونظرتنا هذه تتفق تمام الاتفاق مع مايفهم من نص آخر آشورى ،
ففى حكم الملك حزقيا كانت هنـاك محاولة من جانب الملك الآشـورى
العظيم سرجون الثـانى لاخضاع مصر ، وحدثت وقائع عـدة فى جوار
جرر والوادى الفاصل على حدود مصر ؛ لذلك فان رجال شمعون الذين
هاجروا لم يكونوا ليجدوا مسكنا آمنا هناك ، وقـد كان الحال على
عكس ذلك فى اقليم جدور ، ففى عام ٧١٥ ق ، م أرسل سرجون الثـانى
جيشه عبر الجزء الجنوبى من جبل سعير ومن ثم الى الجنوب على طول
الطريق الرئيسى للتجـارة الذى كان يسير بين سـوريا والجزء الجنوبى

الغربى لبلاد العرب : « (Cyl. Inscr. « Rawlson : Cuneiform vol 1 pl 36
1.20 Lyon: Keilschrift. P.4 - Peiser in: Schrader: Keilinschr. Bib. vol 2 P42)
ولقد حطم هذا الجيش مساكن القبائل التى كانت تسكن فى هذه المنطقة وأسر عددا كبيرا من رجالها ثم أرسلهم الى السامرة . فكثير من مضارب هذه القبائل وحماها قد أقفر من أهله . فمن المؤكد أن رجال شمعون قد تسامعوا بذلك فجاءوا الى هذه المنطقة واستوطنوها بعد جلاء الجيش الآشورى . « فساروا بعيدا حتى المكان الذى يمكن منه الوصول الى جدور بحثا عن المرعى لأغنامهم ؛ الى أقصى الشرق من جائى . » ووفقا لهذا النص فان الطريق الى جدور يمر خلال جائى . فيجب البحث عن موضع جدور — اذن — فى نفس اتجاه جائى . ولكن جائى حددت مكانتها عند شعبة الطريق الوارد من غزة ، غير بعيد من مساكن قبيلة شمعون الأصلية ، وهذه الشعبة هى التى تخترق ممر النمالة الى واحة معان حيث تتصل بطريق التجارة الرئيسى بين سوريا وبلاد العرب . ورجال قبيلة شمعون لابد وأن يكونوا قد مروا خلال هذه الشعبة من الطريق سائرين معها الى منتهى نقطة شرق جائى أو « الجى » كما تسمى حاليا . وهناك تركوا الطريق ثم تابعوا سيرهم جنوبا فى الطريق المؤدى الى جدور أو « كذور » كما تسمى حاليا أو « خرائب المتغيرة » .

ونصوص التوراة تذكر أن الحاميين كانوا يعيشون هناك قبلهم . والحاميون وأقرباؤهم من الكوشيين هم أقرباء للسبئيين . والتوراة تشير الى الكوشيين معتبرة اياهم سادة الطريق الرئيسى للتجارة وسادة الواحات المتفرقة التى تقع على طول هذا الطريق . وفى نهاية القرن الثامن كان السبئيون هم سادة هذا الطريق وكان مقيمهم يسكن واحة ديدان وكان يتولى الأعمال السياسية لا للمراكز السبئية حول الواحات — فحسب — بل لجميع القبائل العربية التى تقع على طول الطريق . وكان المستعمرون الجنوبيون يسكنون فى دور ثابتة كما كانوا يسكنون الخيام أيضا ، اذ كانوا من أهل المدر والوبر على السواء . وكانوا مضطرين الى أن يضربوا فى البادية لجلب ما يحتاجون اليه من الرواحل

لنقل تجارتهم • وعلى الطريق الى جـدور فان رجال قبيلة شمعون قـد حطموا بعض الخيـام التى كانت ملكا للكوشيين أو الحاميين ثم التقوا بعـد ذلك بأهل الحضر من معـان أو معون الذين هبـوا للدفاع عن اخوانهم • ولـكن سكان معون كانوا قـد أنهكوا مـن جراء غزوة الآشوريين ؛ كما كان كذلك جيرانهم سـكان الخيام الواقعة على الطريق فلم يكونوا جميعا قد أفاقوا بعد مما أصابهم ولذلك اضطروا الى التقهقر أمام رجال قبيلة شمعون الذين استقروا بدورهم فى المساكن التى غادرها أهلهـا الى الجنوب الغربى من واحة معـان • وقـد تابع بعض رجال شمعون سيرهم حتى نهاية الجنوب الغربى لجبل سعير حيث قضوا على البقيـة الأخيرة من العمالقة • وهكذا نجـد أن نصوص التوراة تؤيدنا فيما ذهبنا اليـه من أن قبيلة « مَعْون » وبنى « مِعون » هم أنفسهم سكان الواحة المعروفة الآن باسم معان •

٣ — معان عند المؤلفين العرب

ومؤلفو اليونان والرومان « الكلاسيكيون » لايشيرون اطلاقا الى واحة معـان ؛ ففى وقتهم كانت التجارة جميعهـا مركزة فى بترا • وأما المؤلفون العرب فيعرضون لذكرها ومن بين الذين ذكروها الاصطخرى فى كتابه مسالك الممالك « ط دي غوية ص ٦٥ » اذ يقول ان معان مدينة ومعقل فى اقليم الشراة • وانبنى أمية كانوا يسكنونها هم ومواليهم •

ويقول ابن حوقل فى كتابه المسالك « ط دى غوية ص١٢٤ » ان معان مدينـة صغيرة على شفير البادية سكانها بنو أميـة وفيهم لبنى السبيل مرفق ومغوثة •

ويقول البكرى فى كتابه معجم ما استعجم « ط فيستنفلد ص ٥٠١ ، ٥٤٩ » ان معان معقل منيع فى البلقاء على خمسة أيام من دمشق فى طريق مكة • ويقول ان فروة بن عمرو الجـذامى كان عاملا للروم على معـان وماجاوره ولما أسلمأهدى رسول الله صلىالله عليه وسلمبغلةبيضاءفلما بلغ الروم ذلك طلبوه حتى ظفروا به وقتلوه ثم صلبوه • وحدود قبيلة جذام

تمتد من الجنوب من لدن البقعة التى تشغلها الآن محطة السكة الحديد المعروفة بالمعظم حتى واحة معان شمالا ، وكان ممكنا لرئيس هذه القبيلة أن يسيطر على معقل الحدود المنيع الواقع فى هذه المنطقة المسماة بفلسطين الثالثة " Palestina Tertia " .

ويذكر حاجى خليفة فى كتابه جهان نما «ط استانبول ١١٤٥ هـ ص ٥٣٩» أن معقل معان المنيع تابع لاقليم الشراة ، وأن الذى أمر بانشائه وتجهيزه هو السلطان سليمان ولكن لايوجد به ماء جيد .

ووفقا لما ذكره محمد أديب فى كتابه المنازل « ط استانبول ١٢٣٢ هـ ص ٧٠ » فان واحة معان كانت تسمى « معال » وكانت تابعة لاقليم الشراة ، وفى هذا المكان الغنى معقلان أنشىء أحدهما فى عهد السلطان سليمان ، وفى الجنوب الشرقى من معان يوجد عدد عظيم من أشجار الشوك المعروف بام عياش وهذا النوع لايوجد فى شمال معان ، وفيما عدا هذا النوع من الشجر لاينبت شىء هناك ويتخذون من خشبه الذى يشبه خشب الأكاسيا مادة لجميع مايصنعون ، — ولعل محمد أديب كان يعنى بهذا شجر الطلح الذى ينمو فى الجنوب الشرقى من معان فى جميع الأودية هناك مهما كان حجمها ولكن لا ينبت شىء منه فى المنطقة الشمالية الشرقية .

« أرض عوص »

ووفقا لما ورد فى سفر التكوين « ١٠ : ٢٣ ، ٢٢ : ٢١ » فان قبيلة عوص ترجع فى أصلها الى الفرع الآرامى الذى يتصل بابراهيم . فيجب - اذن — أن نبحث عن ديار عوص فى هذه المنطقة التى تقع الى الشمال من فلسطين . ولكنا نجد أن سفر التكوين « ٣٦ : ٢٨ » وسفر الأيام الأول « ١ : ٤٢ » يذكران أن عوصا كان يرجع الى قبيلة ديشان التى تسكن جبل سعير وأنه انما كان فى أرض أدوم . كما نجد فى سفر المراثى « ٤ : ٢١ » أن الشاعر يدعو ابنة أدوم — التى كانت تسكن أرض عوص — كى تطرب وتفرح فستدور عليها الكأس وتسكر .

ويبدو أن بعضا من البطون الآرامية كان يسكن الى الشرق والى الجنوب الشرقى من البحر الميت فى وسط أقربائهم من أهل مؤاب وأدوم الذين كانوا يرجعون مثلهم الى الأصل الآرامى الذى يتصل بابراهيم . ولذلك فانه يجب علينا أن نعين موضع المكان الذى كان يسكنه أيوب — والذى يقع فى ديار عوص — فى المنطقة التى كانت تعرف باسم أدوم . ويعيننا على ذلك التحديد تلك الأخبار التى ترد عن أصدقاء أيوب الذين أتوا لعيادته كما يحدده كذلك ما وصل الينا عن أحوال معيشته .

كان أيوب أعظم رجال بنى المشرق « بنى قدم » شأنا « سفر أيوب ١ : ٣ » وكان يشتغل بالزراعة كما كان يعنى بتربية الأنعام من الثيران والأغنام والحمير والجمال فكان لذلك يسكن المنطقة الواقعة على التخوم بين الارض الممهدة للزراعة وبين الصحراء التى كانت ترعى جماله فيها . لذا نجد أن الكلدانيين يتمكنون من الاغارة على هذه الجمال وينهبونها « أيوب ١ : ١٧ » وقد كان السواد الأعظم من هؤلاء الكلدانيين يتخذ مساكنه ومضارب خيامه فى أرض بابل

نفسها فكانوا لذلك يستطيعون أن يشنوا الغارات على الاقليم الواقع فى شرق البحر الميت وفى جنوبه الشرقى — كما تفعل الآن بعض القبائل البدوية التى تسكن أرض العراق • وأكثر من ذلك فان العرب وجميع الملوك فى أرض عوص كانوا مهددين — وفقا لما ورد فى سفر أرميا « ٢٥ : ٩ ، ٢٠ » بالدمار والخراب الذى يُرسَل عليهم على يدى ملك بابل • فأرض عوص هذه يجب أن نضيفها — كما نرى — الى اقليم البادية •

ولقد عاد أيوبَ فى مرضه أربعةٌ من أصدقائه • وهؤلاء الأربعة هم : اليفاز التيمانى ، وبِلْدَدُ الشوحى ، وصوفرُ النعمانِىُّ « سفر أيوب ٢ : ١١ » ، واليهو البوزى « سفر أيوب ٣٢ : ٢ ، ٦ »

١ — تيمان

أما اليفاز التيمانى فان الترجمة السبعينية تذكر أنه ملك تيمان • اذ يرد فى سفر التكوين « ٣٦ : ١٥ ، ٤٢ » أن تيمان كانت امارة تتولاها قبيلة اليفاز المنحدرة من نسل عيسو « سفر التكوين ٣٦ : ١١ » كما نجد فى سفر التكوين « ٣٦ : ٣٤ » اشارة تدل على أن ملك أدوم المدعو « حرشام » يرجع فى أصله الى أرض تيمان • فنستنتج من هذا أن أرض تيمان يجب أن تكون ضمن حدود أدوم التى كانت مسكنا لأشتات من القبائل العديدة •

ويغلب على النصوص الواردة فى العهد القديم الاشارة الى اتصال أرض تيمان بمدينة بُصرى احدى مدن أدوم فقد كانت تيمان — فيما يظهر — تقع فى الجزء الشمالى الشرقى من أدوم •

وسفر عاموس « ١ : ١٢ » ينذ أهل تيمان بأن يرسل عليهم نارا فتأكل قصور بُصرى •

وفى سفر ارميا « ٤٩ : ٢٠ » ذكرٌ لما قضى به من وعيد على أهل أدوم وخص به أهل تيمان من بينهم • فيصور هذا العذاب « ٤٩ : ٢٢ » بنسر يرتفع الى السماء ويبسط جناحيه فوق بُصرى حتى تنخلع لذلك جبابرة أدوم خوفا وهلعا •

وكان أهل تيمان يسيطرون على سائر أهل أدوم لما اختصوا به من حكمة وشجاعة وسفر عوبديا « ١ : ٨/٩ » ينذر بابادة أهل أدوم ويخص بذلك أهل جبل عيسو فيرتاع أبطال تيمان الأقوياء ويصيبهم الخور والوهن فينقرض أهل جبل عيسو ويفنون مما يصيبهم من التقتيل والتمزيق . ويرد كذلك مثل هذا التهديد فى سفر أرميا « ٤٩ : ٧ » على صورة سؤال : « ألا حكمة بعد فى تيمان ؟ » ويعقبه الجواب : « بادت المشورة والنصيحة من جراء الحرص . وقد زالت الحكمة . » ثم يتلو ذلك انذار قوى : « فروا أو عودوا أدباركم أو اختبئوا فى الأخاديد العميقة أنتم يا أهل ددان لأنى مرسل عليه من العذاب ما أرسلت على عيسو » .

ومما يسترعى النظر أن نفس المصير الذى كان يهدد أهل تيمان كان يمتد حتى ددان . ومساكن أهل ددان كانت تقع فى الواحة التى تحمل نفس هذا الاسم « ديدان » وهى التى تعرف بالعلا وتقع على مسافة خمسة وعشرين وأربعمائة كيل الى الجنوب من أقصى حدود أدوم بينما كان يسكن أهل تيمان فى المنطقة الشمالية لأدوم فكانوا — لذلك — على مسافة لاتقل عن خمسة وعشرين وخمسمائة كيل من ددان . ولايظن أن العدو الذى يخضع تيمان سيكلف نفسه أعباء حملة شاقة خلال الصحراء مسيرة خمسمائة كيل كى يخضع ددان كذلك . ولا نجد فى المصادر التى اكتشفت حتى الآن مايدل على أن مثل هذه المحاولة المميتة قد تعرض لها أحد لذا يجب أن تتجه فى بحثنا الى أن نثبت أن أهل ددان كانوا على اتصال مباشر مع أهل تيمان . وكان ذلك الاتصال نتيجة لرحلات التجارة بينهما . فان ددان كانت تقع على الطريق الرئيسى للتجارة الذى يربط الجنوب الغربى لبلاد العرب بمصر وسوريا . وكانت كذلك مقر المقيم الذى يمثل تجار الجنوب من بلاد العرب والذى كان يرعى القوافل التى كانت تخرج من هناك كما كان يزودها بتعليماته . فالتهديد الذى نجده فى سفر ارميا « ٤٩ : ٧ » خاصا بددان انما كان المقصود به هو هذه القوافل التجارية المقبلة منها اذ كان يهددها أعداء تيمان . ونستخلص

من هذا كذلك أن الطريق الآتى من ددان الى سوريا كان يمر بأرض تيمان وأن أهل تيمان كان منوطا بهم تأمين هذا الطريق . واذا كان هـذا هو الشـأن فيجب أن نضع مساكن تيمان فى الجزء الشرقى من شـمال أدوم حيث يمر الطريق الرئيسى الذى يصل الشمال بالجنوب متجنبا الخوانق الضيقة والأخاديد العميقة التى تملأ الجزء الغربى من شمال أدوم . فلما حل الدمار بأهل تيمـان فان قوافل ددان أضحت بغـير حماية فكان من السهل على هذا العدو أن يحطمها أيضا وفى سفر حزقيـال « ٢٥ : ١٣ » نجد اشارة بنفس هذا المعنى فهو حين يتوعد أهل أدوم يقول وأمـد يدى على أدوم وأقطع منها الانسان والحيوان وأخليها من أهل تيمـان وأن أهل ددان يسقطون بالسيف . وتيمان فى هذا النص يقصد منها أدوم جميعا كما يقصد بددان الاقليم الذى كان يقع تحت حكم أمراء الواحة والذى كان يمتد حتى أدوم الجنوبية .

ويتضح من سفر حبقوق « ٣ : ٣ » أن طريقا عظيما للتجارة كان يمر خلال تيمان لأنه من هذا الطريق قد جاء الله حين أتى من تيمان « الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران » . فبعد أن خرج بنو اسرائيل من أرض مدين التى تقع على الحد الجنوبى لأدوم فانهم قد التزموا فى سيرهم الجانب الشرقى لأخدود العربة أو فاران القديمة ثم وقفوا عند خط العرض الذى نشأت عليه مدينة بترا بعد ذلك . ثم اتجهوا نحو الجنوب وأوغلوا فى الجزء الجنوبى الغـربى لجبل سعير حتى وصلوا الى أقصى حـدود مؤاب من قِبَل الجنوب سالكين فى ذلك الطريق التجارى ثم تقـدموا بَعْدُ على طوال الحـد الشرقى لأدوم حيث نضـع مكان تيمان . لذا استطاع حبقوق أن يقول : « ان الله جاء من تيمان والقـدوس من جبل فاران » .

وان أزيبيوس ليضع تيمان فى نفس هذه البقعة أيضا فيقول فى كتابه Onomasticon « نشرة Klostermann ص ٩٦ » ان تيمـــان هى أرض الأمراء من أدوم فى اقليم جِبَل وأن محلة تيمان لاتزال قائمة هناك على مسافة قدرها خمسة عشر ألفـا من الخطوات من مدينة بترا « يقـدرها

Jerome بخمسة آلاف فقط » وأن هذه المحلة يوجد بها فرقة رومانيــة وأن اليفاز ملك تيمان قـد أقبل منها كما أتى أحد أولاد اسماعيل وكان اسمه تيمان أيضا . — . والمسافة التى يذكرها ازيبيوس أو چيروم يجب ألا نضعها موضع الاعتبار فتقدير الأول يختلف عن تقدير الثانى . ويبدو أن چيروم قـد اعتمد فى تقديره على مصـدر آخر وعلى كل حال فمن الصعب أن نجزم بصحة أحد القولين خاصة وأنا نجد أن الاشارات التى ترد فى مؤلف ازيبيوس عن شرق أدوم تختلف مع الواقع اختـلافا بعيدا فنحن نعلم مثلا مكان ددان « ديدان » — التى تذكرها التوراة — على وجه من التأكيد التـام لايقبل الشك ، ولكنا نجـد أنه يحدد مكانها Omomasticon ص ٨١ » فى المنطقــة الشمالية مــن أدوم على مســـافة قدرها أربعة آلاف من الخطوات الى الشمال من فاران وذلك على الرغم من تعارضه مع ماورد فى التوراة ومع جميع الحقائق الأخرى .

وقد اكتشفت الناحية الشرقيــة من أرباض بترا بدقة الى مســافة قدرها عشرة آلاف من الخطوات ولم نجد فيها ذكرا لمكان يحمل اسما مشابها للفظ تيمان ولا بقـايا يمكن أن تكون بقـايا المعسكر الرومانى الذى كان بها . ومما ذكره ازيبيوس فان موقع تيمان يجب أن يكون فى النصف الجنوبى من أدوم على مسـافة ما من الطريق الرئيسى للقوافل بينما يجب أن تبحث عنها — وفقا للتوراة — فى النصف الشمالى وعلى نفس الطريق الرئيسى للقوافل . لذا يجب أن نفرض أنه فى زمن ازيبيوس كانت هناك محلة فى جبل تقع على الطريق الرومانى وتعرف باسم تيمان أو باسم آخر مشابه له . وكانت تقيم بهذه المحلة فرقة عسكرية رومانية وأن ازيبيوس كان يعلم أنها على مســافة قدرها ٥١٠٠٠ خطوة من بترا ولكن خطأ قد وقع عند نقل العدد « ٥١ » وهو الصحيح فصار « ١٥ » كما أخطأ چيروم كذلك فى نقله خطأ أشد من خطأ الأول فكتبه «٥» فقط .

ويذكر بلينى « التاريخ الطبيعى ٦ : ١٥٧ » أهل تيمان ضمن القبائل التى كانت تسكن داخل أرض الأنباط . ويقول أنهم كانوا يسمون تاڤينى Taveni ومما ذكره بلينى نجد أن الاسم القديم تيمانى Timanei قـد

حرّف تحريفا حديثا الى Taveni وهو اسم — نرى أنه قد حفظ حتى الآن فى اللفظ الذى يطلق الآن على تلك الخرائب المعروفة بالتوانه وهى تقع على مسافة ستة وخمسين كيلا الى الشمال من معان « أنظر Musil: Karte von Arabia Petrae » وهى تقع فى الجزء الشرقى من شمال أدوم على طريق القوافل الرئيسى الذى يربط الشمال بالجنوب والذى توجد به بقايا المعسكر الرومانى وبذلك يمكن الجمع بين النصوص التى ترد فى التوراة وبين تلك التى يذكرها ازيبيوس • فالأطلال المعروفة الآن بالتوان قد كانت المساكن الرئيسية لقبيلة تيمان التى يرد ذكرها فى التوراة والتى ينسب اليها اليفاز الصديق الذى أتى لعيادة أيوب •

٢ — شوح ونعما وبوز :

وصديق أيوب الثانى الذى أتى لعيادته وهو بلدد كان ينتسب الى قبيلة شوَح التى يرد ذكرها فى سفر التكوين « ٢٥ : ٢ » ضمن أولاد ابراهيم من زوجته قطورة • فقبيلة شوح تعتبر — اذن — من قبائل مدين الذين كانوا يملكون الاقليم الواقع على طول الطريق التجارى الآتى من ديدان مارا خلال أدوم الى سوريا • وكذلك فصديق أيوب هذا لابد وأنه كان يسكن فى الجوار الأدنى لأدوم •

وصوفر الصديق الثالث لأيوب — الذى يرجع أصله الى نعما — قد أتى من الجزء الجنوبى لأدوم • ولا نجد فى التوراة ذكرا لقبيلة نعما هذه فى غير هذه الاشارة • ونجد الترجمة السبعينية تضع فى مكان كلمة نعما كلمة أخرى هى Meinaion ومعنى هذا أنها تضيف قبيلة نعما الى المعينيين Minaens والظروف التى دعت اللغة اليونانية لعقد صلة بين المعينيين وبين قبيلة نعما هذه ربما تتضح اذا ذكرنا أن كلمة نعما قد نقلت عن كلمة رعمة الواردة فى سفر التكوين « ١٠ : ٧ » فان قبيلة رعمة قبيلة من أقارب سبأ وأقارب أهل ديدان فهى تعتبر — فى نظر التوراة — فرعا من فروع معين •

والصديق الرابع الذى زار أيوب هو اليهو « سفر أيوب ٣٢ : ٦،٢ »

وينتسب الى قبيلة بوز . ووفقا لما ورد فى سفر التكوين « ٢٢ : ٢١ » فان قبيلة بوز كانت ترجع الى نفس الأصل الذى يرجع اليه عوص . واذا اتخذنا الوثائق الآشورية أساسا لتحديد ديارهم فانا نتوقع أن نجد مدينتهم الرئيسية فى منخفض السرحان . فقد حفظ لنا اسم هذه القبيلة فى التسمية المحلية للمكان المعروف الآن باسم بيظ أو بيذ اذ كان يحيط به ولايزال بعض المساكن والحلل . وفى منطقة قبيلة بوز هذه كان يمر طريق القوافل الرئيسى الذى كان يصل بين بابل والخليج الفارسى وبين مصر وسوريا ولذا نستطيع أن نفهم كيف أن البوز قد هددوا بالتدمير على أيدى البابليين كما هدد أهل تيمان وددان « وديدان » كذلك « سفر ارميا ٢٥ : ٩ ، ٢٣ » .

وبما أن بعضا من أصدقاء أيوب قد أقبل من أدوم وبعضا آخر قد أقبل من الأماكن التى تقع حول دياره — القريب منها والبعيد — أو بعبارة أخرى قد أتى من الاقليم الذى يقع الى الشرق والجنوب من البحر الميت فان أرض أيوب وأرض عوص يجب أن نبحث عن مكانهما فى حدود ذلك الاقليم نفسه أى حيث تحدده الترجمة السبعينية اذ تضيف الى نص التوراة فى سفر أيوب « ٤٢ : ١٧ ب » عبارة تقول فيها أن أيوب الذى كان اسمه الحقيقى يوباب قد سكن فى Ausitis فوق جبال أدوم وجبال البادية العربية Arabia . وهذه الفقرة من الترجمة السبعينية «٤٢:١٧ د » تجعل يوباب المعروف بأيوب من عين الملك يوباب المذكور فى سفر التكوين « ٣٦ : ٣٣ » .

وجبال أدوم كانت تعرف فى العصور المتأخرة باسم Gebalene فنجد لذلك أن الترجمة السبعينية تضع أرض أيوب التى كانت فى عوص فى نفس الاقليم الذى يضع فيه ازيبيوس أرض تيمان ، أى فى الجزء الشمالى من أدوم الشرقية . ومن وجهة النظر الجغرافية فان هذا الاقليم يمكن تقسيمه الى قسمين : الشرقى وهو مسطح مبسوط ، والغربى وهو وعر كثير الحزون . ومركز النصف الشرقى كان هو مدينة التوانه القديمة وهى تيمان ؛ بينما تحتل هضبة الطفيلة النصف الغربى وهى تقع الى

الشمال الغربى من التوانة بمسافة قدرها خمسة عشر كيلا « انظر موسل، خريطة بلاد العرب الحجرية » وعلى مسافة قدرها ثلاثة كيلات فى اتجاه جنوب الجنوب الشرقى من مدينة التوانة تمتد أكوام متعددة من الخرائب والأطلال تعرف باسم عيص . فيجب أن تعتبر كلمة عيص هذه هى نفس كلمة عوص العبرية « كما أن فينان Fênân التى لاتبعد كثيرا عنها هى نفس الاسم العبرى Pùnôn كذلك » فنخلص من ذلك الى أن عيص هذه هى بعينها مركز المنطقة المذكورة فى التوراة باسم أرض عوص والتى انحدر منها أيوب .

سعير والشراة وحدود الحجاز الشمالية

الشراة هى النصف الجنوبى من المنطقة الجبلية المعروفة باسم سعير والتى كثيرا ماتشير اليها التوراة .

فقد سار الملوك الأحلاف تحت امرة ملك بابل عبر الاقليم الواقع فى شرقى البحر الميت متجهين الى الجنوب « سفر التكوين ١٤ : ٦ » وهناك ذبحوا الحوريين فى جبلهم سعير ثم واصلوا سيرهم بعد ذلك الى فاران .

وفاران هى بعينها الميناء التى عرفت فيما بعد باسم ايلات والتى تعرف الآن باسم العقبة وهى تقع فى أقصى الشمال من خليج العقبة . فمن المتوقع — اذن — أن نجد سعير فى الجنوب أو الجنوب الشرقى من البحر الميت . وحتى اذا لم نذهب الى أن فاران هى عين الميناء المعروفة بايلات فان الاحتمال بأن تكون منطقة سعير واقعة الى الجنوب من مؤاب احتمال على غاية من القوة لذا كانت سعير واقعة الى جنوب الجنوب الشرقى من البحر الميت .

وما ورد فى سفر التكوين « ٣٢ : ٤ » ينقلنا الى نفس هذا الاقليم . اذ يذكر أن يعقوب فى عودته من لدن لابان كان يتجه نحو الجنوب حتى اذا كان الى الشمال من نهريبوك أرسل رسلا بين يديه الى أخيه عيسو فى أرض سعير من بلاد أدوم . وما أن سمع عيسو بمقدم يعقوب حتى سار اليه ليلقاه فى منتصف الطريق فقابله الى الشرق من الأردن « سفر التكوين ٣٢ : ٢٣ » ولما انتهى من مقابلته له كر راجعا الى سعير « سفر التكوين ٣٣ : ١٦ » بينما اتجه يعقوب نحو الغرب فعبر الى سكّوت وعبر الأردن .

فواضح من هذا النص أن عيسو كان يسكن الى الجنوب أو الجنوب الشرقى من البحر الميت . وأنه قد سار للاقاة أخيه فى اتجاه مضاد خلال

طريق القوافل الذى يخرج من بلاد العرب الى دمشق . واذا كنا سنزعم أن الاقليم الذى كان يسكنه يقع فى المنطقة الجنوبية الغربيــة من البحر الميت أو فى المنطقــة الجنوبية من فلسطين فانه يجب علينــا اذن أن تتبين السبب الذى من أجله قد أرسل يعقوب الرسل اليه بنما كان هو لازال بعيــدا عنه فى المنطقة الواقعــة الى الشرق من الأردن وفى الشمال من نهر يبوك . ولماذا لم يمض الأخوان بعد ذلك سويا فى طريق واحد وقد تم بينهما الصلح اذ كان يعقوب يتجه نحو الجنوب من فلسطين والجنوب الغربى من البحر الميت !!

ووفقا للنصوص التى وردت فى سفر الأيام الثانى « ٢٠ » فان سعيرا يقــع الى الجنوب الشرقى من البحر الميت . ويتضح ذلك من الأخبــار الخاصة بالحملة التى وجهها أهل معون ومؤاب ومن معهم من العمونيين ضد يهوشافط . وتفصيل ذلك كما ورد فى سفر الأيام الثانى « ٢٠ : ٢ » أن الرسل قد أنبأوا يهوشافط أن العــدو قادم من شرقى البحر الميت من أدوم . وأنه قد أصبح فى حَصُّون وتامار وهى عين جدى . كمــا يذكر أيضا « ٢٠ : ٢٣ » أن المؤابيين والعمونيين قد اشتبكوا مع سكان جبل سعير وذبحوهم . — .

وفى رأيى — كما ذكرت قبل ذلك — أن المعونيين كانوا هم أنفسهم أهل مَعون الذين كانوا يسيطرون على طريق القوافل وكانوا يخضعون للملوك العرب الجنوبيين وكان مركزهم فى واحة معان المعروفة الآن . وكان سكان أدوم الذين يسكنون سعير يعترفون كذلك بسيادة الملوك الجنوبيين من بلاد العرب وكانت تمر القوافل التجارية بأرضهم فكانوا يفيدون من ذلك فائدة عظيمة . وتحت تأثير المعونيين فانهم قد ساهموا بحماسة واخلاص فى الحملة التى وجهت ضد جيرانهم من سكان مملكة يهودا اذ كانوا معهم دائما فى اشــتباك مستمر . والعمونيون والمؤابيون والمِعُونيون كانوا يسكنون جميعــا فى الشمال الشرقى وفى الشرق وفى الجنوب الشرقى من البحر الميت . ولما كان أهل سعير قــد وضع اسمهم بدلا من اسم المِعُونيين فيما ذكر فى سفر الأيام الثانى « ٢٠ : ٢٣ » فان

اقليم سعير يجب أن يوضع — اذن — فى المنطقة الجنوبية من البحر الميت.

ووفقا لما ورد فى سفر الأيام الثانى « ٢٥ : ١١ » فان أمصيا ملك يهودا قد سار برجاله الى وادى الملح حيث ضرب رجال سعير — . فوفقا لهذا الخبر فانه يمكننا كذلك أن نعين موقع سعير فى منطقة جنوب الجنوب الشرقى من البحر الميت . فالى الجنوب من فلسطين خاصة فى جنوب خرائب عبدة توجد مرتفعات عديدة تحوى كميات من الملح ولكنى فى شك من احتمال وجود وادى الملح « جى هَمْيلح » فى تلك المنطقة . اذ أن وادى الملح هذا كان يتاخم البحر المالح أو البحر الميت — كما كان يسمى عادة فى بعض الأحيان — ففى الصيف كان الجزء الجنوبى من البحر يتبخر تاركا وراءه ملاحات عظيمة واسعة كان يستخرج منها جميع سكان الأقاليم المجاورة مايحتاجون اليه من الملح . فيمكن — اذن — اعتبار هذه الملاحة بأنها هى المقصودة بعبارة جى هَمْيلح . فحين سمع أهل سعير بالاستعدادات الحربية التى كانت تجرى فى يهودا فقد أسرعوا لملاقاة عدوهم فالتقى الفريقان عند حدود اقليمهم فى جنوب البحر الميت . وكما أن رجال يهودا قد بدأوا سيرهم من منطقة الشمال الغربى فالراجح أن رجال سعير قد بدأوا سيرهم من الشرق أو الجنوب الشرقى .

وفى سفر الأيام الأول « ٤ : ٣٩/٤٣ » اشارة الى المساكن الجديدة التى أقامها بعض أفراد قبيلة شمعون حينما هاجروا من القسم الجنوبى لمملكة يهودا ومضوا الى جائى ومن جائى واصلت قلة منهم طريقها الى جبل سعير حيث ذبحوا بقايا العمالقة وأقاموا فى مساكنهم . أما جائى فانى أعتبرها هى عين المكان الذى يعرف عند الكتاب الأقدمين من اليونان والرومان باسم Gea وهو المعروف حاليا باسم الجى ويقع الى الشرق من مدينة بترا . فمن الراجح اذن أن نجد جبال سعير فى نفس هذا الاتجاه ، وذلك ينتقل بنا الى منطقة جنوب الجنوب الشرقى للبحر الميت .

وفكرتنا عن موقع جبال سعير فى المنطقة الواقعة الى جنوب الجنوب الشرقى من البحر الميت لا تتعارض ونصوص التوراة التى تتعلق بالطريق الذى سلكه بنو اسرائيل فى تيههم . ففى سفر التثنية « ٢ : ١ » نجد أنهم

نحولوا من قادش ثم ارتحلوا فى البرية على طريق البحر الأحمر « بحر سوف » وداروا دورة عظيمة لمدة أيام عديدة حول جبل سعير ثم تحولوا أخيرا نحو الشمال • ثم يتفصل ذلك فيما بعد فى الفقرة الثامنة فيبين أنهم عبروا على طول طريق العـربة على ايلات وعلى عصيون جابر مارين خلال سعير •

وانى أضع قادش فى منطقة تقع الى جوار النقطة التى نشأت عليها مدينة بترا فيما بعد ، فهى تقع اذن الى جنوب الجنوب الشرقى من البحر الميت • فلا بد من أن يكون بنو اسرائيل قد اتجهوا نحو الجنوب اما خلال الوادى الأخدودى الذى يصل البحر الميت بالبحر الأحمر واما بالطريق المؤدى الى بترا جنوبا أسفل السفح الغربى لمنطقة جبال الشراة وهى سعير القديمة • وهذا الطريق الثانى طريق من أقدم طرق التجارة وكانت تسير فيه القوافل ناقلة مختلف البضائع من جنوب بلاد العرب حتى بترا • وبسلوك بنى اسرائيل أحد هـذين الطريقين متجهين نحو الجنوب فقد وصلوا الى جبال سعير ثم خلفوها متجهين الى الشرق والشمال وذلك يتفق مع ماورد فى سفر التثنية « ٢ : ٨ » من أنهم عبروا على طريق العربة على ايلات وعلى عصيون جابر مارين بسعير •

أما ايلات وعصيون جابر فهما ميناءان معروفان منذ عهد الملوك • ومنهما كانت تتجه طرق النقل الهامة فتتجه غربا الى مصر ، وتتجه نحو الشمال الغربى الى غزة ، وتسير فى اتجاه الشمال أو على الأدق فى اتجاه الشمال الشرقى نحو دمشق وفينيقيا • ولما كان بنو اسرائيل فى تيههم قد وصلوا الى شرق مؤاب ، فانه من المؤكد أنهم قد اجتازوا الطريق الذى يخرج من هاتين المينائين المذكورتين متجها الى دمشق • ومن النص فانه لايظهر اطلاقا أنهم قد عسكروا فى ايلات وعصيون جابر ولكنه ينص على أنهم بعد مرورهم بسعير قد داروا فى هذا الطريق الى الشمال • والطريق كان يسمى طريق العـربة • والعربة — اليوم — هى تسمية الوادى الأخدودى الواصل بين أيلة « ايلات » والبحر الميت ، ولكنه من المؤكد أن بنى اسرائيل لم يذهبوا بطـريق العربة والا لاضطروا الى أن يرتقوا

حافة الهضبة الشرقيـة ولاضطروا أن يسلكوا سعيرا مرة ثانيـة • بينما نجدهم قد سلكوا خلال سـعير كما يذكر فى سفر التثنيـة « ٢ : ٨ » • ووادى العربة الأخدودى لم يكن — يوما ما — يمر فيـه طريق التجارة الرئيسى الذى يصل ايلات بمؤاب ودمشق ، فخلال فصل الجفاف ينفق فيـه عدد عظيم من الحيوان ومن الانسان أيضا وذلك لشدة الحر فيـه كما أن سالكه لم يكن فى استطاعته أن يتفادى ارتقاء الهضبة الواقعة عليه بحافتها ، وطرق التجارة فى العصور القديمة كانت تسلك دائما أقل الطرق صعوبة وأيسرها سلوكا وهذا يصدق على الطريق الذى يخرج من ايلات متجها نحو الشمال خلال وادى اليتم الى معان أو مَعون القديمة • واذا كانت معـان هـذه هى مركز المعونيين — ولا جـدال فى ذلك — فان المعونيين قد أجهدوا أنفسهم بكافة الوسائل كى يحملوا القوافل الكبيرة على المرور باقليمهم •

وطريق التجارة القديم الذى يسـير من أيلة الى الشمال عن طريق معان يمر على الحدود بين البـدو والحضر • وتبعـا للمصادر الآشورية والعبرية فان البدو كانوا يُسمَّون عَروبى أو عرب وأن أرضـهم كانت تحمل نفس الاسـم • فيجب أن نفرض أن هـذا الطريق كان يحمل اسم « الطريق العربى » لأنه كان يمر على حافة الحدود الغربية لأرض عروبى أو عَربيى أو بلاد العرب ، وقـد اتصل بنو اسرائيل بهذا الطريق عنـد نقطة قريبة نوعا ما من محطة القويرة الحالية فداروا الى الشمال ، وقـد سلكوا — بكل تأكيـد — خلال جبل سعير ، ولكن على طول حافتـه الشرقية حيث يقيم كثير من قبائل البادية فقد كانوا على غاية من الحـذر أثنـاء سلوكهم خلاله • أما أهل سـعير فلم يعترضوا طريقهم اذ كانوا لايسلبون ولاينهبون فاكتفى هؤلاء بحراسة حدودهم •

وسلوك سعير هذا قد أحيا ذكراه ما كانت تترنم به دبوره من ترانيم ليهوڤا «سفر القضاة ٥ : ٤ » الذى خرج من سعير وصعد من صحراء أدوم• وهناك عبارة أخرى فى سفر التثنية « ٣٣ : ٢ » تشيد بما تشيد به العبارة الأولى فتقول ان يهوڤا جاء من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس « مريبات قادش » •

واذا وضعنا مكان قادش على الحافة الغربيـة لسعير أمكننا أن نفهم ما ورد فى سـفر التثنية « ١ : ٤٤ » من أن الأموريين تبعوا من رحل من قادش من بنى اسرائيل عن غير أمر موسى فأبادوهم فى سعير وطاردوهم حتى حرمة • فهؤلاء المنهزمون قد فروا دون شك الى الحد الغربى لسعير حيث كان يقع المعسكر الرئيسى لبقية بنى اسرائيل وقد تبعهم الأموريون حتى وصلوا حدود سعير وهناك هاجموا كذلك القبائل والأنعـام التى كانت تقع على الأطراف بعيدا عن المركز الرئيسى للمعسكر •

وكل النصوص التى ذكرت قبل ذلك تدعونا أو تسمح لنا — على الأقل — بأن نضع سعيرا الى جنوب الجنوب الشرقى من البحر الميت • ولكن صعوبات أخرى نجدها فى سفر يشوع « ١١ : ١٧ » ولـكن من السهل أن نتغلب عليها • فنجد أن يشوع قد سـيطر على جميع الأرض من جبل حلق الى جبل سعير والممتدة بعيدا حتى بَعَل جاد فى بقعة لبنان• وكما أننا لانستطيع أن نحدد مكان بَعَل جاد فاننا لانستطيع كذلك أن نتبين موقع جبل حلق • وانى أعتقـد — على كل حال — أن جبل حلق هذا هو العقدة الجبلية التى ترتفع فى ضواحى عبدة ، جنوبى بئر سبع وغربى بترا « أنظر موسل : خريطة بلاد العرب الحجرية » وحيث وضعنا قادش • وهذه العقدة الجبلية تقوم الآن فى مواجهة سعير ويفصلها عنـه الوادى الأخدودى المعروف باسم العربة • وبتفسيرنا ذلك على هذا النحو فانه لايتناقض مع ما ذهبنا اليه من التحديد السـابق ولكنه على العكس من ذلك يزيده تأكيدا •

٢ — حدود الحجاز الشمالية

ووفقا لما ذكره بطليموس فى جغرافيته « ٦ : ٧ « ٢٧،٣ » » فان الحدود الشمالية لبلاد العرب السعيدة تبدأ من ساحل البحر بين محلتى أيلة وحقل ثم تتجه نحو الشمال الشرقى حتى اقليم جبل الشراة الذى يفصل سفحه الجنـوبى بين بلاد العرب السعيـدة وبين بلاد العـرب الحجرية • — وبطليموس فى تحديده هذا انما يعنى الحدود الجغرافية أكثر مما يهـدف الى تعيين الحدود السياسية •

ويبدو أن السفح الجنوبى للشراة كان يكوّن الحدود بالنسبة للمقاطعتين المعروفتين : بالمقاطعة العربية Arabia ، وبفلسطين الثالثة "Palestina Tertia" لأن ازيبيوس يذكر فى كتابه Onomasticon « نشرة كلوستر من ص ١٢٤ » أن مدينة مديم كانت تقع خلف المقاطعة العربية "Arabia" الى الجنوب فى الصحراء العربية فى شرقى البحر الأحمر . ومن هذا يلزم أن تكون حدود المقاطعة العربية Arabia وبالتالى حدود سوريا واقعة الى الشمال من مدينة مديم .

وأما چيروم فيردد نفس الفكرة السابقة فى كتابه Commentariorum « ط . مينى ص ٦٠ : ٦ » .

اما مايذكره بروكوبيس فى كتابه De bello persico حـ ١ : ١٩ فانا نتنهى منه الى أن الجزيرة الصغيرة المعروفة بتاران كانت تابعة لفلسطين الثالثة بالرغم من أن الساحل القريب منها لم يكن شأنه كذلك وأن الحد الجنوبى لفلسطين الثالثة كان يطابق الحد الشمالى لبلاد العرب السعيدة .

والمؤلفون العرب يطلقون اسم الحجاز على الجزء الشمالى الغربى من بلاد العرب السعيدة ويضعون حدود الحجاز حيث كانت توضع قبل ذلك الحدود الشمالية لبلاد العرب السعيدة وهم يعنون بذلك الحدود الجغرافية أولا .

ويقول أبو حذيفة « ياقوت : معجم البلدان ط فيستنفلد ٣ : ٨٦ » ان أبا عبيدة وصل بجيوش المسلمين الى سَرْغ أو سَراغ الحديثة ومن هناك سار الى الشام فمن الواضح اذن أن حدود الشام كانت تقع الى الشمال من سَراغ عند الحدود السابقة فى شمال بلاد العرب السعيدة حيث كانت تفصل سفوح جبل الشراة بين الحجاز والشام .

ويذكر ابن الفقيه « البلدان ط دى غوية ص ١٩٢ » أن أيلة هى الحد الجنوبى للشام .

ووفقا لما يذكره ابن حوقل « مسالك ط دى غوية ص ١٩ » وأبو الفدا « تقويم البلدان ط رينو ودى سلان ص ٨٠ » فان الحدود الجنوبية

للشام تتكون من خط مستقيم يبدأ من ساحل البحر الأحمر قريبا من ميناء أيله ويتجه نحو الشرق متبعا الحد الادارى لأعمال تبوك ، واذن فهو يتبع السفح الجنوبى لجبال الشراة .

ويذكر ياقوت فى معجمه « ط فيستنفلد ٣ : ٢٥٩ » أن ممر شتار يقع فى جبل الشراة بين اقليم البلقاء والمدينة . — ولما كان هذا الممر يقع فى الجزء الجنوبى الغربى من جبل الشراة قريبا من الحدود الادارية الفاصلة بين البلقاء « سوريا » وبين المدينة « الحجاز » فان جبال الشراة يجب أن تكون -- اذن ، ووفقا لما يذكره ياقوت — الحد الفاصل بين الحجاز وسوريا .

ويذكر الادريسى فى كتابه نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق « الاقليم الثالث — الجزء الخامس » أن تبوك على أربع مراحل من حدود الشام — وهذا النص يضع الحدود الشمالية للحجاز عند السفح الجنوبى لجبل الشراة الذى يمكن الوصول اليه بعد أربع مراحل من تبوك ويبلغ مقدار المرحلة الواحدة خمسة وأربعين كيلا .

ويقول أبو زيد الانصارى « معجم ياقوت ١ : ٨٢٥ » ان تبوك تقع بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام — فهى تقع اذن فى منتصف الطريق بين الحجر وحدود سوريا .

ويقول محمد بن موسى الحازمى « معجم ياقوت ٤ : ٤١٥ » ان مدين تقع بين وادى القرى والشام . فهى من أعمال الحجاز اذن .

وقد تغيرت الحدود السياسية للحجاز بتغير السياسات الادارية المختلفة ولكن الحدود الجغرافية لايمكن أن ينالها التغيير . ومن أمثلة ذلك ما يذكره المقدسى فى عبارة له فى كتابه أحسن التقاسيم « ط دى غويه ص ١٥٥ » اذ يشير الى أن مدين تقع فى شراة الشام ولكنه فى عبارة أخرى « ص ١٧٨ » يقول ان مدين تقع فى الحجاز قريبا من الحدود الشمالية . وادخال عدد من بلدان الحجاز ضمن حدود سوريا أمر ليس له أهمية كبيرة فيما يتعلق بحدود الحجاز الحقيقية وذلك مثل ادخال بعض بلدان الحجاز الأخرى ضمن حدود مصر أيضا . وذلك كما حدث فى حالة يافو...

اذ يدخل العويند ضمن أعمال مصر « معجم ط فيستنفلد ٣ : ٧٤٨ » وكما حدث فى حالة المقريزى اذ يدخل شغبا وبدا وأماكن أخرى ضمن أعمال مصر « المواعظ والاعتبار ط ڤيت ص ٣١١ » .

ويضيف الأصمعى « معجم ياقوت ط فيستنفلد ٢ : ٢٠٥ » حرة ليلى الى الحجاز كما يضيف اليه أماكن أخرى مثل شغب وبدا . كما يذكر ابراهيم الحربى « المصدر السابق » أن تبوك وجزءا آخر من فلسطين نفسها يدخل فى أعمال الحجاز وهذا الرأى ينفرد به ابراهيم انفرادا تاما وربما كان راجعا الى العهود السياسية التى كان فيها الجزء الشمالى من الحجاز يضاف الى أعمال القسم الجنوبى من فلسطين فرغبة منه فى ألا يجعل أرض الحجاز المقدسة تابعة لأعمال فلسطين وخاضعة لها فقد أدخل ضمن حدود الحجاز الجزء الجنوبى من فلسطين حتى مدينة صُغَر الواقعة فى أقصى الحدود الجنوبية للبحر الميت .

ويقول الاصطخرى فى كتابه المسالك « ط دى غويه ص ١٢ ، ١٤ » ان الحجاز تمتد من حد السرين على بحر فارس « البحر الأحمر » الى قرب مدين راجعا فى حد المشرق على الحجر الى جبلى طى . فوفقا له نستطيع أن نقرر أن الحدود الشمالية للحجاز تسير قريبا من مدين الى الشمال منها وأن الحدود الشرقية تسير قريبا من جبلى أجا وسلمى بينما يكون البحر الأحمر الحدود الغربية للحجاز . ولما كانت مدين القديمة تقع قريبا من الواحة التى تعرف الآن بالبدع فانه يجب أن نضع حد الاصطخرى لشمال الحجاز بين هذه الواحة ومحلة العقبة الواقعة فى نهاية الخليج الذى يحمل اسمها . وقد اعتبر الاصطخرى جبلى طى ضمن حدود الحجاز لأنهما من الناحية السياسية يتبعان مكة ولأن أمير الحج الذى كان يخرج من مكة لضبط الطريق كان يتخذ مقره فى فيد وهى تقع على السفح الشمالى الشرقى لجبل سلمى .

ويذكر الادريسى فى كتابه نزهة المشتاق « الاقليم الثالث — الجزء الخامس » أن الحدود الغربية للحجاز تمتد من الميناء التى لاماء فيها وتسمى رأس أبى محمد عند مدخل خليج عقبة أيلة حتى ميناء العويند

وتقابله جزيرة النعمان وبينها وبين البر عشرة أميال ثم يسير الحد بعد ذلك في اتجاه طنا والعطوف . — ورأس أبى محمد هذه هى الرأس المعروفة برأس محمد وتقع عند الطرف الجنوبى لشبه جزيرة سينا . واسم العوينه قد حفظ فى التسمية التى تطلق على أحد منازل الحاج ويقع فى الجنوب الشرقى من جزيرة النعمان . وأما طنا فيجب أن تصحح قراءتها الى ضبا التى ربما كانت هى الأصل الذى حرّف الاسم عنه . غير أن ضبا تقع الى الشمال وليس الى الجنوب من جزيرة النعمان. أما العطوف فانى لا أعرفها .

ووفقا لما يذكره ياقوت « معجم البلدان ٢ : ٧٧ » فان اسم الحجاز مشتق من معنى الفصل بين ساحل البحر « الغور » وبين الأرض المرتفعة « نجد » والحجاز تمتد كما يقول من المدينة الى ما حول واحة فيد وجبلى أجا وسلمى . وياقوت انما ينقل هذا عن الاصطخرى فهو انما يعنى رقعة الحجاز السياسية . أما من الناحية الجغرافية فان حدود الحجاز الشرقية تتكون من الحافة الشرقية الوعرة لسلسلة الجبال التى تمتد قريبا من تيماء متجهة صوب الجنوب .

أما ابن الفقيه « البلدان ص ٢٧ » فيضع حدود نجد عند بدء ظهور الغضا فهو يقول ان أرض الحجاز لاتنبت الغضا وانما تنبت الطلح والسمر والأسل . — وهذه ليست حقيقة مسلمة لأنه توجد فى الحجاز نفسها مساحات واسعة من الغضا ؛ ومن ذلك مثلا أرض المحتطب المنخفضة الواقعة الى الشمال والشمال الشرقى من تبوك . وكذلك فى وادى الجزل .

والمقدسى فى كتابه أحسن التقاسيم « ط دى غوية ص ٥٣ » يدخل الحجر والعونيد وبدا يعقوب وضَبّا والنبك ضمن أعمال القرح « كما كانت تسمى المحلة الرئيسية فى وادى القرى » — . والعونيد هى ميناء المنطقة وهى العوينه . وبدا يعقوب هى واحة بدا الصغيرة . والنبك يجب أن يكون موضعها قريبا من شعيب الشعف . وضَبّا هى على الأصح ضَبَا . والحدود بين منطقة صغر السورية وبين منطقة القرح من الحجاز

تمتد من المويلح على الساحل حتى محطة المعظم أو المحدثة — كما كانت تعرف بذلك قديما — وهى تقع على طريق الحاج . فخط الحدود اذن يسير مع خط العرض ٤٠َ ٢٧ْ شمالا .

ويضع هنرى لامانس الحدود بين سوريا والحجاز الى الجنوب قليلا من واحة العلاء L'ancienne frontiére entre la syrie et la Hidjaz (Notes de geogr. histor.) أعيد طبعه فى مجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية مجلد ١٥ ص ٦٩ » وهذه الفكرة تبدو لامعة اذا نظرنا اليها نظرة سطحية ولكننا حين نبحثها على ضوء التفاصيل نجد أنها غير صحيحة من الناحية العلمية. فهو لم يميز الحدود السياسية من الحدود الجغرافية ولم يُعر نصوص الكتاب الأقدمين من اليونان والرومان أى اهتمام كما أنه لم يشرح النصوص العربية بأمانة .

منذ الأزمنة القديمة وسفوح الشراة الجنوبية تكون الحدود بين الحضر والبدو . وهذا واضح فى كل نصوص العهد القديم والوثائق الآشورية . ومؤلفو اليونان والرومان الأقدمون قد مضوا كذلك على اعتبار هذه الحدود القديمة التى وضعها أهل البلاد الأصل الذى اعتمدوا عليه ثم أطلقوا أسماء جديدة على الأقاليم المتفرقة . والمؤلفون العرب لم يغيروا شيئا من هذه الحدود الطبيعية غير تسمياتها . وان الحدود الجنوبية لسوريا تطابق الحدود الجنوبية لبلاد العرب الحجرية التى عرفت فيما بعد بفلسطين الثالثة أو بفلسطين الآمنة Palastina Salutaris . وهذه الحدود تمتد من البحر الأحمر عبر جبال ارم أو رَمّ الى السفح الجنوبى لجبال الشراة .

وعلى حدود المقاطعة العربية Arabia فان الامبراطورية الرومانية كان لها خط مزدوج من الحدود أحدهما هو الحد الداخلى والآخر هو الحد الخارجى . أما الحد الداخلى فكان يتبع اقليم الحضر والزراعة بينما كان الحد الخارجى يمتد فى اقليم البدو الذين كانت تدفع لهم الحكومة الرومانية جزية سنوية . وكان الحد الداخلى ثابتا فكان محصنا تمام

التحصين بينما كان الحد الخارجى غير محدد ولم تكن فيه فرقة عسكرية دائمة ولا معسكرات محصنة • وفى شمال ارم وفى جبال الشراة فانه يوجد كثير من أطلال المعسكرات الرومانية وبقايا حصونها مما يؤيد المعلومات التى وجدت فى مجموعة القوانين المعروفة باسم "Notitia dignitatum" وأما فى جنوب الشراة فان لم أجد شيئا من بقايا المعسكرات الرومانية أو أطلالها وانما وجدت مكان Madiama وهى البدع Onne وهى عينونة ، وبدا Badà ووجدت بصفة خاصة أطلال Hegra وهى الحجر • وجميع هذه الأماكن كانت معروفة للمؤلفين الأقدمين من اليونان والرومان الذين كانوا ولا بد ذاكرين شيئا عن الفرق الرومانية التى كانت بها اذا كان قد وجد بها فرق رومانية فى وقت ما • ولكننا نبحث عبثا عن مثل هذه الاشارات لدى الكتاب الأقدمين كما نبحث عبثا عن بقايا الأطلال الرومانية فى شمال الحجاز • ومن هذا يتضح أن مدين Madiama والواحات الأخرى المذكورة سابقا كانت تقع — حقا — كما يذكر ازيبيوس خارج حدود المقاطعة العربية ، وأنها لم تكن الاقليم الادارى السياسى لمنطقة فلسطين الثالثة أو فلسطين الآمنة • ولكن ذلك لايستتبع وجودها خارج الحد الخارجى فدخولها ضمن المنطقة التى يضمها الحد الخارجى يتضح من النقش الموجود فى الغوافة حيث بنت قبيلة ثمود معبدا لذكرى الامبراطور ماركوس اوروليوس انطونيوس ولوسيوس اوروليوس ڤيروس • فثمود كانت تقع على حدود المنطقة المسماة ببلاد العرب الحجرية والتى سميت فيما بعد باسم فلسطين الآمنة ولذا دفعت لهم الامبراطورية الرومانية جزية كى يعترفوا بسلطان الامبراطور الرومانى ثم البيزنطى الذى كانوا يؤجرون فى خدمته • وحقيقة أن هؤلاء كانوا يعينون كما لو كانوا موظفين رومانيين أو بيزنطيين وهذه طريقة كانت تبدو واضحة من الوثائق الآشورية وكانت مستمرة حتى ذلك الوقت ، ولكننا لانستطيع أن نذهب الى أن منطقة ثمود وهى منطقة قبيلة جذام التى خلفتهم فيما بعد كانت تكون جزءا دائما من أجزاء الامبراطورية الرومانية يتبع سوريا • فان رئيس القبيلة من القبائل — الذى كان معتبرا فى نفس الوقت موظفا رومانيا أو

حليفا — كان اذا تأخر تسليم الجزية اليه يرتحل بعيدا عن هـذه الحدود ثم يشن الغارة على الرومان كما لو كانوا أعداء له • وهنـاك كثرة من الوثائق الرومانية والسريانية تؤكد نصوصها ذلك •

واذا نجح الرومان أو البيزنطيون فى استمالة أحد رؤساء القبـائل الخطرين فان الحد الخارجى كان يدخل فى حدود النفوذ السياسى • ففى عهـد الفيـلارك امرىء القيس كان الحـد الخارجى يمتد الى الجنوب حتى ضواحى المدينة • وقد حدث نفس ذلك الشىء فى عهد ملوك غسان الأقوياء اذ ساروا بحملاتهم التأديبية جنوبا حتى واحة العلا وخيبروحائل • وقد حفظت لنا كذلك فى المؤلفات الاسلامية بعض الأخبار التى تصور طرفا من هذا النفوذ الوقتى الذى كان يمتد حتى المدن المقدسة • فيقول الزبير بن بكار ان عثمان حويرث قد عيّن ملكا على مكة من قبل الامبراطور البيزنطى « الزبير بن بكار السهيلى : مخطوط الجمعية الأسيوية بالبنغال ص١٦١ — شبرنجر : حياة محمد وتعاليمه A .Sprenger : Das Leben und die Lehre des Muham ح ١ برلين ١٨٦٩ ص٨٩ » ولكن نفوذ بيزنطه الحقيقى الثابت لم يكن ليمتد وراء الحـد الداخلى المحصن الذى كان يقع على طول السفح الجنوبى لجبل الشراة • وقد كان هذا مشهورا عند المؤلفين العرب وهو يفسر لنا السبب الذى من أجله قد وضعوا الحـد الشمالى للحجاز حيث وضـعه الـكتاب الأقدمون وفرقوا بذلك بين الحـدود الجغرافية والحدود الادارية والسياسية • فنستطيع اذن فى سـهولة أن نشرح لماذا كان بعضهم يشير الى الحجاز السورية • ومعنى ذلك الحجاز التى كانت تتبع سوريا من الناحية السياسية • كما نستطيع أن نفهم لماذا وقع الخلاف بينهم فى تحـديد الحدود ، فالحاكم القوى فى سـوريا كان يحاول أن يمد نفوذه بعيدا حتى الأماكن المقدسة — وربما كان ينجح فى مدها — ولكنه لم يكن فى استطاعته أن يحرك الحدود الجغرافية عن أماكنها قيد أنملة •

« العمالقـــة »

سكن العمالقة الى الجنوب من فلسطين ، ونجد فى سـفر التكوين « ١٤ : ٧ » أنهم كانوا يعيشون هناك . وقد وردت الأخبار فيما يتصل بذلك بأن ملوك بابل قـد ساروا على طول الطـريق الرئيسى للتجارة فى شرقى البحر الميت وخلال جبل سعير الذى كان يسكنه الحوريون حتى انتهوا الى فاران الواقعة عند البرية ؛ ثم عادوا أدبارهم « سفر التكوين ١٤ : ٧/٨ » فلما وصلوا الى عين مشفاط التى هى قادش ضربوا كل بلاد العمالقة وكذلك الأموريين الساكنين فى حصون تامار ، ثم التحموا بعـد ذلك فى عمق السديم مع الملوك الأحلاف .

أما فاران فهى بعينها — فيما نرى — الميناء المعروفة بايلات قديمـا وبالعقبة حديثا . وأما عين مشفـاط أو قادش فهى الى الشمال منهـا فى البقعة التى تقع حول مدينة بترا . وبما أن تحطيم العمالقة يرد فى النص تاليا لعين مشفاط فانه واضح — اذن — أنهم قد سكنوا الى الغرب أو الشمال الغربى من بترا فهم قد سكنوا اذن فى الجزء الجنوبى من فلسطين وفى الاقليم الذى يمتد نحو الجنوب .

وفقا لما ورد فى سفر العدد « ٢٤ : ٢٠ » فان العمالقة هم أول الشعوب، وربما كان ذلك من أجل أنهم كانوا أول من اصطدم به بنو اسرائيل حين هاجروا الى أرض الميعاد .

ونجد فى سفر التكوين « ٣٦ : ١٢ » أن سرية اليفاز قـد ولدت له العمالقة ولكن اليفاز كان ابن عيسو ، وعيسو هو الابن الأكبر لابراهيم . وعلى الرغم من ذلك فان عمالق كان يعيش فى عهد ابراهيم فى جنوب أرض الميعاد — لهذا فانه واضح أن النص الذى يرد فى سفر التكوين لايمكن أن يحدد الأصل الحقيقى للعمالقة . وأنه انما يدل على أنهم قـد اتصلوا وقتـا ما بأولاد عيســو الذين كانوا يقيمون الى جوارهم وأنهم قـد تزوجوا منهم .

واقليم العمالقة الواقع فى جنوب فلسطين يمتد شرقا مع امتداد الاقليم الذى يسكنه بنو عيسو فالظروف كانت مهيئة — اذن — كى يوجد الاتصال بينهما • وأكثر من ذلك فقد كان فى امكان العمالقة أن يبسطوا سلطانهم وقتا ما على أبناء عيسو أنفسهم كما يتضح ذلك من سفر التكوين « ٣٦ : ١٦ » •

ويشير سفر العدد « ١٣ : ٢٩ » الى أن العمالقة قد سكنوا فى الجزء الجنوبى من فلسطين على عهد موسى • وأنهم كانوا مصدرا لمتاعب بنى اسرائيل طوال المدة التى كانوا يعسكرون أثناءها فى الاقليم المحيط بقادش « سفر العدد ١٤ : ٤٣ » •

ونجد فى سفر التثنية « ٢٥ : ١٧ » أن العمالقة قد هاجموا بنى اسرائيل المنهكين عند خروجهم من مصر وأسروا جميع مقاتلتهم • كما نجد فى سفر الخروج أن العمالقة قد أتوا لمحاربة بنى اسرائيل فى رفيديم حيث ضرب موسى الحجر بعصاه فانفجر منه الماء « سفر الخروج ١٧ : ٦ » وكانت رفيديم من أجل هذا السبب تسمى مَسَّة « غواية — اغراء » ومريبة « خصام » وكانت تقع قريبا من قادش « سفر العدد ٢٠ : ١/١٣ »

ونحن نضع قادش ومريبة فيما حول بترا فهى اذن فى الجوار الأدنى لأرض العمالقة الذين كانوا يتمكنون فى سهولة من أن يهاجموا بنى اسرائيل منتقلين من معسكر الى آخر ومن أن يأسروا مقاتلتهم • ولكن العمالقة قد أعانوا كذلك أعداء آخرين من أعداء بنى اسرائيل •

فنجد فى سفر القضاة « ٣ : ١٣ » أن العمالقة قد اتحدوا مع عجلون ملك مؤاب الذى انتزع مدينة النخل « أى Jericho » من بنى اسرائيل • ولكى يصل العمالقة الى مدينة النخل فلم يكونوا مضطرين لأن يجتازوا أرض مؤاب ثم يهبطوا من هناك الى الأردن بل كانوا يستطيعون أن يسيروا فى طريق سهل فى محاذاة الساحل الشرقى للبحر الميت ومن هناك يتحدون مع عجلون •

ويذكر فى سفر القضاة « ٦ : ٣ ••• » أن العمالقة كانوا حلفاء لأهل مدين وبنى المشرق « بنى قِدَم » الذين كانوا يساكنونهم فى سهل يزرعيل

وأنهم قد مضوا فى غزوهم لأرض بنى اسرائيل حتى مدينة غزة . ويستطيع العمالقة أن يتصلوا بكل من أهل مدين وبنى قـدم اما فى وادى الأردن بعد أن يعبروا البحر الميت ؛ واما عند الحدود الجنوبيـة لفلسطين حيث اجتاح أهل مدين — كذلك — الأراضى الواقعة فى تخوم غزة . وبعـد الانتصار الذى أحرزه جدعون فى سهل يزرعيل فان أهل مدين وبنى قدم قد فروا الى الشرق بينما لايرد أى ذكر للعمالقة ؛ فمن المحتمل أن يكون هؤلاء قد نجوا بأنفسهم بالمسيرعلى طول ساحل البحر الميت ثم الى بلادهم وموطنهم .

ولقد أزعج العمالقة بنى اسرائيل ازعاجا بالغا بغزواتهم التى وجهوها اليهم مما جعلهم يعملون للانتقام من أجل ذلك . وكان شـاول هو الملك الأول الذى سار لمحاربة العمالقة .

ففى سـفر صموئيل الأول « ١٥ : ٣ » نجد أن الرب يأمر شـاول ليذهب الى العمالقة ويسحقهم ويبيد جميع ما يملكون من ثيران وماشية وجمال وحمير . فمن هذا نفهم أن العمالقة كانوا يمتلكون عددا من القرى والديار وأنهم قد عنوا بحراثة الأرض وزراعتها كما عنوا بتربية الماشـية والأنعـام .

ولقد مضى شاول — بعـد أن حشد جيشـه — فارتحل من طلايم الواقعة على الحدود الجنوبية لمملكة يهودا ولما أصبح فى مواجهة المدينـة الرئيسية للعمالقة فقد كمن بساقة جيشه فى الوادى « نَحَل . وهو الوادى الذى يشقه النهر » . — واسم هذه المدينة الرئيسية التى كان يسكنهـا العمالقة لانجد له ذكرا . كما لانجد ذكرا كذلك لاسم النهر الذى كمنت عنده ساقة الجيش . ولذلك فانه يصعب علينا أن نحـدد على وجه الدقة أين كانت تقع المدينة الرئيسية للعمالقة . فقد كانت واقعة اما على الحدود الجنوبية لمملكة يهودا الى الشرق أو الى الجنوب الشرقى من بئر سبع ؛ واما الى الجنوب أبعد من ذلك فى جوار منطقة السبيطة .

ولقـد هزم شاول العمالقة . ووفقا لمـا ورد فى سفر صموئيل الأول « ١٥ : ٧ » فانه قد ضرب العمالقة من حويلة حتى مجيئك الى شور التي

فى مقابل أرض مصر • وحويلة هى بعينها ما يعرف عند المؤلفين القـدماء ببلاد العرب السعيدة أو هى المعروفة الآن بنجد • وحدودها الشماليـة تتكون من خط يمتد من منتصف خليج العقبة غربا حتى بابل شرقا • فاذا كان شاول قد ضرب العمالقة من حويلة حتى شـور « الجزء الغربى من شبه جزيرة سينا الواقع على حدود مصر نفسهـا » فمن الواجب اذن أن نظن أنهم كانوا يسيطرون على طريق القوافل الآتى من الجنوب الغـربى لبلاد العرب ويمر بايلات « العقبة » ثم ينتهى عنـد غزة ومصر ؛ ويجب أن نظن كذلك أن سيطرتهم قد امتـدت الى الجنوب الشرقى من ايلات حتى حويلة •

وكثيرا مانجد أمثلة لذلك فنجد قبيلة صغيرة — أو على الأصح — عشيرة من العشائر يمتد نفوذها فوق مساحة من بلاد العرب تضـارع فى اتساعها المساحة التى كان يسيطر عليها العمالقة • فكانت عشـيرة « أبى الريش » — التى تسـكن الى الجنوب والجنوب الشرقى من حلب — تسيطر — لمدى قرون عديدة — على طريق القوافل الرئيسى الذى يصل حلب بالعراق مارا بالشمال الشرقى لبـادية العرب • وكان أفراد هـذه العشيرة يقيمون فى أماكن متفرقة على طول هذا الطريق •

ان العلاقات التجارية بين مصر وغزة من ناحية وبين الجنوب الغربى للبلاد العربية من ناحيـة أخرى كانت على غاية من الازدهار والنشـاط وكانت القوافل التجارية القادمة من ايلات « العقبة » متجهة الى غزة تقع تحت رحمة العمالقة اذ كانت تمر فى أرضهم • ولذا فقد كان من الراجح أن هذه القوافل كانت تعترف بسلطة العمالقة فى هـذا الجزء من الطريق الخارج من ايلات ويتجه غربا نحو مصر كما كانت تعترف بهـذه السلطة كذلك فى جزئه الآخر الذى يخرج من ايلات ويتجه الى الجنوب الشرقى أو أنهـا كانت — على الأقل — خاضعة لسلطة العمالقـة فى الجزء من الطريق الذى كان يتاخم ساحل البحر •

ولقد كان جيش شاول متعطشا للانتقام — خاصة ذلك الجزء منـه الذى أتى من جنوب يهودا اذ كان دائما عرضة لازعاج العمالقة — لذا لم

يكتف هـذا الجيش بهزيمة الملك ولكنه ثنى بغـارة شنها على مساكن العمالقة الأخرى وعلى قطعانهم وامتدت هذه الغارة حتى ساحل البحر الأحمر • والنَّحَل « الوادى » الذى كمنت فيه قوى شاول الخلفية ربما كان هو رأس الوادى الذى يكون الحدود المصرية • وكانت مهمة هـذه القوة الخارجية هى احباط كل محاولة للفرار الى مصر •

وشـاول لم يسحق العمالقـة جميعا • ففى سـفر صموئيل الأول « ٣٠ : ١ ••• » نجد فقرة عن غارتهم على أماكن متعددة من مملكة يهودا تنتهى بوصولهم أخيرا الى صقلغ التابعة لداود حيث استباحوا الحرمات وأسروا النساء والأطفـال • وحينما سمع داود بذلك فانه طـاردهم عبر وادى البسـور « نحل البسور » وأدركهم فى السهل « صموئيل الأول ٣٠ : ١٧ » وفك الأسرى وذبح العمالقة حتى انه لم ينج منهم الا أربعمائة من شبابهم فروا على جمال لهم • وهذه القصة تبين لنا كذلك أن العمالقة كانوا ما يزالون ساكنين الى الجنوب من فلسطين نفسها • فقد أعلن داود الحرب عليهم مرة أخرى حين كان ملكا وذبح كثيرا منهم كمـا يتضح من سفر الأيام الأول « ١٨ : ١١ » •

وحين ذبح يواب الأدوميين فى جبال سعير ، وأمن طريق التجارة الى ميناء ايلات — التى أنشأ فيها سليمان فيما بعد أسطوله التجارى — فقد كانوا ينـاصرون أقاربهم الأدوميين وأولئك الذين اضـطروا للدفاع عن
كانوا ينـاصرون أقاربهم الأدوميين وأولئك الذين اضـطروا للدفاع عن
أرضهم أمام عدوهم من يهودا اذ كانت أرضهم تمتد حتى ايلات • ويظهر أنهم قد أخرجوا من ديارهم الأولى اخراجا تاما وأن بقاياهم الأخيرة ظلت تسكن فى الجزء الجنوبى من جبل سعير حتى أتى المهاجرون من قبـائل شمعون — كما يرد فى سـفر الأيام الأول « ٤ : ٤٣ » فقتلوهم واحتلوا ديارهم • فمنذ ذلك الوقت لانجد ذكرا للعمالقة •

« موقع قادش »

يرد أول ذكر لقادش فى سفر التكوين « ١٤ : ٧ » حيث يرد وصف لحملة الملوك المتحالفين من أهل بابل فهؤلاء الملوك قد ساروا من الشمال الى الجنوب عبر الأراضى الواقعة فى شرق البحر الميت ثم خلال جبل سعير حتى فاران « بطمة فاران » ثم داروا حول عين مشفاط « قادش » ووصلوا الى عمق السديم حيث هزموا الملوك الأحلاف من أعل البلاد الواقعة حول البحر الميت . ونحن نحدد مكان البقعة المسماة بعمق السديم فنقول انها هى الحد الجنوبى للبحر الميت . وكما نقول ان فاران « بطمة فاران » هى مدينة ايلات المعروفة الآن بالعقبة وتقع عند النهاية الشمالية لخليج العقبة . وليس هناك من سبب يفسر لنا الدافع الذى دفع هؤلاء الملوك الى الدخول من جديد الى الهضبة الغربية العالية بعد أن كانوا قد وصلوا الى فاران « بطمة فاران » « العقبة » خلال أخدود العربة الانكسارى فانهم يكونون مضطرين بعد ذلك الى النزول بصعوبة عند الحدود الجنوبية للبحر الميت . وقد كان من السهل أن يسلكوا الطريق المفتوح المتجه نحو الشمال خلال وادى العربة اذ كانوا يعلمون أنهم واجدون فى بطن الأخدود وعلى حافتيه الجنوبية الغربية والشرقية مساكن هؤلاء اللاجئين القادمين من جبل سعير كما يجدون منازل الرعاة القادمين بأغنامهم وماشيتهم من المناطق الغربية ، اذ يجد الرعاة أنفسهم — أثناء فصول المطر — فى حاجة شديدة الى أن يلتجئوا بأغنامهم الى هذا المكان الدافىء الذى يتوفر فيه الى جوار الدفء مايحتاجون اليه من الماء اذ يكونون فى عطش اليه . فعلى ذلك فقد كان يكفى هؤلاء الملوك أن يرسلوا فصائل صغيرة من الجند الى المناطق الغربية فتتجه الى العمالقة والأموريين بينما

يقصدون هم بقواتهم الرئيسية الى المقاطعات القريبة من البحر الميت التى رفض سادتها دفع الجزية لهم • أما الملوك فانهم بعد المعركة التى أحرزوا فيها النصر لم يدخلوا لا الى الهضبة الغربيـــة ولا الى الهضبة الشرقيـــة ولكنهم مروا حول البحر الميت ثم أسرعوا بما أصابوا من الأسرى والغنائم فساروا نحو الشمال مســايرين الأردن ولم يميلوا يمنــة أو يسرة حتى أصبحوا خلف بحيرة طبرية فاتجهوا عندئذ نحو الشمال الشرقى الى مدينة دمشق • ونحن نعلم موقع سديم الذى اتجه الملوك نحوه فهو عند النهاية الشمالية لأخدود العربة • ونحن نقــول ان فاران « بطمة فاران » التى قد وصلوا اليها هى بعينها محلة العقبة التى تقع عند النهايةالجنوبية لنفس الأخدود الانكسارى « العربة » وليس لدينا ما يوضح السبب الذى من أجله تجنب الملوك هذا الأخدود • فعلينا اذن أن نفرض أنهم اتجهوا من فاران « بطمــة فاران » « العقبــة » نحو الشمال مبــاشرة الى الأطراف الجنوبية للبحر الميت وباتباعهم هذا الطريق فقد وصلوا الى عين مشفاط « قادش » وحينئذ فيجب أن نضع عين مشفاط قريبا من العربة بين فاران « بطمة فاران » وعمق السديم •

ووفقا لما ورد فى سفر العدد « ١٣ : ١٧ » فان موسى قد أرسل العيون لتستكشف له أرض الميعــاد فارتحل هؤلاء من فاران « بطمــة فاران » وجابوا الأرض من برية صين الى رحوب ثم عادوا أخــيرا الى برية فاران « بطمة فاران » الى قادش « سفر العدد ١٣ : ٢١ ، ٢٦ » فمن هذا النص يبدو أن قادش يجب أن تقع على الحدود أو على الأقل قريبة من الحدود التى تقع بين برية فاران « بطمة فاران » وصين • وكما نعلم من نصوص أخرى فان برية فاران « بطمة فاران » تمتــد حتى النهاية الشمالية لخليج العقبة وأن برية صين تمتــد على طول الحدود الجنوبية لأرض الميعــاد « وأرض الميعاد تمتد وفقا لمــا ورد فى سفر يشوع ١١ : ١٧ حتى جبــل الحلق « الجبل الأقرع » ؛ فيجب أن نضــع قادش الى الشرق من جبل الحلق قريبا من أخدود العربة فنصل حينئذ الى المنطقة القريبة من أطلال بترا عند خط تقسيم المياه بين البحر الميت وخليج العقبــة • وبرية فاران

هى بعينها القسم الجنوبى من العربة الذى ينحدر الماء خلاله نحو خليج العقبة • والقسم الشمالى الذى ينحدر الماء خلاله الى البحر الميت هو برية صين • وتقع قادش عند الخط الفاصل بين البريتين قريبا من بترا •

والنص الذى يرد فى سفر التثنية « ١ : ٢ » يشير الى الطريق التجارى الواصل من حوريب الى قادش برنيع • فهو — اذن — عين الطريق المعروف باسم طريق سعير • وقد استغرقت الرحلة فيه بين حوريب وقادش برنيع أحد عشر يوما •

ويذكر الطريق نفسه مرة ثانية فى سفر التثنية « ١ : ١٩ » ويوصف بأنه يمر بعد حوريب خلال تنوفة واسعة مخوفة فى طريق جبل الأموريين •

ولهذين النصين أهمية بالغة لأننا بعد أن علمنا بالتحديد موقع جبال الأموريين الى الجنوب الغربى من البحر الميت ، وموقع جبل سعير الى جنوب الجنوب الشرقى من نفس البحر فاننا نستطيع أن نحدد الاتجاه الذى يجب أن نبحث فيه عن قادش برنيع وهو اتجاه الطريق الذى يخرج من جبال الأموريين سالكا طريق سعير • وأنقاض بترا التى حددنا موقع قادش برنيع فى جوارها تقع تماما على الطريق من جبال الأموريين اذا سلكنا طريق سعير المتجه نحو جنوب الجنوب الشرقى •

والطريق الى سعير أو الطريق الى جبال الأموريين يمر خلال تنوفة واسعة مخوفة » فهو لايدخل اذن الى منطقة الجبال المسكونة ولكنه يدور حولها أسفل سفحها الغربى فى المنطقة الواقعة بينها وبين برية فاران الواقعة الى الغرب منها • وفى محاذاة السفح الغربى لمنطقة جبال الشراة يقع حقيقة طريق قديم للقوافل يصل الجنوب بالشمال عن طريق بترا خلال ممر النمالة « الذى يقع شمال بترا بمسافة قدرها عشرون كيلا تقريبا « وادى موسى » أنظر خريطة بلاد العرب الحجرية لموسل » اذ يعبر العربة هناك ثم يسير بعد ذلك فى اتجاه شمال الشمال الغربى الى جبال الأموريين ، وتستغرق الرحلة من جبل حوريب الى قادش برنيع بسلوك هذا الطريق أحد عشر يوما • وجبل حوريب يقع الى جوار شعيب الخرب فى الجزء الشمالى الشرقى من هضبة الخرائب ، وقادش تقع فى جوار

منطقة بترا فمن شعيب الخرُب الى بترا مسافة تقرب من عشرين ومائتى كيلٍ فيكون طول المرحلة التى كانت تقطع فى اليوم الواحد اثنين وعشرين كيلا تقريبا وهو بعينه المعدل اليومى لسير قوافل التجارة ، كما أنه نفس المعدل لسير القبائل المهاجرة التى تقطع فى هجرتها مسافة طويلة .

ولقد أرسل موسى — وهو بقادش — الرسل الى ملك أدوم « سفر العدد ٢٠ : ١٤ » فأدوا اليه : « هانحن فى قادش ، مدينة فى طرف تخومك ، فدعنا نمر — فى أرضك — سنسير فى طريق الملك الذى يجتاز الهضاب ... حتى نجاوز تخومك » « سفر العدد ٢٠ : ١٦ » ولما رفض الملك هذا الطلب قال له الرسول : « لنمر فى الطريق الملكى المار فوق الهضاب « فى السكة نصعد » واذا شربت أنا ومواشى من مائك فانا ندفع أجر ذلك» « سفر العدد ٢٠ : ١٩ » ولكن ملك أدوم لم يدعهم يمرون فى تخومه وحال بينهم وبين ذلك .

فمن هذا النص يتضح أن قادش كانت مدينة على تخوم أدوم وكان يسهل الوصول منها الى الطريق الملكى الذى يمر فوق الهضاب من الجنوب الى الشمال خلال أرض أدوم هذه . وهذا ينطبق على المنطقة الواقعة فى ضواحى بترا اذ تقع على المنحدر الغربى لجبل سعير فهى اذن عند التخوم الغربية لأدوم . وكان يمر خلال بترا طريق للقوافل يسير من الجنوب الى الشمال ؛ وكان يمر خلال ممر النمالة طريق الى الغرب والشمال الغربى ؛ وكان يربط ممر النمالة هذا بواحة معان — ولا يزال يربطه حتى الآن — طريق التجارة القديم . وتقع معان على الطريق الرئيسى العظيم الذى يقبل من الجنوب الغربى لبلاد العرب ويتجه نحو الشمال الى سوريا ودمشق . وكان الطريق الواصل بين ممر النمالة ومعان يتقاطع مع الطريق الملكى المار فوق الهضاب « السكة الملكية » عند محلة البسطة « وهى تقع على مسافة قدرها سبعة عشر كيلا الى الجنوب الشرقى من بترا . انظر خريطة بلاد العرب الحجرية لموسل » وكان هذا الطريق الملكى يقبل من النقطة التى تقع فيها الآن أطلال أبى اللِيزِل « وهى قريبة من ممر شِتار الى شماله » ويتجه نحو الشمال مارا بالصدقة والتوان

وقد كان هذا الطريق هو المعنى في طلب الاسرائيليين ليسمح لهم بالعبور خلاله •

ولما تركوا قادش فقد ألقوا رحالهم بالقرب من جبل هور ؛ وهناك مات هارون ثم دفن ، ومضى بنو اسرائيل بعد ذلك فى طريق بحر سوف « البحر الأحمر » كي يدوروا حول أرض أدوم « سفر العدد ٢١ : ٤ »

والمقصود ببحر سوف هذا هو خليج العقبة • أما بنو اسرائيل فانهم لما كانوا غير قادرين على التوغل فى جبال الأموريين الواقعة الى الشمال الغربى ، ولما لم يستطيعوا أن يحصلوا من ملك أدوم على تصريح بالمرور عبر مملكته ، على السكة الملكية ، التى تؤدى الى الشمال الشرقى ؛ فلم يبق لهم الا أن يتجهوا الى الجنوب فيسيروا فى تخوم السفح الغربى لجبل سعير « سفر التثنية ٢ : ١ » لمسافة طويلة حتي أمرهم يهوڤا أخيرا « سفر التثنية ٢ : ٤ » بالتحول نحو الشمال خلال أرض بنى عيسو الساكنين فى سعير • ووفقا لهذا فقد مروا خلال أرض سعير فوق طريق العربة النجدى الذى يخرج من ايلات وعصيون جابر •

ولذا فقد سار الاسرائيليون فى محاذاة التخوم الغربية لجبل سعير وللجزء الشمالى من اقليم حسمى • وهذا الاقليم الأخير كان بأجمعه ملكا لأهل مدين • ومن حسمى فقد اتبعوا الطريق الخارج من ميناء ايلات وعصيون جابر متجها نحو شمال الشمال الشرقى سالكا سعيرا فى نقب شنار ، حيث يمر فوق طرفه الجنوبى الغربى ثم يتصل — عند معان — بطريق التجارة الرئيسى السابق ذكره الذى يأتى من الجنوب الغربى لبلاد العرب • وهناك فقد مال بنو اسرائيل عن الطريق « سفر التثنية ٨ : ٢ » واتجهوا نحو الشمال واتخذوا طريقهم على طول الحد الشرقى لتيمان فى طريق برية مؤاب حيث عبروا وادى زارد • وكما يذكر سفر التثنية « ٢ : ١٤ » فقد استغرقهم الوصول من قادش برنيع الى وادى زارد ثمانية وثلاثين عاما •

ونقول ان جبل هور الذى مات عليه هارون ودفن به هو بعينه الجبل المعروف بجبل هارون فى جنوب بترا « أنظر Musil : Umgebungskarte von

Wâdi Mûsa, Petra والنصوص التى ذكرناها سابقا والتى تتعلق بالرحلة من قادش فى محاذاة جبل سعير نحو الجنوب حتى بحر سوف ثم حذاء طريق العربة النجدى ، عبر الطرف الجنوبى الغربى لجبل سعير ، الى الشمال الشرقى ثم الشمال تتفق تماما مع اتجاه الطريق الحالى . ولذا فانها تقوى يقيننا فى أن قادش يجب أن توضع فى جوار بترا .

ونجد فى سفر العدد « ٢٩ : ١ » أن بنى اسرائيل قد وصلوا الى برية صين وألقوا رحالهم فى قادش وهناك ماتت مريم ثم دفنت . ولقد سرت بينهم زمجرة وسخط اذ لم يكن معهم ماء فضرب موسى الحجر بعصاه « سفر العدد ٢٠ : ١١ » فانفجرت منه المياه غزيرة . من أجل ذلك عرف المكان بماء مريبة « سفر العدد ٢٠ : ١٣ » .

وهذا يدل فيما يظهر على أن برية صين تحف بضواحى قادش وأنها تتفق تماما فى وضعها هذا مع التخوم التى تقع على مسافة نائية من أطلال بترا والتى تقع قريبا من خط تقسيم المياه بين البحر الأحمر والبحر الميت .

وحين وصل موسى ببنى اسرائيل الى قادش برنيع قال لهم : « لقد وصلتم الى جبال الأموريين » « سفر التثنية ٢٠ : ١ » وليس معنى هذا أن قادش كانت تقع عند جبال الأموريين ولكنها تعنى أنها لم تكن بعيدة عن هذه الجبال . وجبال الأموريين يمكن أن ترى بسهولة من بترا ويمكن الوصول الى أرض الأموريين بعد فترة قصيرة اذا هبطنا خلال ممر النمالة ثم خرجنا منه الى الجزء الشمالى من أخدود العربة أو صين القديمة .

ووفقا لما جاء فى سفر العدد « ٣٤ : ٣ » فان الحدود الجنوبية لأرض الميعاد تتكون من برية صين على امتداد أرض أدوم . أما الحدود الشرقية فانها تأخذ من نهاية البحر الميت وتمتد فى اتجاه جنوبى من عقبة عقربيم الى صين وتنتهى الى جنوب قادش برنيع ومن هناك فانها تتجه الى حصر ادار ثم الى مابعد ذلك الى وادى مصر .

وعلى الرغم من أن قادش تذكر مرات عديدة فى الأسفار الخمسة فانها لا تدخل ضمن المدن والأماكن الفلسطينية . والعبارة التى ذكرناها توا تدل على أن مدينة قادش تقع على حافة أرض الميعاد وأدوم ، أو كما

نعلم من وثائق أخرى عند السفح الغربى لجبل سعير ، الذى يمتد كما ذكرنا سابقا وفى مرات عديدة الى جنوب الجنوب الشرقى للبحر الميت .
ولذا يجب علينا أن نحذر من أن نعين موقع قادش هذه فى الجنوب أو الجنوب الغربى من أرض الميعاد ولكن يجب علينا أن نعين موقعها فى المنطقة الواقعة الى الجنوب الشرقى من أرض الميعاد . وان هذا ينطبق أكثر ماينطبق على الأماكن الواقعة فى جوار بترا والتى افترضنا موقع قادش فوقها . والى الغرب من بترا هذه يقع خط العربة لتقسيم المياه وبالقرب منه تقع حدود فلسطين التى ربما اجتازها العابر فى طريقه نحو الغرب متجها الى وادى مصر ، والى البحر الأبيض المتوسط . وأرض الميعاد تنتهى حافتها عند الحافة الغربية لأخدود العربة والجزء الشمالى من هذا الأخدود يتبع أرض مؤاب بينما يتبع الجزء الجنوبى منه أرض أدوم .

ويذكر سفر التكوين « ١٦ : ٧ » أن هاجر حينما هربت فقد أتت عين ماء فى طريق شور وهذه العين كانت تقع كما يذكر فى سفر التكوين « ١٦ : ١٤ » بين قادش وبارد وأنها كانت تسمى بئر لحى روئى — فاذا كانت هذه البئر تقع على الطريق التجارى الى شور فى المنطقة التى تقع بين قادش وبارد فيجب أن نعلم أن هذا الطريق كان يمر ببارد . وشور — التى كانت بدء حدود مصر نفسها — قد كانت محصنة بأسوار قوية ترد عنها هجمات البدو الأسيويين . فشور كانت تقع — اذن — الى الغرب من مساكن ابراهيم كما كانت قادش الى الشرق منها فى موقع يتفق مع ذلك الذى فرضناه من وجود قادش فى جوار بترا . ومن هذه العبارات المختلفة التى ذكرناها آنفا يمكن الاستدلال على وجود الشبكة التى تتقاطع عندها طرق النقل الهامة فى ذلك المكان الواقع فى ضواحى قادش . والأمر قد يكون على درجة أكثر من درجة الاحتمال أو الامكان اذا قررنا أن طريقا رئيسيا هاما من طرق التجارة كان يتجه من هناك نحو مصر وكان يجتاز الجزء الشمالى من منطقة شور . وهذا الطريق كان يهبط خلال ممر النمالة الى أخدود العربة ثم يتجه الى غرب الشمال الغربى فيمر بعبدى والعوجاء ثم يقصد بعد ذلك الى مصر . وبارد يجب أن يكون موضعها

فوق الهضبة العالية التى تقع الى الغرب من العربة وربما كانت واقعة حيث تقع الأطلال المعروفة باسم العوجاء والتى سميت بذلك من أجل منظرها الذى تبدو فيه أمام الناظر اليها من بعيد ؛ ففى هذه البقعة توجد عيون عميقة غزيرة باردة الماء وربما كان ذلك هو السبب الذى من أجلها اشتقت تسميتها من الوصف بالبرودة . وهى المنزل الأخير من منازل الطريق وتقع فى المنطقة المسكونة قبل أن يدخل الطريق فى القفر فى برية شور . ولا بد من أن تكون قادش وبارد محطتين تجاريتين هامتين والا لما اعتبرتا أعلاما تحدد بذكرهما المنطقة التى تقعان فيها . وعين لحى روئى التى هدى الملاك اليها هاجر لم تكن عينا مطروقة ؛ والا لاهتدت اليها هاجر من آثار الأقدام التى ترتادها ؛ ولكنها كانت أشبه بعين صغيرة فى بطن نهر جاف تسيل اليها بقايا مياه المطر مع صغار الحصى الذى كان يحميها من التبخر السريع . ومثل هذه العين يمكن التعرف اليها من البقعة التى تحيط بها وتكون مشبعة بالرطوبة التى تعلو رمالها وحصاها ؛ فاذا حفرت حفرة صغيرة فى هذه البقعة فان الماء ينبثق خلالها . وهاجر لم تكن تستطيع أن تشرب من عين عميقة اذ لم يكن لديها دلو ولا رشاء . ومن المحتمل أن تكون لحى روئى هى بعينها أم ثميلة « التى تقع على مسافة قدرها ثلاثة وعشرون كيلا فى شرقى العوجاء « أنظر خريطة بلاد العرب الحجرية لموسل » التى تقع عند التقاء الطرق من عبدى الى العوجاء ومن بئر سبع الى الجنوب .

ومما ورد فى سفر التكوين « ٢٠ : ١ » تتبين أن ابراهيم قد عبر كذلك طريق النقل الواصل بين قادش وشور حينما كان يجول بين هذين الموضعين وأنه قد استراح فى جرار . — ومن هذه الفقرة ومن غيرها كذلك فانه يتضح أن جرار لاتقع كما كان يظن دائما الى الجنوب الشرقى من غزه على الضفة الشرقية للنهر حيث توجد أطلال أم الجرار ولكنها كانت أبعد من ذلك نحو الجنوب اذ أن الأماكن المحيطة بغزة جنوبا لاتتبع شور .

وعدا النصوص التى ذكرناها آنفا — يضاف اليها ماورد فى سفر

القضـــاة « ١١ : ١٦ » حيث ترد اشـــارة مقتضبة عن خروج الاسرائيليين من مصر تذكر فيها قادش ، وما يرد كذلك فى المزامير « ٢٩ : ٨ » حيث تذكر برية قادش — فانه لايرد فى العهد القديم ذكر آخر لقادش • ومن النصوص السابقة التى عرضنا لتفسيرها فانه يتضح أن قادش كانت تعنى برية قادش أو اقليم قادش أو مدينة قادش أو عين قادش • ولذا فيجب أن تكون قادش هذه مساحة متسعة كانت خصبة فى بعض أماكنها حيث كانت تروى وكانت قاحلة فى أماكنها الأخرى حيث كان ينعدم الماء • وبهـــذه الطريقة نستطيع أن ندرك الأوصاف والملابسات المختلفة التى كانت تقترن بذكرها فى التوراة • فقد وردت الاشارات الى برية فاران التى كانت تقع فيها قادش والى برية صين التى كانت تقع فيها قادش كذلك والى قادش برنيع والى مريبة قادش أو ماء مريبة التى هى أيضا قادش • فيمكن أن نوفق بين هذه التحديدات جميعا اذا وضـــعنا قادش فى الأماكن المجاورة لأطلال بترا • فالقسم الشرقى من هذا الجوار خصب ترويه المياه والقسم الغربى صخرى قاحل ومعظمه قد حرم الماء •

« طريق الخروج »

١ — من مصر الى جبل سيناء أو حوريب :

لمـا فر بنو اسرائيل من مصر حاولوا أن ينجوا سريعا من المنطقة التى يمتد اليها نفوذها السياسى ٠ وكانت وجهتهم منطقة يتوفر لهم فيها أسباب الأمن الذى ينشدونه كما يتوفر لهم فيها ما يحتاجون اليـه من المطالب الضرورية من الطعام والمرعى ٠ وكان يشترط فى مثل هذه المنطقة أن تكون غنية بمائها ومراعيها ؛ قريبة من طريق رئيسى للقوافل ليستطيعوا أن يجلبوا ما يحتاجون اليـه عن طريق القوافل التى تمر بهـذا الطريق ٠ وقد كان موسى على علم بمنطقة تتوفر فيها جميع هـذه الشروط ٠ تلك هى أرض مدين التى كان قد لجأ اليها قبل ذلك ؛ والتى كان يقيم بها حموه كاهن مدين ؛ فيستطيع أن يلتمس فى شخصه حاميا له ولقومه من بنى اسرائيل٠ لذلك قاد موسى بنى اسرائيل الى أرض مدين مباشرة الى جبل الرب حيث تجلى له يهوڤا ٠

وأرض مدين التى أمضى فيها موسى — قبل ذلك — سنين عديدة حينما فر من فرعون تقع — كما نرى — الى الجنوب الشرقى من موضع العقبة الحالية ٠ ويتضح ذلك من أسماء الأماكن التى يرد ذكرها فى وصف طريق بنى اسرائيل وفى أسـماء المحال التى كانوا يلقون فيهـا رحالهم ٠ وأسماء هذه المنازل نجدها موزعة فى مجموعات متباينة ٠ غير أن هـذه المجموعات — لسوء الحظ — لايكمل بعضها بعضا ؛ ولا يظاهر بعضهـا البعض ٠ ولدينا — فعلا — قائمة متتابعة متصلة بأسماء هـذه الأماكن كتلك التى وردت فى سفر العـدد فى الاصحاح الثالث والثلاثين ولكنـا نجدها تتباين مع الاشـارات التى وردت فى بعض الأماكن الأخرى الى مدى بعيد ٠

ووفقا لما ورد فى سفر الخروج « ١٥ : ٢٢ » فان بنى اسرائيل قد ارتحلوا من مصر عن طريق العبور فى بحر سوف « البحر الأحمر » حيث غرق فرعون . ثم تابعوا سيرهم فى برية شور فساروا ثلاثة أيام دون أن يجدوا ماء حتى وصلوا أخيرا « سفر الخروج ١٥ : ٢٣ » الى مارة حيث وجدوا الماء وان يكن مرا زعاقا .

واذا تصورنا أن قبيلة كبيرة تلتمس — اليوم — طريقها للفرار من وجه حكومة متحضرة وجيش منظم فانها لابد سالكة طريقا سريعا متبعة أقصر الطرق وأسهلها — من بين الطرق الرئيسية — كى تستطيع النجاة من دائرة الحدود التى يمتد اليها النفوذ القانونى للقوة العسكرية التى تطاردها . وكذلك كانت الحال حين فرّ بنو اسرائيل من مصر منذ خمسة عشر قرنا قبل الميلاد . وكانت شبه جزيرة سينا تضم فى ذلك الوقت طائفة من القوات المصرية . كما كانت القبائل التى تعيش فيهما تعتمد الى حد ما على مصر اعتمادا عظيما أو يسيرا فكان لابد من أن تصلها الأوامر بتوجيه قواتها لمهاجمة بنى اسرائيل واجبارهم على العودة ثانية . فكان بنو اسرائيل مضطرين — لذلك — الى الاسراع فى عبور سيناء من قبل أن تؤيد الفصائل العسكرية الموجودة بها بمزيد آخر من المدد ومن قبل أن تصل الأوامر بتحريض القبائل البدوية للوثوب عليهم . وقد كان ارسال المدد للفصائل العسكرية وتأليب القبائل البدوية يستغرق شهرا على الأقل حتى يتم على وجه مناسب . فكان أمام بنى اسرائيل هذا القدر من المهلة كى يخلصوا من شبه جزيرة سيناء . وفى اليوم الأول كان عليهم أن يسرعوا لينجوا من التطويق الذى قد تقوم به القوات التى أرسلت عليهم من الأماكن الواقعة على بحر سوف . وفى اليوم الثانى والأيام التالية كانوا يستطيعون أن يتابعوا سيرهم فى هوادة أكثر من ذى قبل اذ كان عليهم أن يسقوا ماشيتهم وأن يهيئوا لها فسحة من الوقت للمرعى . كما كان عليهم أن يتزودوا بالماء وأن ينتظروا وصول قطعان الأغنام والماشية التى كانت تتأخر عنهم دائما . فكانت أسرع طريق وأسهلها كى يخلصوا من منطقة النفوذ المصرى هى أن يتبعوا طريق التجارة الرئيسى الواصل بين

مصر والطرف الشمالى لخليج العقبة . فيستطيع القائد وحاشيته أن يمضى فوق هذا الطريق بينما تسير بقية القوم ومعهم قطعانهم وأنعامهم على جانبى الطريق الى الشرق والى الغرب ولكن فى خطوط موازية لاتجاهه .

وفى عصرنا هذا اذا أرادت قبيلة مكونة من خمسة آلاف أسرة أن تهاجر بماشيتها وقطعانها فانها قد تؤلف مجموعة من الصفوف يكون اتساعها نحوا من عشرين كيلا ويكون طولها نحوا من خمس كيلات — ان لم يكن أكثر من ذلك — وكلما كان اتساع هذه المجموعة أكثر قدرا كلما زادت فرصة الرعى بالنسبة للماشية ولكنها تكون عرضة لتأخر الأقسام الخلفية وانقطاعها كما قد تتعرض لخطر فصل الجناحين ، وكلما كانت هذه المجموعة أكثر تركيزا وأضيق عرضا كلما امتد طولها وقلت الحشائش التى تجدها أغنام المؤخرة وكلما زاد اضطراب الصفوف واختلاط النظام ولكن تكون حينئذ أكثر قدرة على درأ الهجمات التى قد يفاجئها بها عدوها .

فاذا كان بنو اسرائيل قد خرجوا من مصر فى شهر مارس وكانت كمية الأمطار فى ذلك العام غزيرة فلا بد اذن من أن يكونوا قد صادفوا فى شبه جزيرة سيناء عديدا من البرك المتخلفة عن الأمطار تشغل جميع الحفر والمنخفضات التى توجد فى بطون الوديان على اختلاف أحجامها . ولا بد من أنهم كانوا يستطيعون فى سهولة أن يسقوا مواشيهم وأن يملأوا أسقيتهم . أما حيث يضطرون الى الاعتماد على مياه العيون البعيدة والآبار العميقة فان ذلك كان يكلفهم مشقة بالغة وجهدا عسيرا .

ونحن لانعلم موضع تلك العين التى سماها بنو اسرائيل مارّة «مرّة» اذ كان ماؤها زعاقا .

ومن مارّة هذه فانهم قد واصلوا سيرهم الى ايليم « سفر الخروج ١٥ : ٢٧ » وقد كان بايليم هذه اثنتا عشرة عينا وسبعون نخلة .

فاذا اعتمدنا ماذهبنا اليه من أن بنى اسرائيل قد درجوا فوق الطريق التجارى الرئيسى فيجب اذن أن نضع ايليم فى البقعة التى تجاور موضع العقبة جوارا مباشرا حيث توجد هناك مجموعة من العيون لاحصر لها ؛

وحيث يمكن الوصول الى الماء فى أى بقعة فيها عن طريق الحفر مقداراً يتراوح بين نصف المتر والمترين وحيث يوجد كذلك عدد عظيم من أشجار النخيل • وانى أقول ان ايليم هذه هى عين بطمة فاران « سفر التكوين ١٤ : ٦ » وهى عين مدينة ايلوث أو ايلات القديمة التى يرد ذكرها فى سفر الملوك الأول « ٩ : ٢٦ » وفى سفر الملوك الثانى « ١٤ : ٢٢ » وليس من الضرورى أن نضع معسكر بنى اسرائيل فى المحلة نفسها التى كانت تقوم فى ذلك الوقت فى نفس البقعة الهامة التى تحتلها الآن — وليس فى ذلك شك ؛ ولكن كان هـذا المعسكر — على الأرجح — الى الغرب منها بمقدار كيلين أو ثلاثة حيث يوجد — حتى اليوم — عدد من أحراش النخيل ؛ وحيث كانت توجد مخاضة عبر ذراع ضيق يمتد من الخليج ويمضى بعيداً حتى عصيون جابر « غضيان والجبل » •

ووفقا لما ورد فى سفر الخروج « ١٦ : ١ » فان بنى اسرائيل قد ساروا من مصر الى ايليم فى غضون شهر • وهذا تقدير مقارب دون شك لأننا لاندرى كم استغرقهم المرور فى أرض مصر نفسها ؛ وكم أسبوعا اقتضاهم السير فى شبه جزيرة سيناء • أما من ايليم « سفر الخروج ١٦ : ١ » فانهم قد دخلوا الى برية سين « التى تقع بين ايليم وسيناء » •

ولما كنا على علم بالبقعة التى تقع فيها أرض مدين حيث يقوم جبل حوريب فاننا نستطيع أن نتبين اذن الاتجاه الذى سار فيه بنو اسرائيل بعد رحيلهم من ايليم فقد كانوا — اذن — لايزالون يدرجون فوق الطريق التجارى الرئيسى فمضوا معه فى اتجاه جنوبى شرقى محاذين لساحل خليج العقبة — أول الأمر — ثم مبتعدين عنه بعد ذلك بمسافة قدرها خمسة وعشرون كيلا • ووفقا لهذا التفسير فان المقصود بسين هو الاقليم الجبلى الواقع فى شرق خليج العقبة • وان ذلك ليتفق مع ماورد فى سفر القضاة « ١١ : ١٦ » اذ يذكر أن بنى اسرائيل بعد صعودهم من مصر قد دخلوا القفر حتى بحر سوف •

ويقص علينا سفر الخروج « ١٧ : ١/١٣ » كيف أن بنى اسرائيل قد ارتحلوا من برية سين الى رفيديم ولم يجدوا ماءً ففجر موسى الماء

من الصخر حينما ضربه بعصاه عند مكان قريب من حوريب وكيف أن هذا الماء كان يسمى مسة ومريبة وكيف أن العمالقة قد هاجموا بنى اسرائيل هناك .

ووفقا لجميع مصادرنا فان حوريب كان يقع فى أرض مدين .

فكان الاسرائيليون اذن فى حماية أهل مدين عندما كانوا بها . ولقد كان فى امكان العمالقة أن يوجهوا غاراتهم على بنى اسرائيل الى مسافة بعيدة حتى أرض مدين ؛ ولكن ذلك لم يكن ليدخل فى حيز الاحتمال — حتما — كما أنه لم يكن من المحتمل كذلك أن يسير موسى ببنى اسرائيل الى جبل حوريب وهو على علم بأن الماء لايوجد بالقرب منه هناك . وأكثر من ذلك فاننا نعلم من نصوص أخرى « سفر العدد ٢٠ : ١٣ » أن مريبة كانت تقع قريبا من قادش التى تبعد أحد عشر يوما من حوريب حيث فجر موسى الماء كذلك بضربه الحجر بعصاه لما سرت الزمجرة بين الجموع . لذلك يجب علينا أن نذهب الى أن معجزة تفجير الماء عند حوريب وتفجيره عند قادش انما هما معجزة واحدة وليستا معجزتين . أما رفيديم فهى ليست الا مرحلة من مراحل السير تقع بين ايليم وبين جبل حوريب . وهناك بعد مسافة تقارب مائة كيل فى الاتجاه الجنوبى من العقبة « ايليم » يقع جبل الرافد وهناك فى مجاله يوجد حوض للوادى وانى أرى أنه هو عينه المقصود بكلمة رفيديم . وعلى بعد عشرين كيلا تقريبا فى اتجاه الجنوب الشرقى منه توجد واحة البدع أو مدين القديمة التى كان بنو اسرائيل قد أسرعوا اليها . وان هذا ليتفق مع ماورد فى سفر الخروج « ١٩ : ٢ » فان بنى اسرائيل قد ارتحلوا من رفيديم الى برية سيناء حيث ضربوا خيامهم فى مواجهة الجبل . وهناك وفقا لعبارة أخرى « سفر الخروج ١٨ : ٥ » فان يثرون كاهن مدين قد حضر الى موسى فى البرية حيث كان ينزل فى مواجهة جبل الرب وبعد أن تداول معه الأمر عاد الى وطنه « سفر الخروج ١٨ : ٢٧ » فالمعسكر الرئيسى لبنى اسرائيل لم يكن قائما فوق المنطقة التى كان يسكن فيها يثرون . وهذه المنطقة الأخيرة يجب البحث عنها وفقا لتضاريس الأرض

فى المنطقة التى تقع فى جنوب البدع فربما كانت مساكن يثرون هـذه فى المنطقة التى تقع فيها واحة عينونة وهي تقع فى جنوب البدع على مسافة قدرها خمسون كيلا . أما المعسكر الرئيسى لبنى اسرائيل فربما كان يقوم عند شعيب الخرب على مسافة قدرها عشرون كيلا فى شمال عينونة .

٢ — من جبل سيناء الى وادى زارد :

ومن جبل سيناء أو حوريب رغب الاسرائيليون فى أن يرحلوا الى برية فاران « سفر العدد ١٠ : ١٢ » وقد طلبوا الى حوباب بن رعوئيل المديانى « من أهل مدين » « سفر العدد ١٠ : ٢٩ » أن يصحبهم ليكون لهم رائدا ينتجع لهم أطيب المنازل التى ينزلون بها وأماكن المياه التى يتزودون منها . ووفقا لما جاء فى العهد القديم فانه كان لهم « عينا » .

وعين وجمعها عيون تعنى الرائد الذى يركب أمام قبيلته فى الغزوات يبحث لهم عن مواطن الأمن وأماكن المياه التى تنزل بها . والشأن كذلك فى القبائل المهاجرة فهى فى حاجة الى مثل هذا الرائد ولكنه يعرف حينئذ باسم « قلاّط » . وقد يفهم اذن من اطلاق كلمة « عين » على حوباب أن المحررين القدماء قد اعتبروا مسير بنى اسرائيل من سـيناء بمثابة غزوة حربية . وهذا يتفق تماما مع ماحدث فعلا اذ كان مقصد بنى اسرائيل أن يحوزوا بعض المواطن الجديدة . وبرية فاران التى دلف اليها الاسرائيليون بعد برية سيناء كانت هى بعينها النصف الجنوبى من أخدود العربة والبقاع الجبلية المجاورة له . فقد سار بنو اسرائيل اذن فى اتجاه شمال الشمال الغـربى .

والعبارات التى وردت فى سفر العدد لاتمكننا من أن نتبين — بصفة جازمة — اذا كان بنو اسرائيل قد سلكوا نفس الطريق الذى اتبعوه فى ذهابهم الى سيناء أو أنهم قد اختاروا طريقا غيره ؛ ولكن يظهر أن الوصف الذى يتضمنه هذا النص يتعلق بطريق آخر لأنه لايرد فيه أى ذكر لايليم كما نجد أنه يذكر « سفر العدد ١٠ : ٣٣ » أن القوم بعد أن قطعوا ثلاث

مراحل من جبل الرب فقد مسَّهم الضر واشتكوا شرا • فيدعونا ذلك الى أن نقدر أنهم بعد هذه الأيام الثلاثة كانوا قد بلغوا رأس وادى الأبيض فوصلوا الى البقعة التى يوجد بها قبر الولى صمويل الحالى والتى تبتدأ عندها المنطقةالانكسارية الوعرة لذا تمرد القوم فاشتعلت النار فىالمعسكر فأطلق على هذا المكان اسم تبعيرة « المعسكر المحروق » « سفر العدد ١١ : ٣ » •

ثم تابعوا سيرهم وعاقب الله هؤلاء الذين اشتهوا أكل اللحم فضربهم الله ثم دفنوا هناك ولذلك سموا هذا المكان قبروت هتأوه « ترابالتبرز » « سفر العدد ١١ : ٣٤ » ثم ارتحلوا الى حضيروت « سفر العدد ١١ : ٣٥ » وأتوقع وجود هذا المكان قريبا من أطلال الحميمة اذ يوجد هناك شعب صغير يسمى « الحزرة » ثم وصلوا بعد ذلك الى برية فاران « سفر العدد ١٢ : ١٦ » فدخلوا اليها قريبا من أطلال الحماد التى تبعد سبعين [illegible] تقريبا فى شمال الشمال الشرقى من العقبة فهناك تقترب صخور الهاوية الشرقية لأخدود العربة من سفح جبل الشراة • وقد أرسل موسى العيون وهو فى فاران لتستكشف له أرض الميعاد فعادت اليه العيون فى بريةفاران « أى قادش » بعد أن استكشف جميع الاقليم • فمن هذا يتضح أن قادش يجب أن يكون موقعها فى برية فاران اذ تكون قريبة من العربة وغير بعيدة من حدود أرض الميعاد ذاتها •

والعبارة التى وردت فىسفر التثنية « ١ : ٢ »تحدد المسافة منحوريب الى قادش برنيع عن طريق جبل سعير فتذكر أنها أحد عشر يوما • والذى يهمنا هى حقيقة أخرى أهم فى نظرنا منتحديد المسافة ؛ تلك هى أنالرحلة من حوريب الى قادش كانت عن طريق جبل سعير • فالعبارة تشير اذن الى طريق القوافل الذى يؤدى الى جبل سعير ولكنه لايمر فيه • ونجد الاشارة الى نفس هذا الطريق مرة أخرى فى سفر التثنية « ١ : ١٩ » حيث يذكر أن الاسرائيليين بعد أن ارتحلوا من حوريب جازوا بطريق جبل الأموريين خلال « تنوفة واسعة مخيفة » فطريق جبل سعير وطريق جبل الأموريين قد يكونان شيئا واحدا لأن جبل الأموريين يقوم الى الشمال

الشرقى من سعير فالطريق المؤدى اليه ليس الا امتـــدادا للطريق المؤدى الى سعير ونجد أن هذا الطريق يوصف بأنه يجتاز تنوفة واسـعة مخوفة ولكن جبل سعير كان اقليما عامرا مأهولا ذا زرع ؛ فيجب أن نفرض اذن أن الطريق المقصود كان يمر أسفل سفحه الغربى على الحدود بين سـعير وفاران • ففى ذلك الصقع يوجد — حقيقة — طريق قديم يأتى من مدين ويمر خلال وادى الأبيض ويجوز جبل ارم « رَمّ » وأطلال الحميمة ثم يتجه شمالا الى بترا ثم يمر بعد ذلك خلال ممر النمالة الى أخدود العربة ثم يتجه الى الشمال الغربى نحو حبرون أو الى شـــمال الشمال الغربى نحو غزة • وقد يكون هذا الطريق — الذى تركزت فيه التجارة الرئيسـية بين الجنوب والشـــمال « بترا وغزة » ابان العصر النبطى هو عينـه الطريق الذى يؤدى الى جبل سعير والذى يؤدى الى جبل الأموريين • فاذا كان بنو اسرائيل قد سلكوا فيه فقد وصلوا اذن الى برية فاران — فعلا — عن طريق أطلال الحميمة • فيجب أن نبحث عن موقع قادش فى جوار بترا فمن هناك يمكن رؤية جبل الأموريين وأرض الميعاد • وهـــذه الظروف تشرح السبب فى ارسال العيون الى أرض الميعاد لاستكشافها ؛ كما تفسر كذلك كيف أن بنى اسرائيل كانوا وقتئذ على استعداد للدخول اليها •

ومن فاران « أى قادش » خرج — على غير رغبة موسى — المحاربون الذين حاولوا أن يفتتحوا هذه الأرض « سفر العدد ١٤ : ٤٤ » •

ووفقا لمـــا جاء فى سفر العدد « ٢١ : ١ » نجد أن ملك عَرَاد قـــد علم باقتراب بنى اسرائيل على طريق أتاريم الذى أقبلوا فيه ونجده يخرج لمحاربتهم وانى أرى أن كلمة ha - Atarim هذه هى تحريف لكلمة ha - Amorim ومعناها طريق الأموريين « ســـفر التثنية ١ : ١٩ » واستطاع ملك عَرَاد بمحالفته الكنعانيين والعمالقة أن يهزم الاسرائيليين وأن يشردهم بعيـــدا حتى حرمة •

ويذكر سفر العدد « ٢٠ : ١ » أن بنى اسرائيل ذهبوا الى برية صين وأقاموا معسكرهم فى قادش حيث ماتت هناك مريم • — من هذا يتضح أن قادش يجب أن تكون فى تخوم بريتى فاران وصين • فاذا كان المعسكر الرئيسى لبنى اسرائيل وكذلك الهيكل « القدس » قد بقى فى قادش فان

البقية الباقية كانت تستطيع أن تضرب خيامها حوله وخاصة فى الـ
وفى الشمال الغربى من قادش فى وادى العربة الذى كان نصفه الشـ
يحف ببرية صين بل ربما كان يعتبر جزءا منها .

وبعد أن تأكدوا من أنهم لايستطيعون أن يدخلوا الأرض المقـد
اذا ساروا فى اتجاه الشمال الغربى من أجل الاستعدادات التى أعدها
هناك العمالقة والكنعانيون فانهم أرادوا أن يدخلوا الأرض المقدسة
شمال البحر الميت . ولذلك أرسلوا الرسل الى ملك أدوم « سفر الع
٢٠ : ١٦ » يسألونه أن يسمح لهم بالمرور خلال أرضه وقد كانوا وقـ
فى قادش وهى مدينة على حدود أدوم ، فطلبوا أن يسمح لهم بالمرور
طريق الملك « سفر العدد ٢٠ : ١٧ » أو أن يصعدوا فى السكة « الطر
النجدى » « سفر العدد ٢٠ : ١٩ » ومن هذا يفهم أن قادش كانت تقـ
عند نقطة اتصال طرق النقل الهامة أو أنه كان من الممكن — على الأقل
الوصول الى الطريق الملكى بسهولة ، هـذا الطريق الذى كان يخترق
أرض أدوم متجها صوب الشمال .

وعبارة « الطريق الملكى » لابد أنها كانت التسمية التى تطلق ع
الطريق الذى يمر خلال أرض أدوم المزروعة ، وكان سهلا معبدا يـ
دائما على صيانته . ويوجد طريق واحد من هـذا النوع فى سعير و
يبدأ من قمة جبل سعير الى الشمال من نقب شـتار مباشرة مارا بأطلا
أبى اللزل Aba -l- Lesel ويجاوز محلة الصـدقة والتوان خـلال الأر
المزروعة فى الشمال . وعند أطلال البسطة يتشعب من هذا الطريق شعبت
واحدة تذهب نحو الشرق الى محلة معان والأخرى نحو الغرب الى أطلا
وادى موسى « بترا » حيث تتصل بذلك الطريق الذى وصفناه آنفا والـ
يذهب الى جبل سعير أو جبل الأموريين . وانى أقول ان هـذا الطر
الآتى من أبى اللزل مارا بالصـدقة الى التوان هو بعينـه الطريق الملـ
الذى كان يريد بنو اسرائيل أن يميلوا اليـه من قادش ؛ وملك أدوم
يسمح لهـم بذلك خوفا من أن يقيموا فى أرضـه فهو يعلم أنهم كانوا
هيئة غزوة حربية وأنهم كانوا يبحثون عن أرض ووطن جديد . وعنـد

لما كان أعداؤهم من العمالقة والأموريين يقفون الى الشمال الغربى فانهم لم يرغبوا فى أن يستثيروا عداوة الأدوميين كذلك لذا عدلوا عن عزمهم وداروا حول جبل سعير .

وبعد أن تركوا قادش « سفر العدد ٢٠ : ٢٢ » وصلوا الى جبل هور على حدود أدوم وهناك مات هارون ودفن — وانى أقول ان جبل هور هذا هو بعينه المعروف بجبل هارون وهو يقع الى الجنوب من أطلال بتراء

ومن جبل هور « سفر العدد ٢١ : ٤ » فانهم تابعوا سيرهم نحو بحر سوف « البحر الأحمر » ليدوروا حول أرض أدوم . والمعنى نفسه يرد فى سفر التثنية « ٢ : ١ » حيث يذكر أنهم عادوا نحو بحر سوف وداروا حول جبل سعير .

فالطريق قد وضح اذن : فقد ارتحلوا من حوريب متجهين الى شمال الشمال الغربى فساروا بعيدا حتى قادش ولما وجدوا أنفسهم غير قادرين على الدخول الى جبال الأموريين أرادوا أن يتجهوا الى شمال الشمال الشرقى فى جبال الأدوميين . ولكن ملك أدوم لم يسمح لهم بسلوك هذا الطريق فعادوا أدراجهم متجهين نحو الجنوب الى بحر سوف من الوجهة التى أتوا منها . واذا وافقنا على أن جبل هور المذكور فى العهد القديم هو بعينه الجبل الذى يحمل اليوم اسم جبل هارون فيستتبع ذلك حتما أنهم قد ساروا الى الجنوب مارين بجبل سعير فى نفس الطريق الذى أتوا منه الى قادش . وقد استمروا فى سيرهم هذا حتى أصبحوا على مقربة من النهاية الشمالية لخليج العقبة أى أنه لم يكن بينهم وبين بحر سوف مسافة كبيرة . واذ دخلوا الى اقليم حسمى فقد اتجهوا بعد ذلك الى الشمال الشرقى ثم تابعوا سيرهم عبر منطقة الشراة الجنوبية « أو أدوم القديمة » الى معان ثم من بعد ذلك الى الشمال « سفر التثنية ٢ : ٤ »

ووفقا لما ورد فى التثنية « ٢ : ٨ » فان الاسرائيليين قد عبروا فى أرض أولاد عيسو الذى كان يسكن فى سعير على طريق العربة من ايلات وعصيون جابر ثم مالوا جانبا وتابعوا سيرهم فى اتجاه برية مؤاب .

والعهد القديم لايذكر أن بنى اسرائيل قد ذهبوا الى ايلات وعصيون جابر ولكنه يذكر فقط أنهم مروا فى طريق العربة الذى يأتى من ايلات وعصيون جابر ويمر خلال أرض أولاد عيسو الذى كان يسكن فى سعير . وهذا الطريق يبدأ من أخدود العربة الذى تقع فيه ميناء ايلات وعصيون جابر ثم يمضى خلال وادى اليتم الى اقليم حسمى ثم بعد ذلك خلال ممر شتار فى اقليم سعير ثم بعد ذلك فى اتجاه شمالى شرقى الى معان حيث يتصل بالطريق الرئيسى الذى يأتى من الجنوب الى الشمال . وقد كان البدو الضاربون الى الشرق من أدوم يسلكون هذا الطريق كى يصلوا الى ميناء ايلات وعصيون جابر . وهذا الطريق هو الذى يفصل فى المنطقة الواقعة شمال معان بين منطقة البدو ومنطقة الحضر أو بين الفيافى والأرض المزروعة . وربما كان ذلك هو السبب الذى من أجله سمى بطريق العربة أو الطريق المار بحافة البادية لأن المصادر الآشورية تطلق اسم عربى وعريبى تارة على البدو وتارة على الفيافى التى يسكنها هؤلاء البدو . ووفقا لسفر العدد « ٢١ : ١٠ » فقد وصل بنو اسرائيل بواسطة هذا الطريق الى اوبوت ثم بعد ذلك الى عيّى عباريم التى تقع فى البرية وتحف بمؤاب من الناحية التى تشرق منها الشمس وأخيرا « سفر العدد٢١:١٢ » الى وادى زارد الذى يكون الحد الشرقى لأرض مؤاب . وهذه التفصيلات تكون متفقة تماما اذا اعتبرنا أن طريق العربة الآتى من ايلات وعصيون جابر هو عينه طريق الحاج الحالى الذى يمتد على طول الحدود الشرقية لمؤاب وأدوم ، فشعبة من هذا الطريق تخرج من معان مخترقة وادى اليتم فتصل الى العقبة التى هى ايلات القديمة .

« جبل ارم وغرب التوراة »

يشير بطليموس فى جغرافيته « ٦ « ٧ : ٧٢ » الى ارماوا Aramaua الاقليم الأول من أقاليم بلاد العرب السعيدة ، كما لو كانت غير بعيدة من البحر الأحمر . فهذا الاقليم هو بعينه الاقليم المعروف باسم جبل ارم أو آرام ، والذى يسمى الآن « رَمّ » ويكوّن الحد الشمالى للحجاز .

ويذكر لبيد فى شعره « ديوان لبيد ط الخالدى ص ٢٥ » قبائل ارم وعاد وثمود الذين عصوا أمر ربهم فأهلكهم الله بعصيانهم . فقد رأى لبيد رفاتهم فى مقابرهم القديمة وقد دثروا بملابسهم وجثموا فى أفنية دورهم «[1]» .

ونفهم من نص لأبى شامة يورده فى كتابه الروضتين فى أخبار الدولتين « ط القاهرة ١٢٨٧/١٢٨٨ حـ ٢ ص ٧ » أنه فى الفترة التى كان يحتل فيها الفرنج « الصليبيون » حصن الكرك والشوبك كان الجند المصرى يقيم عسكره عند جبل ارم أثناء مرور الحجيج من أيلة الى مكة «يقيم العسكر على أيلة ليلة وعلى ارم ليلة ودون ارم ليلة وقاطع ارم ليلة » . — كان الجيش المصرى — اذن — يتولى دفع الهجمات التى كان يشنها الصليبيون على الحجيج اذ كانوا يخرجون عليهم من وادى اليتم ووادى المبرك فخلال هذين الواديين كانت تمر الطرق الآتية من جبل ارم وكانت تفضى الى طريق الحاج الخارج من أيلة الى المدينة المنورة .

---

(١) يقول لبيد :

ولقد بلت ارم وعاد كيده .·. ولقد بلته بعد ذاك ثمود

خلوا ثيابهم على عوراتهم .·. فهم بأفنية البيوت همود

ولقد سئمت من الحياة وطولها .·. وسؤال هذا الناس كيف لبيد

ويذكر ياقوت فى معجمة « ط فيستنفلد حـ ١ ص ٢١٢ » أن رسول الله عليه وسلم قد كتب بجبل ازم لبنى جفال من قبيلة جذام . ووفقا لما يذكره ياقوت فان هذا الاقليم الجبلى المرتفع يقع بين أيله وتيه بنىاسرائيل ويكون جزءا من اقليم حسمى الجبلى يقع فى أرض جذام . وأن سكان البوادى يقولون ان أشجار الكرم والصنوبر تنبت فى جبال ارم .

ولكن ياقوت يخلط دائما بين المنطقة التى تقع فى غرب خليج العقبة وغرب أخدود العربة وبين تلك التى تقع فى الشرق منهما فهو يضع تيه بنى اسرائيل الى الشرق من أيلة . والمنطقة المجاورة لجبل ارم منطقة صالحة للزراعة ومن الممكن حقا أن تزدهر فيها الكروم وأشجار الصنوبر فمن المحتمل أن يكون الأعراب قد شاهدوا فيها بعضا من البقايا القديمة لأشجار الكرم والصنوبر .

ويقول القزوينى فى كتابه عجائب المخلوقات «ط القاهرة ١٣٢١ ص ٢٢٤» ان عاداً قد كانت لهم مساكن فى ذروة الجبل المعروف بجيش ارم فى أرض قبيلة طى . ويقال انه توجد هناك نقوش فوق الأحجار وان المساكن والنقوش قد عبثت بها عوامل التعرية اذ كانت عرضة للعواصف الرملية والحرارة والصقيع وان كثيرا من هذه الآثار يمكن رؤيته فى المنطقة التى تجاور جبل ارم . — وفى القرن الثالث عشر فان اشراف قبيلة طى قد استطاعوا أن يفرضوا سلطانهم على جميع القبائل والعشائر الصغيرة التى تسكن فيما بين البحر الأحمر والبحر الميت .

وفى هذه المنطقة التى تجاور جبل ارم فانى أضع المكان الذى كان يقوم عليه « جور بَعَل » الذى يرد ذكره فى العهد القديم والذى كان يسكنه العرب . اذ تعنى الوثائق الآشورية وكذلك وثائق العهد القديم بلفظ « عرب » أو « عريبى » جميع من يسكن البادية .

ففى سفر الأيام الثانى « ٩ : ١٤ » نجد أن ملوك العرب يحضرون الى سليمان الذهب والفضة — أما الذهب والفضة فانهما كانا ينقلان من أماكن أخرى عن طريق القوافل التجارية خاصة تلك التى تأتى من الجنوب الغربى لبلاد العرب . فيجب أن نعتقد اذن أن هؤلاء الملوك العرب كانوا

يقيمون الى الجنوب من فلسطين والى الجنوب الشرقى من ميناء ايلات التى كانت تتبع سليمان حتى بعد أن انفصلت أدوم عن مملكته •

ووفقا لما ورد فى سفر الأيام الثانى « ١٧ : ١١ » فان العرب قد أتوا يهو شافط ملك يهودا « ٨٧٣/٨٤٩ ق • م » بسبعة آلاف وسبعمائة من الكباش وسبعة آلاف وسبعمائة من التيوس • فقد كان يهو شافط لايزال محتفظا بالسيطرة على ميناء ايلات وبالتالى على الطريق التجارى الذى يفضى الى الغرب والشمال الغربى • فمن المحتمل اذن أن تكون الهدايا ترسل اليه سنويا اذ كانت تقدمها القبائل التى تمر قوافلها بذلك الطريق• وأما ابنه يهورام الذى خلفه « ٨٤٩ / ٨٤٢ ق • م » فقد أضاع ايلات فكان عليه كما جاء فى سفر الأيام الثانى « ٢١ : ١٦ ، ٢٢ : ١ » أن يحارب الفلسطينيين والعرب الساكنين قريبا من الكوشيين والذين شنوا عليه الغارات وأوغلوا فيها الى مسافة بعيدة حتى يهودا نفسها فصعدوا اليها وافتتحوها •

استرجع الأدوميون اذن ميناء ايلات «سفر الأيام الثانى ٢١ : ٨/١٠» وانقضت على يهودا القبائل البدوية التى كانت تسكن فى شبه جزيرة سيناء وذلك بتحريض من الأدوميين والفلسطينيين • والوثائق الآشورية تشير كذلك الى وجود ملوك من العرب فى شبه جزيرة سيناء (Rawilson : Cuneiform vol 3, pl 35 no 4 rev., 1.2. - Winckler : Text-buch P 54) فربما كان المقصود من لفظ العرب الساكنين قريبا من الكوشيين هم هؤلاء العرب الذين كانوا يقيمون على الحدود المصرية فى القسم الغربى من شبه جزير سيناء • ولكن وفقا لوجهة نظر العهد القديم فان هؤلاء العرب هم الذين كانوا يقيمون مع قبائل الجنوب قريبا من الطريق التجارى الذى يأتى من الجنوب الغربى لبلاد العرب ويتجه نحو الشمال فتمتد شعبة منه الى سوريا وتميل الأخرى نحو مصر • فهذا الطريق كانت تحرسه فصائل عسكرية من عرب الجنوب فيجب أن نبحث اذن عن هؤلاء العرب عند الحدود الجنوبية الشرقية لشبه جزيرة سيناء فى المنطقة المجاورة لايلات •

وهذه النظرية يدعمها ما جاء فى سفر الأيام الثانى « ٢٦ : ٧ » اذ نجد أن الله قد أعان عزيا « ٧٧٩ / ٧٤٠ ق ٠ م » على الفلسطينيين وعلى العرب الساكنين فى جور بَعَل وعلى المعونيين وتمكن من أن يستعيد ميناء ايلات ولذا فقد دخل فى منازعات مع الفلسطينيين والمعونيين ٠

فالفلسطينيون كانوا يملكون غزة التى كانت تفرغ بها المتاجر التى تحضرها القوافل من الجنوب الغربى لبلاد العرب ٠ وطرق القوافل التى تصل غزة تأتى من ايلات كما تأتى من واحة معان أو مَعون ٠ ولفظ المعونيين يعنى سكان واحة معان كما يعنى كذلك الحامية العسكرية التى كانت تقيم فى هذه الواحة ٠ فهذه الحامية كان يمتد اختصاصها — دون شك — الى مسافة بعيدة حتى ميناء ايلات التى كانت تربطها بمعان شعبة هامة من شعب الطريق التجارى ٠ فلما سيطر عزيا على ميناء ايلات فقد ضبط كلا الطريقين الواصلين الى غزة ٠ وبالتالى فقد حاول اما بالطرق الودية أو العدوانية أن يضم الى جانبه المعونيين وحلفائهم من العرب الذين كانوا يسكنون الى الجنوب والجنوب الغربى من معان ٠ وانى أرى أن جور بَعَل هو بعينه الطرف الشمالى الغربى من جبال حسمى ٠ فهناك طريقان قديمان يمران خلاله كما أن جميع الاقليم تغطيه قطع الصخور التى تعرف بالقوز « واحدتها قارة » ٠

وترد الاشارات فى الكتاب المقدس الى العرب وبالتالى الى البدو ونفهم منها أنهم كانوا يقيمون الى الشرق والشمال الشرقى من أدوم ٠ ففى سفر ارميا « ٢٥ : ٢٣ » يرد التهديد بالدمار الذى سيصيب ديدان وتيماء وبوز وجميع ذوى الرؤوس المحلوقة وتضيف الفقرة التالية أن جميع ملوك البلاد العربية وجميع ملوك العرب سوف يقضى عليهم ويموتون ٠

فمن هذا النص نفهم أن المقصود بملوك البلاد العربية هو ملوك الواحات العربية ديدان وتيماء وبوز ٠ بينما توضح عبارة ملوك العرب أن المقصود بها هم جميع ذوى الرؤوس المحلوقة « البدو » وحتى — فى

وقتنا هــذا — فان جميع البدو تقريبــا يحلقون رؤوسهم ولايتركون الا خصلة من الشعر تختلف فى حجمها صغرا وكثافة .

وبعد الأسر البابلى فان العرب كانوا يقيمون قريبا من الحافة الشرقية ليهودا لأن نحميا « ٤ : ١ » يذكر أنهم هم والعمونيين قــد منعوا اليهود من اتمام الحائط المقدس .

وفى سفر أشعيا « ١٣ : ٢٠ » يذكر أن أرض بابل الأولى ستصبح خرابا فلا يرضى حتى الاعرابى « البذوى » — الذى يقنع بأخسأ بقــاع الأرض — أن يضرب فوقها خيامه .

ومن التفاصيل التى وردت فى سفر الأيام الثانى « ١٧ : ١١ » والتى ذكرناها سابقا ومن تلك التى ترد فى سفر حزقيال « ٢٧ : ٢١ » فانا نعلم أن العرب كانوا يعنون بتربية الأغنام والمــاشية التى يبيعونهــا للحضر المقيمين حولهم . ولكن مما ورد فى سفر ارميا « ٣ : ٢ » نجد أنهم كانوا يقومون كذلك بالسلب والنهب فــكانوا يكمنون الى جوار الطــريق فى انتظار من يهاجمون ويسلبون .

« فاران وبطمة فاران »

ووفقا لما ورد فى سفر التكوين « ١٤ : ٦ » فان الملوك البابليين قد حطموا الحوريين فى جبل سعير وأمعنوا فى غزوتهم بعيدا حتى بطمة فاران التى تقع فى البرية ثم عادوا بعد ذلك ووصلوا الى عين مشفاط التى هى قادش وخربوا جميع أرض العمالقة والأموريين الساكنين فى حصون تامار ثم التقوا بعد ذلك مع الملوك المتحالفين فى عمق السديم — .

فملوك بابل لابد وأن يكونوا قد ساروا نحو الجنوب ملتزمين الجانب الشرقى لمؤاب وأدوم وأوغلوا فى سيرهم حتى وصلوا الى بطمة فاران ثم عادوا بعد ذلك متجهين الى الشمال حتى وصلوا الى عمق السديم عند البحر الميت . ومن المؤكد أنهم اتبعوا الطريق التجارى الرئيسى النازل من دمشق الى الجنوب ومنه وجهوا غاراتهم على المضارب والقرى المتفرقة وهذا الطريق يمر خلال الجزء الشرقى من مؤاب وسعير . وخلال القسم الجنوبى من سعير هذا كانت تتجه شعبة من الطريق الى ميناء العقبة التى تقع عند النهاية الشمالية للخليج المسمى باسمها .

وبالقرب من العقبة تقع أطلال مدينة أيلة « ايلات » التى هى بطمة فاران بعينها — فيما نرى — . والنص يذكر أن بطمة فاران كانت تقع الى البرية أو قريبا من البرية . وهذا قد ينطبق على موضع ايلات . فالملوك كانوا يتوقعون أن يجدوا وفرة من الغنائم فى تلك المحلة التى كانت تجمع بين كونها محطة من محاط الطريق التجارى وبين كونها فى نفس الوقت ميناء للتجارة البحرية وهذه المحلة هى المسماة ببطمة فاران فسلكوا اليها خلال الطريق التجارى . وبسلوكهم هذا الطريق قد وفروا علي أنفسهم مشقة العبور فى الممرات الصعبة التى تصل بين جبل سعير

الواقع الى الغرب وبين أرض العمالقة والأموريين • ومن النص نستطيع أن نستخلص أن الملوك البابليين قد مروا خلال جبل سعير كله حتى نهايته ثم عادوا أدراجهم ثانية قريبا من بطمة فاران التى تقع وراء حدود ذلك الجبل • ونستطيع أن نفرض كذلك أن بطمة فاران لم تكن تقع فى جوار سعير نفسه • واذا سار الملوك من بطمة فاران الى الشمال فقد اتبعوا كذلك طريقا ملائما ميسورا فعلى طول ذلك الطريق — اذا صادف ذلك فصل المطر — لابد وأنهم واجدون ما يكفى حيواناتهم من المرعى وربما وجدوا كذلك عددا من قطعان الماشية مما يملكه أهل هذا الاقليم • ومن العـزبة فان الملوك كانوا يستطيعون أن يوجهوا غاراتهم الى جميع المضارب والرحال المنتشرة على جانبى الأخدود من الشرق ومن الغرب حتى عين مشفاط أو قادش التى أرى أنها كانت فى جوار بترا ، كما يستطيعون كذلك أن يشنوا الغارات على أرض العمالقة والأموريين التى كانت تقع الى الغرب والى الشمال الغربى من عين مشفاط •

والفكرة التى دعتنا الى اعتبار أن بطمة فاران هى ايلات بعينها — التى عرفت بهذا الاسم فى زمن متأخر — يؤكدها كذلك ما ورد فى سفر الملوك الأول « ١١ : ١٨ » فيواب قائد داود قد قهر أدوم وقتل جميع أفراد العائلة الملكية الا واحدا من أبناء الملك يدعى « هدد » فقد استطاع خدم القصر أن ينجوا به وحاولوا أن يفروا به الى مصر فساروا من مدين وأتوا فاران حيث أصطحبوا منها قوما لحراستهم ثم وصلوا الى مصر •

ومما ورد فى النص نستطيع أن نفرض أن عبيد الملك هؤلاء قد التمسوا — أول الأمر — ملجأ لهدد فى أرض مدين ؛ ولكنهم لم يلبثوا هناك طويلا ؛ فحاكم مدين لم يكن فى استطاعته أن يحمى هدد اذا كان يحرص على الا يضيع على نفسه ماكان يجنيه من الفوائد التى تعود عليه من المشاركة فى القوافل التجارية التى كان لابد لها من المرور خلال أرض أدوم أو على الأقل حول حدودها • وقد كان الشأن كذلك مع بقية القبائل التي كانت تسكن على حدود أدوم وكذلك الشأن مع السادة العرب من

أهل الجنوب الذين كانوا يحفظون الأمن فى المحاط والمنازل المتفرقة على طول الطريق الرئيسى للقوافل • ولقد كان ذلك معلوما جيدا لدى أعوان هدد ولذا فانهم فروا به الى مصر وهى القطر الوحيد الذى يستطيع أن يجد فيه — الى جوار الأمن التام — معونة قوية تمكنه من استرداد ملك أبيه • ولكى لايلفتوا اليهم الانظار فانهم لم ينـدمجوا فى احدى القوافل التجارية العظيمة بل ساروا مع هدد منفردين ومن المؤكد أنهم قد سلكوا خلال الطريق التجارى لكى لاتحوم حولهم الشبهة اذ كان هذا هو السبيل المطروق ولكى يجدوا فى طريقهم مايحتاجون اليه من الماء اذ كانت العيون قـد حفرت على طول ذلك الطريق • ومما ورد فى سفر الملوك الثـانى « ١٦ : ٦ » وسفر الأيام الثـانى « ٢٨ : ١٧ » فانه يتضح أن أرض أدوم نفسهـا كانت تقع الى الشرق من العـربة فملوك يهودا المتأخرون قـد اسـتولوا على ايلات بالرغم من أنهم لم يمتلكوا أدوم • وأهل أدوم على الرغم من أنهم قـد استطاعوا أخيرا أن يستردوا ايلات نفسها من ملوك يهـودا فانهم لم يستطيعوا أن يستولوا على المنطقة الواقعـة الى جنوب يهودا ولا الى الغرب من العربة • لذلك يجب علينـا أن نضع مركز أهل مدين وراء متناول جيش يواب ومعنى ذلك أنهـا كانت تقع الى الجنوب الشرقى من ايلات وليست الى الشرق منها •

وخلال تلك المنطقـة التى كان يقع فيهـا المركز الرئيسى لأهل مدين كانت تمر شعبة من شعب الطريق التجارى الرئيسى الذى يأتى من الجنوب الغربى لبلاد العرب ويتجه الى مصر • وكان هذا الفرع يصل الى العقبة الحالية « ايلات القديمة أو أيلة » فعبيد ملك أدوم قد تابعوا سيرهم خلال هذا الطريق وعبروا أخدود العربة عند ايلات ومن المؤكد أنهم لم يعبروه الى الشمال من ذلك والا لوصلوا ثانية الى أدوم « سـعير » التى كانت تمتد تخومها حتى حافة جبل سعير • فمن الطبيعى أن يتجنبوا الاتجـاه نحو الشمال لكى لايقحموا أنفسهم فى الخطر مرة ثانية ولكى لايقعوا فى أيدى الجواسيس من أتباع يواب • فاذا وافقنا على أنهم قد عبروا أخدود العربة عند العقبة فيجب علينا أن نضع فاران فى هذه المنطقة أيضا • فاذا

لم يكن فاران هى العقبة بعينها فانها على أى حال غير بعيدة منها بل يجب أن تقع فى جوارها أو فى الجزء الجنوبى الغربى من العربة .

وقد التمس هؤلاء الفارون من يدلهم أثناء الطريق ويرشدهم خلاله كما التمسوا من يخفرهم فى طريقهم ويرد عنهم هجمات البدو المقيمين بين أدوم ومصر فالتمسوا كل ذلك فى فاران — والتماس مثل هؤلاء الأدلاء يكون سهلا ميسورا فى مكان تمر فيه — أو فى جواره مباشرة — قوافل التجارة بينما لايكون الأمر على هـذا النحو اذا التمسوا ذلك فى مكان داخلى بعيد فى الصحراء .

ومن النص لانستطيع أن نجزم اذا كان المقصود بلفظ مدين هو مدينة مدين أو قبيلة مدين أو حدود هذه القبيلة فكل هذه التفسيرات ممكنـة وليس منها ما يمكن استبعاده كلية ولكن كيفما كان المقصود بهذا اللفظ فان مدين يجب أن يكون موضعها خارج أدوم والى الجنوب منها اذ لايعقل أن يكون عبيد الملك وقد اصطحبوا ولى عهده قـد خاطروا بأنفسهم الى حد أنهم عبروا الى فاران خلال أرض أدوم التى كان يحتلها جيش يواب . وفاران كانت تقع بين مصر وأدوم فهى اذن الى الغرب من أدوم نفسها . وأكثر من ذلك فان فاران لم يكن لفظا يطلق على مدينـة فحسب بل كان يطلق كذلك على منطقة أو اقليم مستقل عن أدوم اذ لم يكن جيش يواب قد احتله .

وميناء ايلات التى هى بطمة فاران أو فاران - فيما نرى - لاتقع فى أرض أدوم نفسها كما أنهـا لم تكن - بكل تأكيد - تابعـة لأدوم فى وقت ما تبعية خالصة فقد كان سكان الميناء ومن ورائهم هؤلاء الذين كانوا يتعهدون الطريق التجارى -- سواء كانوا من عرب الجنوب أو من غيرهم ممن يسكن حول ايلات فى جنوبها الشرقى ؛ أو فى شرقها ؛ أو الى الغرب منهـا ؛ أو الى الشمال الغـربى — كانوا جميعـا يحرصون على الا تتحصن حاميـة أدومية بمينائهم « ايلات » والا لذهب الموظفـون الأدوميون بما كان يجبى هنـاك واستأثروا به من دونهم جميعـا . ومن

نصوص العهد القديم نجد أن الأدوميون قد سيطروا على ايلات سيطرة مؤقتة وفى الوقت الذى يتمكن فيه يواب من السيطرة على ايلات فانه يستطيع أن يضبط أخدود العربة جميعه حتى نهايته عند البحر الأحمر فيصبح السفر خفية من الشرق الى الغرب نحو مصر أمراً محفوفاً بأعظم الأخطار ان لم يكن من قبيل المستحيلات • فيجب اذن أن نفترض أن عبيد الملك قد أنقذوا « هدد » ولى العهد قبل أن يتمكن جيش يهودا من الوصول الى البحر الأحمر • فاذا فهمنا أن المقصود من لفظ فاران هو المحلة أو المدينة ، فيجب أن تكون هى بعينها بطمة فاران أو ايلات ؛ واذا فهمنا أن المقصود من هذا اللفظ هو منطقه واسعة أو اقليم ممتد فيجب أن نضع مكانها فى أخدود العربة • ويجب أن نحدد المكان الذى عنده عبر عبيد الملك مع ولى العهد أخدود العربة عند النقطة التى يعبر عندهاطريق النقل التجارى ، غير بعيد من ايلات •

ونجد فى سفر صموئيل الأول « ٢٥ : ١ » أن داود قد صعد الجبل عند عين جدى ثم انحدر منه الى برية فاران حيث أرسل الرسل الى نابال زوج ابيجايل من أهل معان « مَعون » •

ومعلوم أن موضع عين جدى يقع على الشاطىء الشرقى للبحر الميت وأن موضع معان يقع الى الجنوب الشرقى منه • ولكن أخدود العربة — الذى يطلق فى العهد القديم على الجزء الجنوبى منه اسم فاران — كما نرى — يمتد من البحر الأحمر حتى البحر الميت • ففى الأرض المنخفضة التى تقع عند البحر الميت يجب أن نضع البرية المسماة بفاران التى انتظر فيها داود برجاله • ولكن يظهر أن كلمة فاران قد وجدت طريقها الى هذا النص عن طريق تحريف فى كتابة لفظ معان • وهذا يحدث فى سهولة من جراء التشابه الشديد بين الحرفين الأولين الساكنين من الكلمتين وخاصة فى كتابتهما القديمة • وحتى لو أصررنا على وجود كلمة فاران فى هذا النص فانه لايجب أن نمد برية فاران الى البحر الميت نفسه فنستطيع أن نقول ان الرعاة الذين كانوا يرعون أغنام نابال كانوا ينزلون

خلال فصل المطر فى أخدود العربة على مسافة من معـان وأن داود كان يحميهم من غارات البدو المختلفين • وعلى الرغم من أننا لم نصل الى يقين مطلق فى شأن فاران هذه المذكورة فى هذا النص فاننا نرى أن هذا النص نفسه يحملنا على أن نضعها فى أخدود العربة أو على الأقل عند حافته •

وهذا المكان هو عينه الذى نصل اليه اذا استعرضنا المواضع الأولى التى حل فيها اسماعيل • فانه وفقا لما ورد فى سفر التكوين « ٢١ : ٢١ » فانه قد سكن فى برية فاران • ووفقا للنصوص الآشورية ونصوص العهد القديم فان سلالة اسماعيل كانت تحل فى المنطقة الواقعة الى شمال البحر الأحمر وتمتد من حدود مصر حتى دومة الجنـدل ؛ وأن العربة أو فاران قد كانت لهم بمثابة المركز الذى ينتشرون منه شرقا وغربا •

وفى النصوص التى تتعلق بهجرة بنى اسرائيل من جبل سيناء الى أرض الميعاد توجد اشارات الى فاران ولا تتعارض واحدة منهـا مع تحديدنا الذى ذهبنا اليه •

ووفقا لما ورد فى سفر العدد « ١٠ : ١٢ » فان بنى اسرائيل بعـد أن رحلوا من برية سـيناء حلوا فى برية فاران • ووفقا لمـا ورد فى الاصحاح الثالث عشر « ٣ » فان موسى قد أرسل العيون من هناك الى أرض الميعاد وهؤلاء قد تقدموا من فاران الى صين ثم عادوا « ٢٦ » « الى برية فاران التى هى قادش » •

وبرية صين هى المنطقة التى تقع فى الغرب من شمال سعير وفى الجنوب من أرض فلسطين • وقد تقدم الجواسيس الذين أرادوا أن يستكشفوا أرض الميعاد « وهى فلسطين نفسها » من فاران الى صين • وهذا ممكن تماما اذا اعتبرنا أن فاران هى بعينها النصف الجنوبى من العربة • فالعيون قد تقدموا الى الشمال الغربى فأصبحوا فى البرية المعروفة فى العهد القديم باسم صين ثم تقدموا بعـد ذلك الى الجزء الجنوبى من فلسـطين وجبل الأموريين • ولما عادوا أدراجهم فقد أصبحوا فى برية فاران أو قادش التى وضعناها فى المنطقة المجاورة لبترا على حدود فاران وصين •

والأخبار التى تتعلق باقامة بنى اسرائيل فى فاران ترد فى سفر التثنية « ٣٣ : ٢ » حيث نجده يذكر أن يهوفا جاء من سيناء وتجلى على شعبه من جبل سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من مربيات قادش «[1]» .
ويتكرر هذا ثانية فى سفر حبقوق « ٣ : ٣ » اذ يذكر أن الله أقبل من القدوس من جبل فاران .

والمقصود بجبل فاران هنا هو حافة الهضبة المنكسرة الواقعة فى مجاورة العربة شرقا والتى تمتد حتى جبل سعير .

---

(١) فى الترجمة العربية « ربوات القدس »

(مدينة مدين . أهل مدين جبل الرب)

١ ـــ مدينة مدين :

يقول فلافيوس يوسفيوس « Archaeologia ط Naber حـ ٢ : ٢٥٧ » ان موسى قد فر الى مدينة مدين المواجهة للبحر الأحمر • — وهذا يدل على أن مدينة مدين قد كانت معروفة معرفة عامة فى أوائل التاريخ المسيحى • ومدينة الحوراء ، مدينة أهل مدين القديمة ، التى تقع قريبا من واحة البدع لم يكن النبطيون — حتى القرن الأول قبل الميلاد — قد قاموا بعد بتحصينها وتوسيعها • ولهذا نستطيع أن نفهم لماذا لم يعن الكتاب — الذين كانوا أسبق من ذلك عهدا — بذكرها والاشارة اليها ، على الرغم من معرفتهم الجيدة بالاقليم الذى كانت تقع فيه •

ويذكر أوزيب القيصرى فى كتابه الأعلام Onomasticon « ط كلوسترمن ص ١٢٤ » أن مديم مدينة سميت باسم أحد أولاد ابراهيم من زوجته قطورة • وهى تقع وراء المقاطعة العربية «Arabia» فى الجنوب ، فى بادية العرب الرحل « Saracens » ، الى الشرق من البحر الأحمر • — فبهذا يضع أوزيب وكذلك جيروم « أنظر المرجع المذكور ص١٢٥» مدينة مدين فيما وراء حدود المقاطعة العربية ، التى كانت حدودها الثابتة — من قبل الجنوب — تطابق دائما الحدود الشمالية لبلاد العرب السعيدة ، عند السفح الجنوبى لجبل الشراة •

ووفقا لما جاء فى القرآن « ١١ : ٨٥ ، ٢٢ : ٢٩،٤٣ : ٥٠،٣٥ : ١٣ » فان شعيبا أتى أهل مدين أو أصحاب الأيكة « الشجر الملتف الكثيف » فنهاهم عن عبادة الأوثان كما أمرهم أن يقيموا الوزن بالقسط ولا يخسروا الميزان • فلما كذبوه أخذتهم الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين •

ويروى فى بعض الأحاديث « الطبرى : التاريخ ط دى غوية ٤٥٨ »

ـ موسى خرج من مصر الى مدين وبينهما مسيرة ثمانى ليال وكان يقال نحو من الكوفة الى البصرة ولم يكن له طعام الا ورق الشجر فخرج حافيا فما وصل اليها حتى وقع خف قدمه .

ويذكر ابن هشام « السيرة ط فيستنفلد ص ٩٩٤ » بعد غزوة جذام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين فأصاب سبيا من أهل ميناء وهى السواحل وفيها جماع من الناس . — وعبارة ابن هشام لاتوضح لنا اذا كان زيد فى غزوته هذه قد وصل الى مدينة مدين ، ولكن مادامت الاشارة قد وردت الى الميناء المتصلة بمدين فالغالب على الظن أن زيدا قد ملك الفرضة الموجودة فى ذلك المكان على الرغم من أنها كانت تبعد فعلا مسافة قدرها ثلاثة وأربعون كيلا عن مدينة الاقليم التى يحتمل أن يكون موقعها فى البقعة الموجودة عند مصب وادى قيال . وأقرب شواطىء خليج العقبة بالنسبة الى هذه المدينة كان يقع على مسافة قدرها خمسةوعشرون كيلا ، ولكن كان الوصول الىهذا الشاطىء عسيرا سواء بالبر أو بالبحر . فالمرور من البحر محفوف بالأخطار لوجود الصخور التى تعترض مدخل الخليج عند البحر الأحمر ولأنه لا يوجد فى الخليج مرسى تأمن السفن فيه ولا شاطىء يمكن النزول اليه .

وبطليموس فى جغرافيته « ٦ « ٧ : ٢ » » يشير الى أن فرضة مدين تقع الى الجنوب منها ، فهى لذلك تقع وراء خليج العقبة .

ويعد ابن خرداذبة « المسالك ط دى غوية ص ١٢٩ » وابن رسته « الاعلاق النفيسة ط دى غوية ص ١٧٧ » الفرع ، وذا المروة ، ووادى القرى ، ومدين ، وخيبر ضمن أعراض المدينة المنورة .

وفى زمن اليعقوبى « البلدان ط دى غوية ص ٣٤١ » كان يعيش فى مدينة مدين القديمة أخلاط من الناس وكانت لهم الأجنة والبساتين والنخل وكانت بها العيون الكثيرة والأنهار المطردة العذبة .

والهمداني فى صفة جزيرة العرب « ط مولر ص ١٢٩ » يذكر مدين فى أرض قبيلة جذام •

والمقدسى فى كتابه أحسن التقاسيم « ط دى غوية ص ١٥٥ » لا يذكر مدينة مدين ضمن أعمال المدينة ولكنه يضيفها الى اقليم الشراة الشامى وحاضرة هذا الاقليم هى مدينة صغر ويتبعها كذلك مؤاب ، والربه ، ومعان ، وتبوك ، وأذرع ، وويلة « أيلة » • وفى مكان آخر « ص ١٧٨ » فانه يذكر أن مدين هى حد الحجاز كما أن جميع الأماكن الواقعة على ساحل البحر تتبع الجزيرة العربية • وفى زمنه كان فى مدين حجر يقال انه هو الذى رفعه موسى حين استسقى لغنم شعيب • وكانت توجد هناك وفرة من المياه • وكان سكان مدين يستعملون القسابس والمكاييل الشامية • — ومما يذكره المقدسى تتبين أن اقليم الشراة كان يمتد من ناحية الشمال الى الوادى المسمى بالموجب وهو الحد الشمالى لمؤاب ومن ناحية الجنوب فقد كان يمتد حتى جنوب تبوك • والسبب فى ادخال تبوك ومدين فى أعمال الشام هو أن كلا المكانين كان يعتبر جزءا من سوريا • فالحد الشمالى للحجاز كان معرض خلاف من ناحية تحديده والسبب فى ذلك هو أن البعض حين يحدده انما يعنى الحد الطبيعى بينما يعنى البعض الآخر الحد الادارى •

ويضيف البكرى « معجم ط فيستنفلد ٥١٦ » مدينة مدين الى الشام ويقول انها تقع على الطريق تلقاء غزة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل سرية الى مدين تحت امرة زيد بن حارثة فأصاب سبيا من أهل ميناء • ووفقا لما ذكره ابن اسحق فان ميناء هى السواحل •

وعن ابن عباس « البكرى : معجم ص ١٣٥ — الزبيدى : تاج العروس «بولاق١٣٠٧/٨ هـ» حـ٧ ص ١٠٤ — ابن منظور : لسان العرب « بولاق ١٣٠٠ ٧ هـ » حـ ١٢ ص ٢٧٤ » فان الأيكة المذكورة فى القرآن كان يسكنها قوم شعيب • وقد روى عن ابن عباس فى موقعها روايتان احداهما أن الأيكة من مدين الى شعب وبدا • والثانية أنها من ساحل البحر الى مدين • وكان شجرهم المقل « الدوم » •

وأسفل أرض مدين — حتى وقتنا الحالى — فان الوادى فيما بين البدع وساحل البحر تغطيه الأحراش الكثيفة التى يتميز من بينها نخيل الدوم . ولكن الطريق من مدين الى بدا يمر خلال واحات عدة غزيرة المياه تملؤها الخضرة ، وكانت هذه الواحات تابعة لأهل مدين . وهناك نص طريف لابن منظور « لسان العرب » عن سبب تسميتها بالأيكة وهو أن لفظ الأيكة يعنى الشجر الملتف أو الغيضة كما يعنى كذلك اسم « ليكة » وهى البلد حولها . فليكة تذكرنا بالكلمة اليونانية Leuke ومعناها الأبيض والجزء من أطلال مدين الواقع على حافة الغيضة لازال يعرف بالحوراء وهو يعنى كذلك البياض .

والادريسى فى كتابه نزهة المشتاق « الاقليم الثالث الجزء الخامس » يتبع البلخى فيقول ان المسافة بين مدين وأيلة خمس مراحل . وبين مدين وتبوك التى تقع فى البرية شرقا ست مراحل . وفى عهده « عام ١١٥٤ م » فان مدينة مدين كانت أكبر من تبوك وكانت البئر التى استسقى منها موسى لغنم شعيب معروفة بها فى ذلك العهد . — من هذا يتبين أنه كان هناك طريقان يجوزان فوق المرتفعات بأرض مدين . أما الأول فيأتى من فلسطين ومصر عن طريق أيلة محاذيا لساحل البحر ومتجها نحو الجنوب ومنه تخرج شعبتان واحدة الى المدينة والأخرى الى مكة . وأما الطريق الآخر فكان يتجه الى الشرق نحو تبوك ومن ثم الى تيماء أو الى الحجر . والمسافة من مدين الى أيلة تقارب مائة وخمسة وعشرين كيلا ، والى تبوك تقارب مائة وأربعين كيلا . فالبلخى يقدر هاتين المسافتين وفق معدل السير البطىء الذى تسير به قوافل التجارة .

وأما ياقوت « معجم ط فيستنفلد ٤ : ٤٥١ » فانه يذكر الشىء الكثير عن مدين فهو يروى عن أبى زيد البلخى « المتوفى عام ٩٣١ م » أن مدين تقع على بحر القلزم محاذية لتبوك على ست مراحل منها وهى أكبر من تبوك وبها البئر التى استسقى منها موسى لغنم شعيب . وقد رأى البلخى نفسه هذه البئر وقد بنى فوقها بيت . وأهل مدين يشربون منها . واسم

مدين هو فى أصله اسم لقبيلة شـعيب وهم من ولد مدين بن ابراهيم • ومحمد بن سلامة بن جعفر القضـاعى « المتوفى ١٠٦٢ م » يعتبر مدين وضواحيها من أعمال مصر العليـا • ويقول محمد بن موسى الحـازمى « المتوفى ١١٨٨ م » ان مدين تقع بين وادى القرى والشام • وفى شـعر كثيّر عزة يُذكر رهبان مدين •

ويذكر القزوينى مدينة مدين فى كتابه عجائب المخلوقات « ط فيستنفلد مجلد ٢ ص ١٧٣ » ويقول انها سوق تبوك وهى تقع بين المدينة والشام • وفيها البئر التى استسقى منها موسى لغنم شعيب وقد بلغه أن هذه البئر قد طمت وأن بيتا قد بنى فوقها واليه يأوى الحجاج • — ومن هذا النص تبين أن القوافل كانت تمر بطريق الساحل وأن أهل تبوك كانوا يجلبون ما يحتاجون اليه من مدين التى كانت تقع على ثانى الطريقين والذى قـد ذكره الادريسى •

ولقـد حج المقريزى « أحمد » مرتين وزار مدين • وهو فى كتـابه المسمى بالمواعظ والاعتبار « مخطوط نسخة Vindobonensis No. 908 (AF 69) لوحة ١٠ ب ، ٣٦ ب ، ١٤٣ ب ونشرة ڤيت ص ٣١١ » يَعـدّ الأمـاكـن الحجازية الآتية ضمن اقليم القبلة المصرى : الطور ، فاران ، أيلة ، مدين ، العونيد ، الحوراء ، بدا ، شغب • ووفقا لما ذكره فان مدينـة مدين تقع على خليج القلزم على خمس مراحل من أيلة وبها معايش ضعيفة وتجارات كاسدة وبها عمارة ومبان • —

من الطريف أن نجد الطور وفاران — على الرغم من وجودهما فى شبه جزيرة سيناء — يعتبران رسميا من الحجاز • وفاران هى نفسهـا تاران التى تذكر فى ص ٦١ من نشرة ڤيت وتاران هنـاك خطأ فالهجاء الصحيح هو مدينـة فاران ، اذ أن جزيرة تاران خارجة عن المقـام وفى مخطوط Vindobonensis لوحة ١٠ ب ترد عبارة عن موقع فاران بين مدينتى القلزم وأيلة • وكذلك فان الهجاء الذى كتبت به العونيد فى نشرة ڤيت غير صحيح كما يتضح فى تعليق على المخطوط (L3) فى مكتبة جامعة ليـدن Sig. 828

« أنظـر تعليق ٢١ من نشرة ڤيت ص ٣١١ » والصحيح العوينـد حيث يضاف الى المقطع الأول ياء التصغير • وأكثر من ذلك فان سكان الاقاليم هناك ينطقون الاسم : عَوَيند أو عويند •

وفى أوائل القرن الخامس عشر نرى أن مدينة مدين التى كانت ذات شهرة فى يوم ما قـد أصبحت قرية فقيرة • وهـذه المبانى العظيمة التى يذكرها المقريزى ربمـا كانت مقابر النبطيين وقـد قطعت من الصخور المجاورة •

وحاجى خليفة فى كتابه جهان نما « القسطنطينية ١١٤٥ هـ ص٥٢٥ » يصف مدين فيقول ان مدين أطلال على ساحل البحر تقع على ست مراحل الى الغـرب من تبوك وعلى مقربة منها فان النـاس يتعرفون على صخرة يقولون انها هى التى انبثق منها الماء بأمر موسى • وهناك ينمو كثير من الأثل وشجر المقل والنخيل وتوجد فى الوادى أسوار قديمة وصفائح من الأحجار عليها نقوش وأسماء للملوك عديدين •

والعبارة التى تقول بأن الناس يتعرفون هناك على صخرة انبثق منهـا الماء بأمر موسى عبارة ترجع الى زمن متأخر لأنه فى القرون السابقـة كان يتعرف على هذه الصخرة قريبا من بترا • والصخور المذكورة فى هـذا المقام تقع الى الغرب من أماكن المقابر ولكن لايسيل منها الماء ولا بالقرب منها • وصفائح الحجارة ذات النقوش التى يشـير اليها حاجى خليفه من الممكن أن تكون بعضـا من البقـايا التى تساقطت من حوائط المقـابر وواجهاتها والتى نشاهد عليها بقايا النقوش النبطية فى أماكن متعـددة • وعلى كل حال فمن الممكن أن يكون هناك فى مدين — على عهـد حاجى خليفة — بعض صفائح من الحجارة التى تخلفت عن المقابر النبطية وعليها النقوش القديمة ، ولكن أهل البلاد الحاليين لا علم لهم بمثل هذه الأحجار وليست لديهم أية معرفة عن مكان مايحوى مثل هذه الأحجار ذات النقوش •
وان واحة البدع التى هى احدى المنازل من الطريق الساحلى تسمى

مغاير شعيب لأن نبى الله شعيباً — فيما يقال — كان يتعبد الله تعالى فى تلك المغاير وله فى مغارة منهـا بلاطة كبيرة مستوية كان يصلى عليهـا . وذكر لنا أن رجلان كان مرة هناك فشم رائحة طيبة فتتبع تلك الرائحة الى أن وصل الى تلك المغارة فوجد فى داخلها رجلا فى تابوت بكفن أبيض ووجد الرائحة تخرج منه وعلى المغارة المهابة والنور والجلال «عبد الغنى النابلسى « ١٦٩٨ » حقيقـة مخطوط Vindobonensis رقم ١٢٦٩ (Mxt. 712) مجلد ٢ لوحة ١٢ ب »

٢ — قبيلة مدين

والمحلة الرئيسية التى كانت تسكنها قبيلة مدين تقع — فيما أرى — فى المنطقة المجاورة لواحة البدع . ووفقا لما ورد فى التوراة فان أهل مدين ينحدرون من نسل ابراهيم من زوجتـه قطورة . ونجد كذلك اشـارات الى هذه السلالة فى الوثائق الآشورية . ولكن لاتوجد فى هـذه الوثائق تفصيلات كافية تمكننا من أن نحدد بالضبط الحدود الجنوبية والشرقية للمنطقة التى كانوا يحتلونها . فالنصوص الآشورية والعبرية تضع أماكنهم ومضاربهم الى الجنوب والجنوب الغربى من معون « معان » والى الشرق والجنوب الشرقى من خليج العقبة . وأقصى حدودهم من الجنوب — التى وقفنا عليهـا حتى الآن — هى واحة ديدان أو العـلا الحالية . والقبيلة الرئيسية التى كانوا يسمون باسمها « مدين » كانت تسكن اقليم حسمى والتخوم المجاورة له . وبعبارة أخرى فقد كانت تسكن فى المنطقـة التى أخبر الـكتاب الأقدمون من اليونان والرومان « الـكلاسيك » بوجود المدينيين بها .

وهناك ملاحظة طريفة وهى أننا نجد فى سفر التكوين « ٢٥ : ٦ » أن أولاد ابراهيم من زوجته قطورة قد ذهبوا فى حياته نحو الشرق فى أرض قـدم « الأرض الشرقية » . ولما كان ابراهيم واسحق يسكنان فى جنوب فلسطين وفى الجزء الشمالى من شبه جزيرة سيناء فان هذه السلالة المذكورة قد تركت شبه جزيرة سيناء وذهبت نحو الشرق فى الأرض الشرقيـة . وعند البدو فان كلمة شرق تعنى قلب البادية كمـا تعنى كذلك الشرق . فاذا ارتحل البـدو فى أواخر أغسطس من حـدود الحضر فانهم يتجهون

« نحو الشرق فى الأرض الشرقيه » « شَرَّقوا » بصرف النظر عن الاتجاه الذى يأخذونه . فاذا شرقت قبائل الرولة فى الأرض الشرقية فانهم يتجهون عادة فى اتجاه جنوبى أو جنوبى شرقى واذا شرقت قبائل عمارات الضاربة على الحدود الغربية للعراق وذهبت الى الأرض الشرقية فانهم يتخذون طريقهم — فعلا — نحو الغرب . ولذلك فان كلمة قِـدِم العبرية يجب الا تترجم دائما بكلمة الشرق اذ أنها تعنى كذلك « قلب البادية » فمعنى العبارة التى وردت فى سفر التكوين « ٢٥ : ٦ » هى أن أولاد ابراهيم من زوجته قطورة تركوا شبه جزيرة سيناء وأوغلوا فى قلب البادية « قِـدِم » فلا نستطيع اذن أن نبحث عن الأماكن التى كانوا يسكنونها فى غرب أخدود العربة .

والعهد القديم يشير الى وجود أهل مدين فى مكانين منفصلين تماما يقع كل واحد منهما على مسافة بعيدة من الآخر . وربما كان الأول أقرب نوعا ما ، فهو يقع الى الشرق والشمال الشرقى من البحر الميت . وعلى الرغم من أن موقع المكان الآخر لايمكن التعرف عليه بصفة جازمة من نصوص العهد القديم الا انه يجب أن يوضع دون شك الى الجنوب والجنوب الشرقى من أدوم حيث تشير الوثائق الآشورية واشارات الكتاب الأقدمين « الكلاسيك » .

ونجد فى سفر التكوين « ٣٧ : ٢٥ » أن التجار الاسماعيليين أقبلوا من جلعاد فوق الجمال ومعهم مختلف أنواع العطارة والطيب لينزلوا بها الى مصر . فوصلوا الى الجب الذى ألقى فيه يوسف . ووفقا لما ذكر بعد ذلك « ٣٧ : ٢٨ » فان التجار من أهل مدين قد أخرجوه واشتروه ثم أخذوه معهم الى مصر «[1]» . وفى هذا المقام لابد أن يكون اسم المدينيين والاسماعيليين قد ناب كل منهما عن الآخر . فالقافلة التى كانت تحمل البخور والعطور الى مصر يظن أنها قد عدلت عن الطريق الرئيسى الذى يصل بين الجنوب وبين فينيقيا ودمشق فمالت الى طريق مصر فمرت خلال جلعاد اذ من غير الممكن أن نجزم بأنها قد أتت من جلعاد وأن أهل

(١) الترجمة العربية تذكر ان المدينيين اخرجوه وباعوه الى الاسماعيليين الذين اخذوه الى مصر .

مدين كانوا يقيمون هناك . فاذا كانت القافلة التجارية قد فصلت عن الطريق الواصل بين الجنوب والشمال فلا بد وأنها كانت تضم قوما من الاسماعيليين وقوما من أهل مدين . أما أن تكون هذه البخور والعطور — التى تحملها القافلة — ملكا لتجار من الاسماعيليين أو من أهل مدين أو من غيرهما من تجار الجملة الآخرين من عرب الجنوب، فان التوراة لاتذكر لنا شيئا عن ذلك . كما أننا لانعلم أى أنواع العطور هو المقصود بالذكر فى هذا المقام لأنه من الممكن أن يكون الاسماعيليون وأهل مدين قد استطاعوا أن يجمعوا بعض أنواع من عطور الراتنج وشجر الرطم « التربنتينا » وبعض أنواع مختلفة من الأكاسيا فقد كانت مادة للتجارة كذلك وكانت تروج فى مصر ، ولا زالت تروج بها حتى الآن . وقد كنا نتوقع أن تكون الاشارة فى هذا المقام الى تجار من سبأ أو من معون « معان » بدلا من أن تكون للتجار من أهل مدين . وكذلك فانه يستحيل أن تتبين بصفة مؤكدة من أين جاء هؤلاء التجار من أهل مدين ؛ هل جاءوا من الاقليم الواقع الى الشمال الشرقى من البحر الميت ؛ أم من ذلك الواقع الى جنوب أدوم ؟ طالما كان فى استطاعتهم أن يؤجروا رواحلهم لأصحاب القوافل التجارية التى قد تتجه الى أى اقليم مهما يكن موقعه من اقليمهم الذى يقيمون فيه .

ونجد فى سفر العدد « ٢٢ : ٤ ، ٧ » أن شيوخ أهل مدين قد عقدوا حلفا مع ملك مؤاب فى أرض مؤاب الشمالية ضد موسى وبنى اسرائيل . ووفقا لما ورد فى سفر العدد « ٢٥ : ١٧ » فان موسى كان مضطرا لأن يعلن الحرب على أهل مدين لأن بنات مدين قد أضللن بنى اسرائيل وأغوينهم حين كانوا فى شطيم عند الأردن .

وعن أمر موسى « سفر العدد ٣١ : ١/١٢ » فان بنى اسرائيل قد أغاروا على أهل مدين وقتلوا أربعة من ملوكهم وغنموا رواحلهم وما شيتهم وأضرموا النار فى جميع قراهم ومضاربهم .

ومما ورد فى سفر يشوع « ١٣ : ٢١ » نتبين أن ملوك مدين هؤلاء

كانوا يسكنون فى أرض سيمون ، مَلِك حشبون . — وسيمون ملك حشبون لم يكن مؤابيا ولكنه أجنبى طرد المؤابيين من أرضهم فى شمال الأرنون وأقام هناك فى مدينة حشبون . فمن الممكن بل ربما كان ذلك هو الاحتمال الأصدق أن أهل مدين قد صحبوه من أرضهم الأصلية واستقروا معه فى الأرض التى أعانوه على امتلاكها . ونجد أنهم كانوا يسكنون المدن والكور أو بمعنى آخر أنهم كانوا يشتغلون بالزراعة كما كانوا يتعاطون الحرف الأخرى . والمدن التى كانت فى حوزتهم كانت تدفع لهم الخراج وكان السكان المقيمون بها يزرعون لهم الأرض فى مقابل النصف أو الثلث من المحصول .

وبنو اسرائيل فى عهد موسى قد هزموا أهل مدين ولكنهم لم يقضوا عليهم لأنا نجد فى سفر القضاة فى الاصحاح السادس بعض فقرات عن الآلام التى كان يعانيها بنو اسرائيل بسبب أهل مدين ، اذ تحالف أهل مدين مع العمالقة وبنى قِدِم « بدو المشرق » وأقبلوا بجمالهم الى أرض الميعاد يخربون الحقول والبساتين ويسلبونهم الماشية والقطعان والحمير وقد وصلوا فى غزوهم هذا بعيدا حتى غزة . ووفقا لما ذكر فى سفر القضاة « ٦ : ٣٣ » فان أهل مدين قد أقبلوا عبر الأردن . وأنهم قد فروا راجعين عبر الماء « المنهل — الجدول » « سفر القضاة ٧ : ٢٤ » .

وتبين من سفر القضاة « ٨ : ١٠ » كيف أن اثنين من رؤساء مدين فى تقهقرهم نحو الشرق قد ساروا من الأردن الى قَرْقَر وكيف أن جدعون قد تبعهم برجاله مطاردا اياهم على « طريق البدو » الواقع شرقى نُوبَح ويجبهة . وكيف أنه استطاع عن طريق المفاجأة والمباغتة أن يهزم العسكر ويأسر الرئيسين ويزعج الجنود . ثم عاد أدراجه الى وطنه « سفر القضاة ٨ : ١٣ » بالصعود فى عقبة حارس .

وهذا النص يدل فى وضوح على أن الذين أزعجوا بنى اسرائيل لم يكونوا أهل مدين فقط بل ان رؤساءهم كانوا يقودون كذلك قبائل

مختصة من البدو ، لأن لفظ بنى قدم كان تعبيرا شائعا يطلق على رعاة الابل جميعا • فلما وطئت هذه القبائلُ المتحالفةُ أرض الميعـاد وخربتها حتى غزة كان ذلك مشجعا للعمالقه كى ينضموا اليهم • .

وأهل مدين وبنو قدم الذين ترجع اليهم — كما يذكر العهد القديم — القبائل الاسماعيلية المختلفة لتى تسكن الى شرق مؤاب وعمون قد أقبلوا من الشرق عبر الأردن ثم فروا عائدين الى الشرق ، وقـد تبعهم جدعون فوق « طريق البادية » • واذا أنبئنا بمثل هـذا الحدث فى وقتنا الحاضر فانى لا أتردد فى تحديد « طريق البادية » هذا • فأرض النقرة التى تمتد بين دمشق وبين نهر يبوك القديم — وهو المعروف الآن بالزرقا — يحدها من الشرق جبل حوران والمنطقة البركانية الوعرة • وفى شرق دمشق بين هذه المنطقة البركانية وبين السلسلة الجبلية الممتدة من جبال الشام «لبنان الداخلية » حتى أعالى الفرات لايزال يوجد حتى الآن ممر يضيق فى بعض المواضع حتى يصل الى ست مئات من الأمتار ؛ وخلال هـذا الممر يمكن الدخول — فى سهولة — من البادية الى أرض النقرة وهذا الباب الذى أقامته الطبيعة يوجد باب آخر مماثل له يفضىْ الى الجنـوب الشرقى من درعا وهو يقع بين النهاية الجنوبية الشرقيـة لجبل حوران وبين التـلال الانكسارية التى ينبع منهـا نهر الزرقا • وخلال هذين البـابين « باب دمشق ، باب درعا » يلج رعاة الابل الى أرض النقرة آتين من الصحراء فى أواخر يونيه ، وخلال هذين البابين يعودون كذلك عند نهاية أغسطس • والطرق المارة خلال هذين البابين كانت ولا زالت يطلق عليها اسم « طرق البدو » « أنظر ياقوت : معجم ط فيستنفلد ٢ : ٤٦ ، ٤ : ٦٦٩ » • لذلك يجب أن نعين موضع طريق البدو هذا الذى يذكر فى سفر القضاة «٨ : ١١» عند الجنوب الشرقى من درعا فى المنطقة التى يشير اليها كذلك الموضعان المذكوران باسم نوبح ويجبهة • ورؤساء أهل مدين المنهزمون قـد فروا — حتما — مع حلفائهم من بنى قـدم على الطريق المؤدى الى منخفض السرحان حيث يتوفر الماء والمرعى • واذ كانوا على علم بأن جدعون يجد فى أثرهم فقد فروا مسافة طويلة ثم عسكروا فى قرقر « التى أرى أنهـا

هى نفسها قَرْقَر أو قِرَاقِر » عند التقاء الطرق الهامة • بهناك ظنوا أنهم قد أصبحوا بمنجاة ، وأن جدعون لن يستطيع أن يدرك النهم •

وعين قِراقِر تقع فى حوض مقعر يحيط به فى معظم جهاته تلال من الحجر الجيرى لايمكن اجتيازها ويخرج منه طريق واحد فقط ، وهو سهل وان يكن غير واسع ، وهو الذى يصله بوادى السرحان • فلما أتى جدعون هذا المكان فقد أرسل بعض رجاله لسد هذا المنفذ بينما صعد هو بالبقية الباقية فوق التلال المحيطة بالحوض فباغت القوم وشتت شملهم ثم طارد فلولهم حتى عقبة حارس التى أضع مكانها عند درب المنقى • ثم عاد بعد ذلك وقد أصاب أتباعه عددا عظيما من الخواتم الذهبية والحلى •

ويردد ذكر انتصار جدعون على أهل مدين فى سفر اشعيا «٩ : ٣/ ٤» وفى المزمور الثالث والثمانين « ٦/ ١٠ » •

وأما حرب أهل مدين مع المؤابيين فى سهل مؤاب فقد ورد ذكرها فى سفر التكوين « ٣٦ : ٣٥ » •

من العسير أن نحدد شخصية أهل مدين « مديانيين » الذين يذكر فى الكتاب المقدس أنهم كانوا يسكنون الى الشرق والشمال الشرقى من البحر الميت • ففى سفر التكوين « ٣٧ : ٢٥ ، ٢٨ » يستعمل لفظ « أهل مدين » « مديانيين » ولفظ « الاسماعيليين » كل منهما نيابة من الآخر • ومثل هذا الخلط يوجد فى سفر القضاة « ٨ : ٢٤ » فمن هذا يبدو أن فروع مدين ربما كانت قد اختلطت بفروع اسماعيل وأنهم كانوا يسكنون بجوارهم الى الشرق من مؤاب وعمون • ولا نعلم من أين أتت فروع مدين هذه ولكن يجب أن نفرض أنهم هاجروا من أرض مدين سالكين طريق القوافل الرئيسى الذى يأتى من الجنوب الى الشمال • وقد كانوا يؤجرون رواحلهم للتجار من جنوب بلاد العرب الذين كانوا يستأجرون الرواحل كذلك من بنى اسماعيل وهم الجيران الشماليون • ومن ثَمَّ فقد

ظهر اسم مدين فى مجرى الأحداث فى هذه المنطقة وأصبح معروفا معرفة عامة ، كما صار أهل مدين قوة أزعجت المؤابيين والاسرائيليين معا •

٣ — أرض مدين :

أين كانت تقع أرض مدين ؟

تشير التوراة فى سفر الخروج « ٢ : ١٥ » الى أرض مدين • فتذكر أن موسى قد فر من وجه فرعون الى أرض « مديان » وجلس هناك عند البئر التى كانت تستسقى منها بنات كاهن مدين لأغنامهن •

وعلى كل حال فليس من الممكن — اعتمادا على بعض من الملابسات التى نجدها فى الكتاب المقدس — أن نطلق اسم مدين على كل بقعة من الأرض كانت تنزلها فى بعض الأحيان طائفة من القبائل التى ترجع بنسبها الى مدين ؛ ولكن يجب أن نبحث عن البقعة التى تعتبر المركز الرئيسى للقبيلة والتى كانت تقيم بها أصولها منذ زمن غابر سحيق •

ووفقا لما ورد فى التوراة فان موسى قد ربى فى بلاط ابنة فرعون ؛ ثم فعل فعلته فقتل أحد رجال فرعون فكان بذلك مثلا من أمثلة الثورة بالنسبة لليهود • فلما علم أنه مهدد بالقتل فر — لا من مصر فقط — ولكن من بقية الأرض المتاخمة لحدودها كذلك والتى كان يمتد اليها النفوذ المصرى •

فاذا سلمنا بأن قصة موسى تستند الى أصل تاريخى فيجب أن نفرض — اذن — أن موسى قد فر من مصر فى بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد أو قريبا من ذلك • وفى هذا الوقت كانت فلسطين بأجمعها وجزء كبير من سوريا خاضعة لحكم مصر • وكانت القوات المصرية تقوم بحراسة الطرق الرئيسية فى شبه جزيرة سيناء • وكان على رؤساء القبائل المقيمة فى شبه الجزيرة أن يسمعوا ويطيعوا لرجال مصر اذا كانوا يحرصون على أن تظل صلات التجارة والمبادلة قائمة بينهم وبين مصر أو بينهم وبين الجزء الجنوبى من فلسطين • فاذا عمد منهم سياسى الى الاقامة بين هذه القبائل فان أمره لايلبث أن ينكشف لرئيس الحامية القريبة من الحدود

فيأمر بمثوله توا بين يديه اذا كان لا يريد أن يعرض نفسه وعشيرته لما يترتب على اهماله من عقاب . كان كذلك الشأن منذ زمن بعيد ولا يزال كذلك حتى الآن .

وقد قابلت فى عام ١٩١٠ رجلين عند الحدود الجنوبية لاقليم الشراة كان أحدهما من العريش — وقد فرَّ منها — اذ كان قد سلب جنديا مصريا هناك . وكان الآخر من قلعة نخل — وقد فر منها كذلك — لأنه قد طعن بها جنديا طعنة مميتة . وكان الرجلان يترقبان خائفين من رؤساء الحاميات المصرية وقد لجآ الى القبائل البدوية فى سيناء فلجآ أولا الى التياهة ثم بعد ذلك الى الطرابين والحزازمة ثم أخيرا الى الحيوات ولكنهما لم يستطيعا أن يمكثا عند واحد من رؤساء هذه القبائل أكثر من ثلاثة أيام وهى الحد المعهود للضيافة لأن كل رئيس كان يعتذر بعدم القدرة على حمايتهما لأنه ان فعل أغضب السلطات المصرية فتمنعه وقبيلته من الاتجار مع مصر ومع التجار المصريين ولم يجد هذا الرجلان الا أن يفرا الى الشرق من العربة فعبراها عند ماء الغضيان .

فاذا كان موسى يريد أن ينجو بنفسه فعليه اذن أن يلتمس المأوى فيما بعد الحدود التى يمتد اليها النفوذ المصرى أى فيما وراء أخدود العربة . وهو لم يفر عبر الصحراء منفردا لأنه اذا كان قد أراد التخفى فلا بد له من أن ينضم الى احدى القوافل المتجهة نحو الشرق فيندمج بين أفرادها ويسير معها فوق الطريق التجارى حتى يصل الى مدين . فمن كل ذلك يتضح أن أرض مدين يجب أن يكون موقعها فيما وراء العربة والى الجنوب الشرقى منها . وتؤيدنا فى ذلك نصوص أخرى من النصوص المقدسة .

فبينما كان موسى يرعى أغنام حميه يثرون — كاهن مدين — ساقها ذات يوم « سفر الخروج ٣ : ١ » فيما وراء البرية وجاء الى حوريب جبل الرب . فجبل الرب هذا يقع اذن فى صحراء مدين .

وابنة يثرون التى اتخذها موسى امرأة له كانت من أهل مدين فهى

لذلك تعتبر من نساء الكوشيين « سفر العدد ١٢ : ١ » .

ومن الوصف الذى ورد فى سفر حبقوق « ٣ : ٧ » تتبين كيف أن خيام الكوشيين قد زلزلت وأن الخيام التى كانت تغطى أرض المديانيين « مدين » قد اهتزت . فمن هذا نستنتج أن حبقوق قد تصور أهل مدين بدوا يعيشون فى الخيام قريبا من الكوشيين . وهذا يتفق مع فكرة الكتاب المقدس عن المديانيين « مدين » . اذ يجعل كثيرا من أنسابهم «عشائرهم» ينحدر من ابراهيم وزوجته قطورة ، ومن سلالة الكوشيين كذلك . ونستطيع أن نخلص من ذلك الى أن مساكن أهل مدين كانت تقع فى جوار الأرض التى كانت تسكنها القبائل الجنوبية التى انحدرت — وفقا للنصوص المقدسة — من سلالة الكوشيين ولذا فقد أدخل هؤلاء المديانيون ضمن هذه السلالة . ومن الممكن أن يكون الكاهن يثرون نفسه فردا من أفراد القبائل الجنوبية وأنه قد أقام بين أهل مدين الذين كانوا يخضعون سياسيا لحكام النقط الرئيسية التى تقع على طول طريق التجارة المار بأرض مدين . فهؤلاء الحكام وحامياتهم كانوا عربا من عرب الجنوب .

وعاد موسى من أرض مدين « سفر الخروج ٤ : ١٩ / ٢٠ » فسار الى مصر سالكا الطريق التجارى، وقد صحبه أولاده وزوجته وكانوا يمتطون حمارا . وكما فعل فى المرة الأولى فقد اختلط بأفراد قافلة من القوافل التجارية . ووفقا لما ورد فى سفر الخروج فقد التقى بأخيه هارون عند جبل الرب . ثم قاد موسى بنى اسرائيل فيما بعد الى أرض مدين وهو على علم بأنهم سوف يجدون هناك ملجأ وأمنا .

ولما أزمع موسى الرحيل الى الأرض المقدسة فقد طلب الى حوباب ابن راعوئيل وهو من أهل مدين « سفر العدد ١٠ : ٢٩ » أن يكون عينا له ولبنى اسرائيل . ولكن حوباب لم يكن راغبا فى ذلك اذ كان يؤثر العودة الى وطنه وقومه .

فجميع هذه النصوص تبين لنا أن أرض مدين يجب أن يكون موضعها فيما وراء أخدود العربة وبتحديد أدق من ذلك فيجب أن يكون هذا

الموضع الى الشرق والجنوب الشرقى من مكان العقبة الحالية المعروفة قديما باسم ايلات ، فهناك كان يمر أهم طريق من طرق النقل التجارى . وكانت تحرس هذه الطرق حاميات من أهل الجنوب من بلاد العرب وكان المركز الرئيسى لهذه الحاميات يقع فى ديدان « العلا » وفى مَعُون «معان»

وكون الموضع الذى حددناه هو بعينه المكان الحقيقى لأهل مدين يؤيده ماجاء فى سفر الملوك الأول « ١١ : ١٨ » اذ نجد أن عبيد ملك أدوم قد فروا بولى عهده هدد أمام جيش يواب من مدين الى فاران ، وهناك اصطحبوا الأدلاء والحراس ثم تابعوا سيرهم نحو مصر . وسواء كان المقصود بكلمة مدين القبيلة أو كان المقصود بها المدينة فانا لا نستطيع أن نضعها فى غير هذا المكان الواقع الى جنوب أدوم وجنوبها الشرقى . والحد الجنوبى لأدوم يتكون من سفح الشراة الجنوبى أو سعير القديم . فكان يواب وجيشه ينشران الدمار والخراب فى الجزء الشمالى . فلما كان عبيد الملك راغبين فى نجاة سيدهم هدد فانهم لم يفروا به لا الى الشمال الشرقى ولا الى الشرق من أدوم ولكن الى الجنوب لأنهم علموا أنهم من هناك فقط يستطيعون الوصول الى مصر بأسرع الطرق وآمنها وذلك بسلوك الطريق حول العقبة . فلهذا حاولوا أن يصلوا الى الطريق واستأجروا الأدلاء فى فاران « التى أرى أنها اما أن تكون بطمة فاران « ايلات » أو أخدود العربة الذى يقع فيه هذا المكان » ثم أسرعوا بعد ذلك الى مصر . وهذه الاعتبارات تبين لنا أن المديانيين « أهل مدين » كانوا ولابد يسكنون الى الشرق من فاران « ايلات » — أو بأدق من ذلك — الى الجنوب الشرقى منها . لأنه عند أية نقطة أخرى الى الشمال من ايلات فان عبيد الملك هؤلاء لم يكونوا ليستطيعوا عبور أخدود العربة اذا كانوا يريدون أن يتجنبوا الوقوع فى أيدى جنود يواب .

٤ — قبائل مدين فى النصوص المقدسة والنصوص الآشورية :

ترد فى الكتاب المقدس وكذلك فى النصوص الآشورية اشارات تتصل بقبائل مختلفة من قبائل مدين أو بقبائل أخرى تعود بنسبها الى قبيلة مدين . وهذه الاشارات تحدد المساكن التى كانوا يقيمون فيها

وتضعها فى المنطقة الواقعة الى الجنوب من آدوم « سعير » .

ففى سفر التكوين « ٢٥ : ١/٢ » نجد ذكرا لأولاد ابراهيم من زوجته قطورة وهؤلاء هم : زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا . ووفقا لما ورد فى الفقرة الثالثة من الاصحاح السابق فان أولاد يقشان هما : شبا . وددان . ومن ولد هذا الأخير أشوريم ولطوشيم ولاميم . وفى الفقرة الرابعة نجد أن أولاد مديان هم : عيفة وعفر وحنوك وأبيداع والدعه . وفى سفر التكوين « ١٠ : ٧ » نجد أن شبا وددان يذكران بين نسل الكوشيين كما نجد فى مكان آخر « سفر التكوين ١٠ : ٢٨ / ٢٩ » أن شبا تذكر مع خويلة ضمن الساميين أولاد يقطان . ومن هذه النصوص يغلب على ظننا أن ددان وشبا قد كانا على اتصال — لا بالكوشيين الموجودين فى شرق افريقيا فحسب : وهم الصوماليون والأحباش وسكان شمال السودان — ولكن كانا على اتصال كذلك بسكان الشمال الغربى لبلاد العرب وسكان جنوب سوريا حيث كان يسكن قوم ابراهيم . ويمكن أن نستخلص من ذلك أنه قد كان لسبأ نفوذ واسع يمتد كذلك الى قلب الجزيرة العربية فى حويلة القديمة أو نجد الحالية .

وهذه النظرة تعززها وتؤيدها الوثائق المقدسة والوثائق الآشورية جميعا . ففى النصف الثانى من القرن الثامن قبل الميلاد حاول الملوك الآشوريون أن يبسطوا نفوذهم على طريق التجارة العظيم الذى يخترق غرب الجزيرة العربية آتيا من الجنوب الى الشمال متجها الى مصر ودمشق ومدن فينيقيا وموانيها . فتجلات بلاصر الرابع قد أخضع الأماكن المحيطة بحوران الحديثة واتجه منها الى ما وراء ذلك نحو الجنوب . فتخبرنا حولياته أنه فى عام ٧٣٣ ق . م (Layard : Inscriptions, pls. 66, 72—Rost: Keilschrifttexte vol 2, pls. 23, 18 lines 218-22 6, 240.-vol I pp. 36, 38, 40, 70) قد أخذ الجزية ذهبا وفضة وجمالا ونوقا وعطورا وبخورا من أنواعه المختلفة من قبيلة مسًّا Masà ومن مدينة تيما Téma ومن قبائل سبا Saba

وخيابِّا Hayappa وبَدَنا Badana وختّى Hatti وايديبائيل Idiba'il الذين كانوا يسكنون فى الأقاليم الواقعة فى الأرض الغربيّة الى مسافات بعيدة • وأنه قد عين ايديبائيل من أرض البادية Arubu مقيما له أو مندوبا (Kêpu) ليحيطه علما بما يجرى فى مصر وأنه قد اقتطع خمس عشرة محلة من الأماكن المجاورة لعسقلان ثم أضافها اليه •

ففى هذه القصة تصادفنا أسماء مألوفة لنا نجدها فى النصوص المقدسة فقبيلة مَسَّا ربما كانت فى الغالب هى المذكورة فى التوراة فى سفر التكوين « ٢٥ : ١٣/١٤ » فوفقا للملابسات المختلفة فان ديار هذه القبيلة كانت تقع الى الشرق والجنوب الشرقى من مؤاب ولم تكن هذه الديار ملكا لأهل مدين ولكنها كانت ملكا لبنى اسماعيل •

والحوليات الآشورية تعنى بمدينة تيما Têma واحة تيماء التى كانت — وفقا للتوراة « سفر التكوين ٢٥ : ١٣ — الترجمة السبعينية ٣:٢٥ » تابعة لقبائل من بنى اسماعيل أو لغيرها من ولد ابراهيم من زوجته قطوره • فسكان تيماء كانوا يشتغلون بالتجارة وكانت لهم قوافل تجارية « سفر أيوب ٦ : ١٩ » فكانوا لذلك مضطرين أن يرسلوا الهدايا الى تجلات بلاصر الرابع الذى كان يسيطر على الطرق المؤدية الى موانى البحر الأبيض المتوسط •

شبا أو سَبَا : السبئيون :

وسبأ هى بعينها شبا التى يذكرها الكتاب المقدس ونجده فى سفر أيوب « ٦ : ١٩ » يشير الى قوافلها وقوافل أهل تيماء • ولذا فان موضع هذه القبيلة يجب أن يكون الى القرب من تيماء • ففى غرب تيماء كان يمر الطريق التجارى العظيم الذى يصل بين جنوب بلاد العرب وبين سوريا ومصر • وكان هذا الطريق فى أيدى السبئيين تارة وطورا آخر يكون فى أيدى أقاربهم المعينيين الذين كانوا يشاطرونهم النفوذ فى الجنوب الغربى لبلاد العرب كما كانوا يسابقونهم السيطرة على جميع الأماكن التى كانت تمر بها قوافل التجارة • ففى جميع الواحات التى تقع على هذا الطريق

التجارى العظيم كانت تقيم طائفــة من حكام الجنوب وكانت تقيم معهم حامياتهم العسكرية وجالية تتألف منها الأوساط التجارية فى تلك الواحات وكانت هــذه البقاع موردا للكسب بالنسبة لأهل الواحات الأصــليين وللقبائل التى كانت تقيم فى جوارها • فكانت الجاليات الجنوبية تقــدم لهذه القبائل ماتحتاج اليه من القوت والثياب وكان لها عليهم — من أجل ذلك — نوع من السيطرة والسيادة • ولمــا كان الوطن الأصلى لهــذه الجاليات التجارية يقع فى الجنوب الغربى من بلاد العرب فقد كانت على صلة متينــة بالكوشيين الافريقيين فكان كثــير من الكوشيين يسكنون بينهم فى مستعمراتهم فكانت النصوص المقدسة تصفهم وتصف الكوشيين — المقيمين بينهم فى القرى الواقعــة على الطريق التجــارى فى الشمال الغربى لبلاد العرب — تصفهم تارة بأنهم ولد ابراهيم من قطورة وطورا بأنهم أبنــاء الكوشيين • وانى أرى أن مستعمراتهم الرئيسية فى الشمال الغربى لبلاد العرب كانت تقع فى واحة ديدان المذكورة فى الكتاب المقدس باسم ددان — والتى تقع قريبا من واحة العلا — وفى واحة معون وهى معان الحالية •

وقد كانت واحة ديدان هى المركز الرئيسى للنفــوذ السبئى فى شمال بلاد العرب ففى هذه الواحة أضع المقر الرئيسى لحاكمهم « كبيرهم Kebîr » والذى كان يقيم فيه الشريف ايتمارا السبئى Itamara الذى أرسل الجزية الى سرجون الثانى قبل عام ٧٠٧ ق • م • Great inscription of Khorsabad (Botta and Flandin, Monument vol 4 pl. 145² line 3. — Winckler : Die Keilinschriftliche Sargon's vol 2, pl 65, line 27, — vol I p. 100 — Peiser in, Schrader : (Keilinschriftliche Bibliotek vol 2 p 54.

واذا كان هؤلاء السبئيون يسكنون الواحات ويحملون تجــاراتهم بواسطة القوافل « سفر أيوب ٦ : ١٩ » فقد كانت لهم — اذن — عناية بتربية الجمال والأغنام والماشية فكان لامناص لهم من الاقامة فى الخيام أو على الأقل بين الحين والحين • وكانت أغنامهم كما كانت جمالهم عرضة

لأن تسطو عليها القبائل النائية بعيـدا عنهم أو التى ترجع فى آنسابها الى سلالة أخرى • فكانوا لذلك — كما كان جميع سكان الواحات أيضا - مغرمين بالخروج للغـزو ؛ تارة لتأديب القبـائل الخارجة عليهم ، وتارة ليشبعوا فى أنفسهم حب المغامرة ؛ وليعودوا بما يسد حاجتهم من رواحل الحمل والحيوانات الأخرى • وفى سفر أيوب « ١٤ : ١٥ » نجـد غزوة من هذا النوع • فالقصة التى ترد هناك محتملة الوقوع الى حد كبير كما أنها توضح أن المؤلف كان على علم تام بعادات السبئيين وأحوالهم كمـا تحدد لنا الموضع الذى يجب أن نضع فيه أرض أيوب أى قريبا من بعض القبـائل السبئية فى الجنوب الشرقى للبحـر الميت حيث كانت تمـر قوافل سبأ •

وهناك فى الكتاب المقـدس نصوص أخرى تشـير الى أن قبيلة سبأ كانت تقوم بالتجارة • ففى سفر حزقيال « ٢٧ : ٢٢ » أن التجار من سبأ ورعمة كانوا ينقلون أجود أنواع البلسم ومختلف الأنواع من الأحجـار الكريمة والذهب كانوا ينقلونها الى أسواق صور •

وتتبين مما ورد فى سـفر يوئيل « ٣ : ٨ » أن اليهود كانوا يبيعون الرقيق الى السبئيين الذين كانوا يسكنون بعيـدا عنهم • ويشير سـفر حزقيال « ٣٨ : ١٣ » الى العلاقات التجارية التى كانت بين السبئيين وتجار ترشيش • ونجد أن أشعيا « ٦٠ : ٦ » يبشر صهيون بأن الجمال البكر ستأتى اليها من مدين وعيفة تحمل ذهب التجار السبئيين ولبانهم • فمن هـذه الاشارات تتبين أن الطريق التجارى العظيم الذى يخرج من سـبأ نفسها فى الجنوب الغربى لبلاد العرب كان يمر خلال المنطقة التى تسكنها قبائل مدين وعيفة والا لما استطاعت هـذه الأخيرة أن تساهم فى تجـارة سبأ • كما يدل على أن ديار القبائل من مدين وعيفة كانت تقع فى مكان قريب من واحة تيماء • ولما كانت صحراء النفود القاحلة لايمكن أن يمر بها طريق عظيم من طرق التجارة وكانت هذه الصحراء تمتـد الى الشرق من تيماء فيجب أن نفترض اذن أن ديار هـذه القبائل من مدين وعيفـة كانت تقع الى الغرب من الواحة فكانت تقع اذن فى المنطقة التى كان يمر

بها فعلا الطريق السبئى العظيم .

خايابا أو عيفة :

يبين فردريك ديلتسش فى كتابه أين تقع الجنة « ط. ليبزج ص ٣٠٤ » أن قبيلة خايابا المذكورة فى الحوليات الآشورية هى بعينها وبالضبط قبيلة عيفة المذكورة فى النصوص المقدسة فى سفر اشعيا « ٦٠ : ٦ » « فى الترجمة السبعينية (r) Gajfa أو (r) Gafa وهذه القبيلة من ولد ابراهيم ومن أقارب السبئيين وتكون الفرع الأول من قبيلة مدين « سفر التكوين ٢٥ : ٤ » . وتوجد اشارة أخرى الى هذه القرابة فى سفر أشعيا « ٦٠:٦ ». واسم عيفة لازال باقيا محفوظا فى التسمية التى تطلق على الأطلال القديمة لمعبد الغوافة -- كما تنطقه بعض بطون بنى عطيــة ، وان كانت البطون الأخرى مثل حويطات التهامه تنطقــه روافة . وابدال الغين والعين راء أمر شائع دائما فيقال فى « صدر » « صدغ » وفى « أزرق » « أزغق » « أزغق العينين » وفى « شــعاثة » .« شراثة » وفى « تقنطر » « تقنطع » وهكذا . فاذا كان النطق الحــديث « غوافة » صحيحا فنستطيــع أن نستخلص منه أن قبيلة عيفــة كانت تقيم فى اقليم حسمى . ولايمكن أن تكون عيفة هذه هى غيفة التى يرد ذكرها فى معجم ياقوت « ط فيستنفلد ٣ : ٨٢٩ » لأن غيفة التى يذكرها تقع قريبــا من بلبيس فى أرض مصر . وفى عام ٧٣٣ ق . م فان نفوذ تجلات بلاصر الرابع لم يكن يمتــد اطلاقا فى اتجاه الجنوب الغربى أبعد من مدينة غزة . وليس هناك نص واحد من النصوص المقدسة أو الوثائق الآشورية يمكن أن نفهم منه فى ثقة أن قبيلة ما من قبائل مدين كانت تضرب خيامها فى شبه جزيرة سيناء ابان النصف الأول من الألف الأخيرة قبل الميلاد .

بَدَنا :

وقبيلة بدنا لانجد اشارة اليها فى مكان آخر . والاسم نفسه يذكرنا بقبيلة بَدُون أو مَدُون التى تقيم فى نجد الحجاز الى الجنوب الشرقى من واحة العلاء أو ديدان قديما . فالقبائل المجاورة لهذه القبيلة تؤكد أنها ترجع الى أصل قديم جدا وأنهــا لاتنتسب الى أحد . وهنــاك فرع من

البدون أو المدون هذه يسكن قريبا من بترا .

واسم بَدَنا شديد الشبه باسم Badanatha الذى يذكره بلينى فى التاريخ الطبيعى « ٦ : ١٥٧ » ولكن قراءة الاسم على هذا النحو ليست قراءة مؤكدة فهناك قراءة أخرى أكثر رجحانا تنطقه Baclanza « نشرة Detlefsen » فاذا كانت القراءة الأولى Badanatha قراءة مؤكدة فيجب أن نذهب الى أن المقصود بها هم سكان واحة البدع التى تقع الى الغرب من العلا « ديدان » والتى يذكرها كذلك بطليموس فى جغرافيته « ٦ » ٧ : ٣٠ » باسم Badais كما يذكرها اسطفن البيزنطى « Ethnica • نشرة Meineke ص١٥٥ » باسم Badeos . وفى المنطقة التى كانت تحلها مدين القديمة لاتوجد أية أطلال تحمل اسم بِدِن Beden الذى يرى دورم F. P. Dhorme أنه هو بَدَنا بعينه المذكور فى نص الآشورى عن تجلات بلاصر • F. P. Dhorme: Les Pays Bibliques et l'assyrie» ص ١٩٦ » فبيدن هو تحريف غير صحيح لبدع • وبدع هو الاسم الحالى الذى تعرف به واحة مدياما « مدين » التى يذكرها الكتاب الأقدمون من اليونان والرومان فلا يمكن اذن أن تكون Beden هى فى نفس الوقت Badanatha أيضا •

والاسم الآشورى بَدَنا يشبه الى حدٍّ ما الكلمة العبرية مدان كما شكلت وضبطت فى الترجمة السبعينية فى سفر التكوين « ٢٥ : ٢ » وفى أول الكلمة يغلب عادة ابدال الباء ميما • ووفقا لما ورد فى النصوص المقدسة فان مدان فرع من فروع مدين مثل قبيلة عيفة التى هى خايابا الآشورية • والنص الآشورى يقرن خايابا هذه بقبيلة بَدَنا ومعنى ذلك أنه يترك لنا الخيار فى اضافة اسم مدان أو اسم بَدَنا الى قبيلة عيفة المذكورة فى الكتاب المقدس ، وتبعا لذلك فانه يحدد مكانها بالقرب من تيماء ، أو بعبارة أخرى الى الجنوب الشرقى من محلة العقبة الحالية أو ايلات القديمة •

وتنبئنا النصوص العربية الجنوبية بوجود محلة تحمل اسم مدان فى الشمال الغربى لبلاد العرب • « نقوش جلازر Glaser's inscriptions (collated by Adolf Grohmann), National-Bibliotek, Vienna رقم ١٢٢٨ • »

ختى :

وموضع قبيلة خِتّى ـ فيما أرى ـ يقع فى الأرض المجاورة لأدوم القديمة مباشرة . وانى أعتمد فى ذلك على ما ورد فى سفر التكوين « ٢٦ : ٣٤ ، ٣٦ : ٢ » حيث توجد الاشارات للقرابة بين الأدوميين وقبيلة حث . ويظهر أن الختيين الذين قاموا فى عام ٧١٠ ق . م بمقاومة الآشوريين عند أسدود كانوا يرجعون الى نفس هذه القبيلة . (Great Inscription of Khorsabad (Botta and Flandin op. cit vol 4 pl. 140 lines 10. — Winckler op. cit. vol 2, pl. 70 lines 95 — vol I p. 115 - Peiser in, Schrader op. cit vol 2 p 64)

وليس هناك من سبب للقول بأن حث التى ذكرت فى الكتاب المقدس وختى التى ذكرت فى الوثائق الأشورية ـ واللتان كانتا تسكنان الى الجنوب من فلسطين ـ هما الحيثيون أنفسهم فليس هناك ما يرجح هذا القول على القول بأنهما هما بنو حث القبيلة البدوية .

ادبائيل او ادبئيل :

والقبيلة المعروفة باسم ادبائيل والمقيم (Kêpu) المعروف باسم ادبئيل الذى أضاف اليه تجلات بلاصر الرابع خمس عشرة محلة من أرض عسقلان هما ـ بكل تأكيد ـ شىء واحد . فاسم ادبائيل أو ادبئيل يحتمل أن يكون اسما للعائلة الحاكمة وأن القبيلة التى كانت تخضع لهذه العائلة قد عرفت بنفس هذا الاسم أيضا .

وقبيلة ادبائيل المذكورة فى الوثائق الآشورية هى بعينها قبيلة ادبئيل المذكورة فى التوراة والتى تعتبر « سفر التكوين ٢٥ : ١٣ » ضمن قبائل بنى اسماعيل . وكانت ديارها بالقرب من مدينة غزة ، فى الجنوب الغربى منها قريبا من حدود مصر نفسها . وكان عليها أن تعلم الملك الآشورى العظيم بكل ما يجرى قريبا من الحدود .

ثمود :

واذا عرضنا لنص آشورى آخر فانا نجد أن سرجون الثانى يذكر

أنه فى عام ٧١٥ ق • م هزم قبائل ثمودى وابادیدی ومرسمان وخايابا ثم أخذ من بقى منهم حيا فأسكنه فى السامرة • (انظر Cylinder Insrciption
(Rawlinson : Cuneiform Inscriptions. vol 1, pl. 36 — Lyon : Sargon p. 4) lines 20. — F. E. Peiser in: Schrader, op. cit., vol 2, p 42.)

وثمودى هذه هى بعينها Thamudeni التى يذكرها الكتاب الأقدمون من اليونان والرومان • فأجاثارشيد يشير الى شاطىء صخرى يبلغ طوله مائة ستادة ويقع وراء الجزر الصغيرة قريبا من الخليج الطويل للبحر الأحمر ، ويقول ان هذا الشاطىء كان يسكنه العرب من Thamudenoi
(Agatharchiedes , Peripulus (Photius' version (Müller, Geograp.) vol I p 179.) وتتكرر نفس العبارة عند ديودورس ولكن باختلاف طفيف (Diodorus : Bibliotheca Historica III 44)

ويذكر اوزانيوس أن ثمود كانت تقع على حدود المقاطعة العربية النبطية « Uranius: Arabica (Müller: Fragmenta vol 4 ص ٥٢٥ » •

ويذكر بطليموس فى جغرافيته كلا من الثموديتاى Thamyditai « ٦ « ٧:٤ » والثموديناى Thamydenoi « ٦ « ٧ : ٢١ » فى الجزء الشمالى الغربى لبلاد العرب •

ووفقا للنقوش الموجودة على معبد الغوافة الذى بنى بين نهاية عام ١٦٦م وبداية عام ١٦٩ م والذى بنته قبيلة ثمود • فان ثمود — فى منتصف القرن الثانى الميلادى — كانت تملك حرة العوارض وحرة الرحا •وكانت منازلهم تقع الى الغرب من تيماء قريبا من الطريق التجارى العظيم الذى يصل بين الجنوب الغربى لبلاد العرب وبين سوريا ومصر •

ويذكر القرآن الكريم « ٧ : ٧١ ، ٢٦ : ١٤١ ، ٥٤ : ٢٨ ، ٩١ : ١٣» أن قبيلة ثمود قد بوأها الله فى الأرض واتخذت من الحجر مسكنا لها تتخذ من سهولها قصورا وتنحت الجبال بيوتا ، فأرسل اليهم أخاهم صالحا رسولا يأمرهم بعبادة الله وطاعته وينهاهم عن الفساد فى الأرض فقالوا ما أنت الا بشر مثلنا فات بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب

يوم عظيم فعقروا الناقة فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين . —
وهذه القصة تتفق مع الأخبار التى خلفها الكتاب الأقدمون ومع النقوش الموجودة بمعبد الفوافة . فالبقمة المحيطة بواحة الحجر كانت ملكا لقبيلة ثمود ومن المؤكد أن الساحل جميعه كان ملكا لهم أيضا لأن القبائل الساكنة على الساحل كان لابد لها من أن تعترف بسلطان القبيلة التى يتبع فى أرضها المركز التجارى فى الحجر والتى كانت تؤمن مصالحهم التجارية. ونجد أن قبيلة ثمود التى ترد فى الوثائق الآشورية كانت تسكن فى نفس المكان الذى تسكنه قبيلة خايابا أو عيفة — كما تذكر فى الكتاب المقدس — والتى حفظ اسمها كما رأينا فى اسم غوافة . والكتاب المقدس لايشير أية اشارة الى قبيلة ثمود .

ابادیدى أو ابيداع :

أما ابادیدی « التى ترد فى النص الآشورى الخاص بسرجون الثانى» فانها هى عينها ابيداع المذكورة فى الكتاب المقدس والتى تعتبر وفقا لما ورد فى سفر التكوين « ٢٥ : ٤ » أحد أولاد ابراهيم من زوجته قطورة . والنصف الثانى من كلمة « ابادیدی » يتكون من اسم الاله « داد » وفى التوراة فان هذا الاسم — مثل الاسماء المشابهة — كان يغير الى « دع» لتجنب الوقوع فى الاثم . فابيداع أو ابادیدى — على ذلك — قبيلة من قبائل مدين المتصلة بعيفة . فيجب أن نحدد الموضع الذى كانت تقيم فيه عند الطريق التجارى العظيم الى الجنوب الشرقى من ايلات « العقبة » .

مرسمانى :

تشير المصادر السريانية الى قبيلة تعرف باسم مرسمانى ؛ ولكن هذا الاسم لايرد له ذكر فى الكتاب المقدس وان كان المؤلفون الأقدمون من اليونان والرومان كانوا على علم — من ناحية أخرى — بقبيلة تسكن فى جنوب شرق العقبة ويذكرنا اسمها بهذا الاسم الآشورى مرسمانى . فأجاثارشيد يذكر اسم قبيلة تعرف ببتميزومانيس — Batmizomaneis

Agatharchides : Periplus, Photius' version (Müller Geographi vol 1)

ص ١٧٧/٧٩ » وكانت تسكن هذه القبيلة على ساحل البحر الى الجنوب الشرقى من مدخل خليج العقبة الحالى أو خليج لحيان قديما Laeanitic

ويذكر كذلك ديودورس فى نفس هـذا المكان قبيلة باسم بنى زومانيس Banizomaneis (Bibliotheca III 43) ۰ ووفقا لما ذكره كلا هذين المؤلفين فان جيران هـذه القبيلة من ناحيـة الجنوب الشرقى كانوا قبيلة ثمـود (Thamudenoi)وهـذا لايبرر — فقط — اعتبـارنا أن ثمود المذكورة فى الآثار الآشورية هى نفس ثمودينوا التى يذكرها الكتاب الأقدمون، ولكنه يبرر كذلك الصلة التى من أجلها نعتبر أن مرسمانى هى بعينها بنى زومانيس اذ يمكن أن يحـدث ذلك من جراء التحريف فى كتـابة الاسم ۰ فاللهجة العربية كثيرا ماتبدل « الصاد » « زايا » « والميم » « باء » فهم يقولون فى « رصاص » « وصغار » « رزاز » « وزغار » وفى « بدح » و « ترم » و « حسم » « مدح » و « ترب » و « حسب » ۰ فمرسمانى الآشورية من الممكن أن تقـرأ برسـمانى وأكثر من ذلك فان معنى « بنى » و « بر » شئ واحد ۰ وهذه الفكرة يؤيدها كذلك ما يذكره بطليموس فى جغرافيته « ٦ « ٧ : ٢١ » اذ يذكر أن قبيلة س سيمانيس Maisaimaneis توجد فى الجزء الشمالى الغـربى من بلاد العرب السعيدة فى داخـل الاقليم ۰ ولكن اشاراته التى يشير فيها الى الساحل أو الداخل غير دقيقة فيما يتعلق بالمدن وهى بالنسبة للقبائل تكون عارية عن الصحة على وجه الاطلاق ۰ فأجاثارشيد وديودورس يضعان ثمود على الساحل بينما يضعها بطليموس فى داخل الاقليم وربما لاشك فيه فان ثمودا ابان القرن الثانى كان يسود اقليم الساحل ۰ وفى هجاء الكلمة عند بطليموس Maisaimaneis فان حرف « n » اما أن يكون قد سقط من مكانه بين حرفى « a » و « i » فى أول الكلمة واما أن يكون حرف « i » قد حرف عن حرف « r » ۰ وفى أوائل الكلمات فمن الشائع أن ينوب حرف الباء مكان حرف الميم ۰ ومن المحتمل أن يكون التجار الآراميون الذين استقى منهم بطليموس معلوماته قـد أبدلوا كلمة « بنى » العربية بكلمة « بر » الآرامية ۰ فاذا وافقنا على أن لفظى Maisaimaneis , Banizomaneis همـا عين الاسم المذكور فى الوثائق الآشورية باسم Marsimani فانا نصل كذلك الى الاقليم الواقع الى الغرب من تيماء وغرب الطريق التجـارى العظيم الذى يصل جنوب بلاد العرب بسـوريا ومصر واذن فنصل الى نفس الاقليم الذى يضع فيـه الكتاب

الأقدمون واحة مدياما وحيث نبحث عنه — تبعا للنصوص المقدسة — عن أرض مدين •

والقبائل الأربع التى ذكر سرجون الثانى أسماءها فى عام ٧١٥ ق • م يمكن أن تدخل جميعا ضمن قبائل مدين التى تذكرها التوراة • فخايابا أو عيفة ترجع الى أهل مدين — بكل تأكيد — واباديدى أو ابيداع من المحتمل جدا أنها ترجع الى أهل مدين • وثمودى ومرسمانى ترجعان كذلك الى أهل مدين اذا أدخلنا فى اعتبارنا الموضع الذى كانتا تحتلانه • ووفقا لهذا التعيين فان سرجون الثانى قد اتجه فى حملته جنوبا على طول الطريق التجارى العظيم وشن الغارة على أماكن عدة وواحات كانت تسكنها هذه القبائل ثم أخذ الأسرى فنقلهم الى السامرة القاحلة • ولاندرى الى أى مدى قد استطاع هذا الجيش أن يتوغل ولكنه على كل حال لم يستطع أن يبلغ واحة تيماء أو ديدان لانه اذا كان قد بلغ هذا الحد فلا بد للحوليات الآشورية من أن تثبت مثل هذه الحقيقة • وهذه الغارة قد اقنعت ايتمارا السبئى — الذى كان كما أرى المقيم السبئى فى واحة ديدان — أقنعته بأن يسارع الى تقديم الهدايا الى سرجون •

القبائل الأخرى من اهل مدين :

وليس لدينا فيما نشر حتى الآن من الوثائق القديمة ولا فيما ورد فى الكتاب المقدس شىء يتصل بقبائل زمران ويشباق سوى ما ذكر فى سفر التكوين « ٢٥ : ٢ » من أنهما من ولد ابراهيم من زوجته قطورة •

وربما كان يوقشان هو عين قحطان أحد أولاد سام والذى منه انحدرت القبائل التى تسكن وسط بلاد العرب — كما ترى التوراة •

وبلدد الذى ينتسب الى قبيلة شوح قد أتى لعيادة أيوب فى مرضه « سفر أيوب ٢ : ١١ ، ١:٨ ، ١:١٨ ، ١:٢٥ ، ٩:٤٢ » وأرض عوص التى كان يسكنها أيوب تقع — فيما أرى — فى جوار مدينة الطفيلة الحديثة فى الجزء الشمالى من سعير • فعلينا اذن أن نضع الموضع الذى كانت تسكنه قبيلة بلدد — وهى شوح — على الحافة الجنوبية الشرقية أو

الحافة الشرقية لمنطقة سعير أو أدوم القديمة . وعلى ذلك فهى تقع فى المنطقة التى كانت تسكنها القبائل من أهل مدين .

ونحن نعلم أن من بين قبائل مدين « سفر التكوين ٢٥ : ٤ » قبيلة عيفة أو خايابا الآشورية التى كانت تسكن الى الغرب من واحة تيماء وقريبا من الطريق التجارى المذكور سابقا . أما قبيلة عفر فقد حفظ لنا اسمها فى التسمية التى يحملها وادى العفار أو العفال الذى يمر خلال واحة مدين أو البدع الحديثة . ولقد قلنا ان ابيدع هى عينها اباديدى الآشورية وعينّا مكانها بين قبيلة ثمود التى كانت تمتلك حرة العوارض وبين قبيلة مرسمانى التى كانت صاحبة الواحات التى تقع على ساحل البحر شمال غربى المويلح . أما حنوك والدعة فلا تذكران فى أى مكان آخر .

ولقد تكلمنا توا عن قبيلة سبأ . أما فيما يختص باشوريم ولطوشيم ولاميم أولاد ددان فانا لانعلم عنها شيئا .

ددان او ديدان :

كانت ددان تملك الواحة المسماة بنفس الاسم والتى تعرف حاليا باسم العلا . وكانت هذه الواحة تقع على الطريق التجارى الرئيسى الواصل بين الجنوب الغربى لبلاد العرب وبين سوريا ومصر . وكان يتفرع من هذا الطريق عند هذه الواحة طريق آخر عظيم كان يمر على حدود الحافة الجنوبية لرمال النفود الصحراوية ثم يخترق قلب الجزيرة العربية الى الخليج الفارسى وبابل . وكما نعلم من النقوش التى بقيت فى واحة ديدان فان ملوك الجنوب الغربى من بلاد العرب كانوا يسيطرون على هذا الطريق التجارى العظيم . وكان سكان الواحة يتألفون من طائفتين أولاهما من أهل البلاد الأصليين والثانية هى الجالية السبئية التى هاجرت من جنوب بلاد العرب . وهذا يفسر لنا كيف أن الكتاب المقدس يعتبر ددان تارة من الكوشيين من جنوب بلاد العرب « سفر التكوين ١٠ : ٧ » وتارة أخرى يعتبرها من السلالة السامية من ولد ابراهيم من زوجته قطورة « تكوين ٢٥ : ١/٤ » .

ولم توجد حتى الآن بين النقوش الآشورية اشارة عن ديدان فانه من المحتمل جدا أن تكون واحة ديدان — ابان العهد الآشورى — خاضعة خضوعا تاما للملوك السبئيين وأنه حين تتكلم الوثائق الآشورية عن سبأ فانها تعنى الحاكم السبئى لواحة ديدان وليس الملك السبئى المقيم فى الجنوب الغربى للجزيرة العربية • والكتاب المقدس غالبا ما يصل ددان بسبأ « سفر التكوين ١٠ : ٧ ، ٢٥ : ٣ ، سفر حزقيال ٣٨ : ١٣ » فكبار الأنبياء كانوا على معرفة بددان ففى سفر أشعيا « ٢١ : ١٣/١٥ » توجد اشارة الى القافلة التجارية من ددان التى اضطرت الى أن تقضى الليل فى البرية فى الغابة وقد طلب الى أهل تيماء أن يسارعوا اليها بالماء والخبز اذ كان أفرادها عطشى جياعا • والسياق يدل على أن هناك خطرا عظيما كان يتهدد ادوم وأهل تيمان الذين يمر فى أرضهم الطريق التجارى العظيم الذى كانت تسلكه القوافل الآتية من ديدان • وأن هذه القوافل قد اعتادت كى تنجو من الخطر أن تذهب الى البرية تلتمس بيتا فى الغابة • فالمسافرون اذا كانوا متعبين فانهم يستغرقون فى نومهم فيكونون فى سبات عميق فيسهل لذلك مهاجمتهم ليلا ، فهم يؤثرون أن يمضوا ليلهم مع مزيد من الاطمئنان فيها • والغابة هنا هى واد أو منخفض تغطيه أشجار الأكاسيا والطرفاء ويوجد من أمثاله الكثير فى الجنوب الشرقى من أدوم • فأهل تيماء كانت تأخذهم الشفقة بهؤلاء اللاجئين فيحملون اليهم الماء والخبز ومثل هذا يحدث حتى يومنا هذا يقوم به سكان الواحات حين يعلمون أن قبيلة من القبائل التى تربطهم بها صداقة يطاردها عدوها وهى فى طريقها للفرار منه •

ونجد كذلك فى سفر ارميا « ٢٥ : ٢٣ » فقرة عن الخطر الذى كان يتهدد ديدان وتيماء وبوز وأهل ديدان كانوا مضطرين الى أن يختبئوا فى الأخاديد العميقة «سفر ارميا ٤٩ : ٨ » ويعنى ارميا بذلك العمق والأخاديد التى تكون فى المنطقة البركانية والتى يأمن فيها اللاجئون • وتكون بيضاوية الشكل يحيط بالواحد منها سور طبيعى من اللابة يصل الى ارتفاع خمسين مترا ولا يمكن الوصول اليها الا خلال درب ضيق قد كونته آثار

أقدام المارة وهذا الدرب تحف به صخور الحرات وأسوار اللابة ويسهل الدفاع عنها بعدد قليل جدا من المدافعين ويرتد المهاجم دونها خاسرا . ويمتد اقليم الحرات الى مسافة قدرها مائتا كيلٍ الى الشمال من واحة ديدان .

وفى سفر حزقيال « ٢٥ : ١٣ » فان يهوقا ينذر بأنه سيحيل أدوم الى برية قاحلة تمتد من تيمان حتى ديدان . وتيمان هو اسم المحلة والاقليم الذى يقع على الحافة الشمالية من أرض أدوم . وهذه الأخيرة تحف من الجنوب بأرض ديدان . فعبارة من « تيمان حتى ديدان » تعنى —اذن-- أرض أدوم من وادى الحسا الى السفح الجنوبى لاقليم الشراة الجبلى .

وفى سفر حزقيال « ٢٧ : ٢٠ » يذكر أن ديدان كانت تبيع الى صور طنافس الركوب . وأمثال هذه الطنافس يصنع الى اليوم فى واحات العلا وخيبر وحائل . فجلود الماعز ذات الشعر الأسود الناعم الطويل تدبغ حتى تصير ناعمة ثم تحلى وتعمل لها الحواشى وتوضع بعد ذلك على سرج الحصان أو الجمل . وقبل حرب عام ١٩١٤ / ١٩١٨ فان الطنفسة من هذا النوع كانت تساوى مبلغا يتراوح بين الاثنين وبين العشرة من الدولارات وذلك تبعا لاختلاف نوعه .

وفى نقوش بلاد العرب الجنوبية نجد ذكرا لديدان على أنها مكان يستورد منه خدم المعابد Glaser's inscriptions (Gollated by Adolf Grohmann) National-Bibliothek, Vienna 942=1277, 944=1268, 946=1270, (961=1241, 963=1243. 974, 976=1255, 1025.

ومن النقوش التى اكتشفت فى ديدان (D. H. Müller : Epigraphische Denkmäler ص ١/٩٦ » نرى أن أهل ديدان لم يكن لهم ملك من بيتهم فقط بل كان لهم كذلك مقيم من عرب الجنوب كان يسمى « كبيرا » . وأن البيت الملكى الوطنى « من أهل الواحة الأصليين » كان يسمى لحيان . كما نجد فى هذه النقوش أن المقيم الجنوبى كان يباشر السلطة باسم ملوك معين أو

المينيين ، ولانجد فيها مايتصل بالفترة السابقة التى كان يباشر السلطة فيها باسم السبئيين • ومن هذا يتضح أن نقوش ديدان تتصل بعهد أحدث من ذلك الذى تتصل به النقوش الآشورية الخاصة بسبأ • فنقوش ديدان ترجع فى تاريخها الى القرن السادس قبل المسيح • ويدعّم ذلك أيضا أن الترجمة السبعينية تشير بكثرة الى المعينيين • وعلى الرغم من أن التوراة لاتشير ولو مرة واحدة الى اسم لحيان فان هذا الاسم كان مألوفا لدى الكتاب الأقدمين • ففى عهد أجاثارشيد فان خليج العقبة كان يسمى خليج لحيان «Laeanitic» وهذه التسمية تدل على أن لحيان أو اللحيانيين «Laeanites» لم يكونوا يسيطرون علّى طريق التجارة البرى فقط بل كانوا يسيطرون كذلك على الطريق البحرى الى ايلات وأن البحارة والتجار الاغريق كانوا يدفعون الجزية للعصابة من لحيان • وربما كان الحال كذلك فى القرن الرابع والثالث قبل الميلاد لأن أجاثارشيد الذى كتب عن البحر الأحمر فى القرن الثانى يعرف فقط اسم خليج لحيان ولكنه لايقول شيئا عن عائلة لحيان الحاكمة • ويبدو أن النبطيين قد مكنوا للحجر على حساب المستعمرة العربية الجنوبية فى ديدان وأن ملوك لحيان منذ زمن اضمحلالهم قد انتقلوا الى الحجر ؛ وعلى هذا النحو فقط نستطيع أن نفسر ماسجله بلينى فى التاريخ الطبيعى « ٦ : ١٥٦ » اذ يقول عن مدينة الحجر أنها عاصمة اللحيانيين • وماسجله هذا فقد استقاه من مصادر أخرى قديمة تعتبر الآن مفقودة لأنه حتى فى عهد بلينى فان الملوك النبطيين أنفسهم هم الذين كانوا يسيطرون على الحجر • وأما الملوك الوطنيون اللحيانيون فان الكتاب الأقدمين لم يقدموا لنا أى تفصيل عنهم • وفى نقش واحد من النقوش العربية الجنوبية نجد ذكرا للحجر هذه (Glaser) 985=1264)

وفى الوقت الذى اضمحلت فيه سلطة اللحيانيين فان سلطة الثموديين قد ازدادت فى واحة الحجر • ويبدو أن الطريق التجارى قد غيّر اتجاهه بفعل النبطيين فى جنوب هذه الواحة فكان يمر على مسافة سبعة كيلات الى الشرق من واحة ديدان القديمة • وهكذا تم القضاء على البقية الباقية

منها . وفى فجر الاسلام فان الطريق التجارى وطريق الحج تبعا له كان يمر الى الشرق من واحة ديدان ، فاختفت هذه الواحة من صفحات التاريخ وأضحت المدينة القديمة أطلالا ونشأت على مسافة ثلاثة كيلات منها الى الجنوب الغربى محلة أخرى كانت تسمى أول الأمر باسم القرح ثم سميت بعد ذلك باسم العلا . وليس غير بطون قليلة من قبيلة بلى القديمة هى التى لازالت تعى — ولا أحد يشاركها ذلك — أن الأطلال المعروفة بالخريبة الموجودة الى الشمال الشرقى من العلا كانت تسمى فيما مضى باسم ديدان . وهذه الصيغة « ديدان » التى تسجلها الترجمة السبعينية بدلا من الصيغة العبرية « ددان » هى التى يذكرها ياقوت فى معجمه « ط فيستنفلد ٢ : ٦٣٩ » حيث يذكر أن الديدان اسم لمدينة تقع على الطريق بين الحجاز والبلقاء كانت فى وقت ما مزدهرة عظيمة العمارة ولكنها الآن أطلال .

تلخيص

الظاهرة المتكررة فى جميع النصوص السابقة تدل — اذن — على أننا قد أصبنا بوضعنا القبائل — التى ترجع فى نسبها الى ولد ابراهيم من زوجته قطورة — فى الجنوب من منطقة أدوم الواقعة فى جبال سعير أو الشراة وفى الغرب من رمال النفود . وأنه فى هذا المكان نفسه يضع فلافيوس يوسيفيوس مديانا « Flavius Josephus :) Archaelogia . ٢ : ٢٥٧ » ، ويضع بطليموس مدياما « جغرافيا ٦ « ٧ : ٢٧ » » ، ويضع أوزيب القيصرى مديم « Onomasticon ط كلوسترمن ص ١٢٤ » ، وتضع النصوص العربية المركز الرئيسى لقبيلة مدين .

والمصادر الآشورية تذكر كذلك واحة تيماء مقرونة بأسماء القبائل من أهل مدين التى يرد ذكرها فى الكتاب المقدس . وهذا الى جانب علمنا بموضع تيماء — الى الجنوب الشرقى من سعير — الذى ذكرناه سابقا — فانه يقوى ماذهبنا اليه من أن سكان واحة تيماء كانوا كذلك من سلالة ابراهيم من زوجته قطورة ولم يكونوا من بنى اسماعيل . والنص العبرى الذى يرد فى سفر التكوين « ٢٥ : ١٥ » يذكر تيماء بين

سلالة اسماعيل ولكن الترجمة السبعينية تذكر فى هذا النص قبيلة تيمان التى كانت تملك النصف الشرقى من أدوم الشمالية وفقا للأخبار الواردة فى التوراة . وفى تعداد التوراة لأبناء ابراهيم من زوجته قطورة فان الترجمة السبعينية « سفر التكوين ٢٥ : ٣ » تذكرها فى صيغة المفعول فتقول Taiman ، Daidan ، Saban وانى أرى أن صيغة الفاعل لتيمان هى تيما Taima كما أن صيغة الفاعل من سابان السابقة هى سبا وأن المترجمين اليونان قد وجدوا أن النص العبرى يذكر اسم قبيلة تيماء بين قبائل سبأ وديدان ، وأنها كانت ترجع اليهما فعلا .

ووفقا لهذا الرأى فان موسى حينما فر ليلتمس الملجأ والمأوى فى أرض مدين فقد فرّ الى الجنوب الشرقى من ايلات « العقبة » حيث كان يوجد كذلك جبل الرب الذى قاد اليه بنى اسرائيل فيما بعد .

٥ - جبل الرب :

وجبل الرب الذى نزلت فيه الوصايا الى بنى اسرائيل يسمى «حوريب» ويسمى كذلك « سينا » .

ففى سفر الخروج « ٣ : ١ » نجد أن موسى بينما كان يرعى غنم حميه يثرون ، كاهن مدين ، ساقها ذات مرة فيما وراء البرية وأتى جبل الرب أو « حوريب » فجبل الرب يقع اذن فى الأرض التى كانت تسكنها مدين ولكن على مسافة من مسكن يثرون . واذ قد علمنا أن أرض مدين كانت تقع الى الجنوب الشرقى من النهاية الشمالية لخليج العقبة فيجب اذن أن نضع جبل حوريب فى نفس هذه المنطقة .

ووفقا لما ورد فى سفر التثنية « ١ : ٢ » فانه من الممكن الوصول من جبل حوريب الى قادش برنيع عن طريق جبل سعير فى أحد عشر يوما .

ووفقا لما ورد فى سفر التثنية كذلك « ١ : ١٩ » فان الطريق الى جبل سعير هو عينه الطريق الى جبل الأموريين وهو الطريق الذى مرّ فوقه بنو اسرائيل بعد أن تركوا حوريب — خلال برية واسعة مخوفة بعيدة حتى قادش .

ـ وقد وضعنا قادش برنيع فى جوار بترا ونحن نعلم أن جبل سعير يمتد فى شرق أخدود العربة فى جوار بترا بينما تمتد جبال الأموريين فى الشمال الغربى منها • والطريق المقصود هنا هو هذا الذى يسير محاذيا للسفح الغربى لجبل سعير ، ولكن لما كان هذا الجبل يتجه فى امتداده من الشمال الى الجنوب فنحن نعلم اذن أن الطريق لابد وأن يسير كذلك فى اتجاه جنوبى شمالى وهذا ينتهى بنا الى الجنوب الشرقى للعقبة • فهنالك يجب اذن أن نضع جبل حوريب فى أرض مدين • والكتاب المقدس لايقول ان هذا الطريق يمر خلال سعير ولكنه يقول انه الطريق الى جبل سعير ومعنى ذلك أنه الذى يتجه نحو سعير • ومن فقرات أخرى نعلم أن بنى اسرائيل فى مرورهم بهذا الطريق قد ساروا على طول الحافة القريبة جدا من جانب سعير أو أدوم ولكنهم لم يدخلوا الى بقاعه العامرة المزروعة • وأكثر من ذلك فان هذه الظروف تنطبق تماما على الطريق الذى يمر خلال وادى الأبيض عبر جبل ارم « رَمّ » ثم بأطلال الحميمة متجها الى بترا ثم بعد ذلك الى شمال الشمال الغربى •

ووفقا لما ورد فى سفر التثنية « ١ : ٢ » فان المسافة من حوريب الى قادش برنيع تقطع فى أحد عشر يوما • فاذا وضعنا جبل حوريب فى شمال الحَرّب فالمسافة منه الى المنطقة المجاورة لبترا هى أربعون ومائتان من الكيلات وهذه المسافة تتفق تماما مع التقدير السابق بمسافة أحد عشر يوما على أساس المعدل العادى لسير القوافل التجارية أو القبائل المهاجرة •

والى جبل حوريب قد اتجه ايليا حين امتحن « سفر الملوك الأول ١٩ : ٨ » فسار من ضواحى السامرة الى بئر سبع ثم بعد ذلك اتجه نحو الجنوب • وحين أزمع السفر من بئر سبع فقد وجد الطعام والشراب مهيئا وكان ذلك آية له • ثم سار بعد ذلك أربعين يوما وأربعين ليلة الى جبل حوريب وأمضى ليلته فى كهف •

والعدد الكامل « أربعون يوما وأربعون ليلة » انما يدل على أنه قد سافر لمسافة طويلة • والعبارة التى تقول انه سافر من بئر سبع نحو الجنوب تبرهن على أنه قد سافر فى اتجاه ايلات أو العقبة الحديثة وأنه قد ذهب الى

آرض مدين • وبعد أن استوثق من تأييد الله له كان عليه أن يسلك طريقه راجعا خلال برية دمشق « سفر الملوك الأول ١٩ : ١٥ » ويدل هذا على أنه كان يجب عليه أن يسير مع القوافل على طريق التجارة العظيم فى الشرق من حدود أدوم ومؤاب متجها نحو الشمال أى فى طريق العربة الذى وصل اليه بنو اسرائيل قريبا من معان فى طريق هجرتهم « سفر التثنية ٢ : ٨ » •

هذه هى جملة النصوص المقدسة التى يمكن بواسطتها أن نحدد موقع « حوريب » جبل الرب •

وقد فجر موسى الماء من الحجر قريبا من حوريب اذ ضرب الحجر بعصاه « سفر الخروج ١٧ : ٦ » وفوق حوريب فان الله أنزل الوصايا لبنى اسرائيل « سفر العدد ١ : ٦، ٤ : ١٠، ١٥:٤، ٢:٥، ١٦:١٨، ٢٨:١٩، سفر ملاخى ٣ : ٢٢ » وقريبا من حوريب صنع بنو اسرائيل عجلهم « المزامير ١٠٦ : ١٩ » وبعد أن عوقبوا من أجل فعلتهم هذه فانهم نزعوا حليهم بجبل حوريب « سفر الخروج ٣٣ : ٦ » وعند جبل حوريب وضع موسى الألواح فى التابوت « سفر الملوك ٨ : ٩ » • وليس لدينا مصادر أخرى تاريخية — سوى هذه النصوص — تشير الى حوريب •

نذهب هنا — اذن — الى أن جبل سينا يقع فى أرض مدين • ولكن اذا وضعنا « ايليم » التى نزل بها بنو اسرائيل فى طريقهم « سفر الخروج ١٦ : ١ » عند بطمة فاران « ايلات » أو فى جوارها فى واحة الدير فانا نجد أنفسنا مع هؤلاء المهاجرين من بنى اسرائيل عند الطرف الشمالى لخليج العقبة فنكون قريبا من حدود مدين • فيجب اذن أن نضع جبل سينا فى نفس اقليم مدين هذا •

ونجد فى سفر الخروج أن برية سين تمتد من ايليم الى سيناء وأنه خلال هذه البرية قد سار بنو اسرائيل الى سيناء • ومن مصر الى ايليم قد استغرقهم السير شهرا كاملا « سفر الخروج ١٦ : ١ » ومن ايليم الى منزلهم فى مواجهة جبل سيناء قد استغرقهم على الأقل ستة عشر يوما

« سفر الخروج ١٩ : ١ » ولكنهم كانوا يسيرون وقتئذ بسرعة أبطأ من ذى قبل اذ كانوا لايشعرون بما كانوا يشعرون به قبلا من الخطر .

وقد وضعت الحدود حول جبل سيناء من كل ناحية « سفر الخروج ١٩ : ١٢ » وأمر بنو اسرائيل أن يحترزوا من الصعود الى الجبل أو من أن يمسوا طرفه خوف القتل أو الرجم ومن يخالف ذلك لاتمسه الأيدى بل يرجم رجما أو يرمى رميا . فجبل سيناء لابد من أن يكون أنفا جبليا منعزلا وربما كان واقعا قريبا من شعيب الخرب عند الحافة الشمالية الشرقية للسهل المتموج المعروف باسم الخريبة .

ووفقا لما ورد فى سفر الخروج « ١٩ : ١٦ » فقد دوى الرعد ولمع البرق واستقرت سحابة ثقيلة فوق الجبل وسمع صوت كقرع الطبل الكبير فكان الشعب يرتجف وأخرج موسى الشعب خارج المحلة . « سفر الخروج ١٩ : ١٧ » وقادهم الى سفح الجبل وكان جبل سيناء قد غطى كله بالدخان « سفر الخروج ١٩ : ١٨ » لأن يهوڤا قد نزل عليه فى النار وكان يصعد منه الدخان كما يصعد من الأتون . واستقر السحاب فوق الجبل ستة أيام « سفر الخروج ٢٤ : ٢٦ » . — كثير من هذه الظواهر يدل على أن سينا كان بركانا ولكن الوصف يختلف فى أساسه عن وصف بركان ثائر . وأكثر من ذلك فمن المستبعد أن يكون موسى قد عسكر بقومه فى جوار بركان ثائر . وأما أرض مدين — وهو المكان الوحيد الذى نستطيع أن نضع فيه جبل سيناء — فكان دائما اقليما بركانيا معروفا بذلك . ففى النصف الجنوبى من مدين يوجد عديد من البراكين وكثير منها لم يكن ثائرا ابان الألف الثانى قبل الميلاد فحسب بل كان كذلك فى العصر الحديث أيضا والى فترة تتراوح بين أربع وبين ست مئات من السنين . والوصف الشعرى للظاهرة التى صاحبت نزول يهوڤا الى الجبل لابد وأن يكون قد اعتمد على الواقع الفعلى . والعقاب الذى كان يتعرض له من يجتاز الحدود ويخترق حرم الجبل بأن يرجم رجما أو يرمى رميا ولا تمسه الأيدى كان هو المألوف بالنسبة للقبائل التى تقوم بحراسة الأماكن المقدسة . فلما كانوا لايريدون أن يمسوا الآثم بأيديهم

فانهم كانوا يسددون اليه السهام من بعيد أو يرجمونه بالأحجار كى يقتلوه دون أن تصيبهم نجاسته .

وليست لدينا أية تفصيلات أخرى فيما يتعلق بموضع جبل سينا . وفى سفر التثنية « ٣٣ : ٢ » نجد أن يهوڤا قد أقبل من سيناء وأشرق على قومه من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربيات قادش «١» .
أما عن موضع سعير فنحن نعلم أنه يمتد الى جنوب الجنوب الشرقى من البحر الميت . وفاران تقع الى جنوب البحر الميت موازية للجزء الجنوبى من سعير . ومريبات قادش نفسها على الحافة الشمالية لفاران قريبا من بترا وعند سعير . فبما أن جميع الأماكن التى مر فيها يهوڤا مع بنى اسرائيل تقع الى الجنوب والجنوب الشرقى للبحر الميت فيجب أن نبحث عن موضع سيناء كذلك متتبعين نفس الاتجاه وهذا ماينتهى بنا أيضا الى أرض مدين .

ووفقا لما ورد فى سفر القضاة « ٥ : ٤/٥ » فان دبورة ترنمت بآلاء يهوڤا الذى خرج من سعير وصعد من صحراء أدوم . ومادت الجبال لما تجلى يهوڤا ، وحتى سينا حين تجلى له يهوڤا اله اسرائيل .

ومن المؤكد أن عبارة « حتى سينا » اضافة من اضافات الشارح وقد تكررت مرة أخرى على هذا النحو فى المزمور الثامن والستين « ٩ » ولكن فى الفقرة الثامنة عشرة نجده يذكر مباشرة أن الله قد أتى من سيناء . وفى سفر نحميا « ٩ : ١٣ » نجد ذكرا لنزول الله على جبل سينا حيث أنزل شريعته ووصاياه . —

ومن هذا يتضح أن بعض النصوص يطلق على جبل الرب اسم حوريب والبعض الآخر يسميه سيناء ولكن فى كلا النوعين فان المقصود هو واحد بعينه . وهذا المكان يجب أن يكون موقعه فى أرض مدين الى الجنوب الشرقى من العقبة .

---

(١) نص الترجمة العربية « من ربوات القدس »

الحجر

يقول استرابو « جغرافيا ١٦ « ٤ : ٢٤ » إن آليوس جاليوس في سيره من جنوب بلاد العرب مر بصحراء ليس فيها غير القليل من العيون عند محلة « اجرا » Egra التي تقع قريبا من البحر في أرض عبادة Obadas ملك النبطيين ومن هناك عبر البحر بجيشه الى مويس هورمس في أحد عشر يوما ووصل النيل قريبا من مدينة قفط فأبحر منها الى الاسكندرية •

ومن المؤكد أن آليوس جاليوس قد عاد من جنوب بلاد العرب فوق الطريق التجارى العظيم الموصل الى سوريا • وعلى هذا الطريق العظيم كان يقع أهم مركز للنبطيين وهو الحجر • وتبعا لذلك فاننا نستنتج أن « اجرا » التي ذكرها استرابو هي بعينها الحجر • ولكن لما كانت الحجر لاتقع على ساحل البحر وانما تقع في الداخل فلعل آليوس جاليوس قد ترك الطريق التجارى قريبا من هذه المدينة ثم اتجه بعد ذلك الى الساحل الذى كانت تقع عليه فرضة الحجر • ومن الممكن بل من المحتمل أن تكون هذه الفرضة معروفة بنفس الاسم الذى عرفت به الحجر — كما أن ميناء مدين كانت تعرف كذلك باسم مدين — وأن ميناء الحجر هذه ربما كانت هي بعينها الميناء التي تعرف اليوم باسم الوجه • فاسترابو يذكر أن الجيش الرومانى قد عاد على الساحل • والمسافة من الحجر الى فرضتها هذه ثم بعد ذلك عبر البحر الأحمر الى الميناء الافريقى مويس هورمس « عرض ٢٧° » من الممكن أن تستغرق أحد عشر يوما • فالرومان كانوا في جنوب بلاد العرب على مسيرة يومين من الاقليم الذى كانت تستورد منه أنواع التوابل المختلفة ومن هناك ساروا ستين يوما حتى وصلوا مدينة اجرا • ووفقا لسترابو « جغرافيا ١٦ « ٤ : ٤ » » فان القوافل التجارية المحملة بالبخور والتوابل كانت تقطع الرحلة من هذا الاقليم المذكور حتى ميناء ايله Aelana — وهي على مسافة خمسين وثلثمائة كيل من الحجر — في سبعين يوما • ولما كانت الأعداد سبعون وستون أعدادا تقريبية فقط وأن أيلة تقع على مسيرة عشرة أيام تقريبا من الحجر فان هذه التفصيلات تؤكد ماذهبنا اليه من أن اجرا هي الحجر بعينها •

وبلينى يذكر فى التاريخ الطبيعى « ٦ : ١٥٦ » اسم عاصمة اللحيانيين Lacanites الذين سمى الخليج باسمهم وهذه العاصمة هى Hagra أو تبعا للاختلافات Agra او Hagart أما Lacanites فهم العرب اللحيانيون الذين بقى اسمهم فى أماكن عدة فى شمال الحجاز وقد كانوا سادة الاقليم قبلا وربما كانوا كذلك مدى حقبة من الزمن ابان عهد النبطيين • وكان مركزهم الرئيسى هو واحة ديدان أو ددان على بعد عشرين كيلا تقريبا الى الجنوب من الحجر • وفى أوائل القرن الثانى المسيحى فان قوة النبطيين قد زادت وانتشروا من الشمال الى الجنوب واستقروا فى الحجر التى بدأت تحل تدريجيا محل ديدان القديمة • والنبطيون فى الحجر كانوا أول أمرهم رعية للحيانيين الذين كانوا يسكنون كذلك وبكل تأكيد فى واحة الحجر كما كانوا يسكنون كذلك ديدان • ومن هذا يمكن أن نستنتج أن هجرا عاصمة اللحيانيين هى بعينها الحجر • و لانستطيع أن نضع عاصمة اللحيانيين على الساحل اذ كانوا يشتغلون بالتجارة البرية أكثر من التجارة البحرية • وأكثر من ذلك فان الطريق التجارى الرئيسى لايمر بمحاذاة الساحل وليس هناك واحد من المؤلفين القدماء على الرغم من معرفتهم بالساحل يذكر أن عاصمة اللحيانيين كانت تقع على الساحل •

ونفس المدينة يذكرها بلينى « التاريخ الطبيعى ٦ : ١٥٧ » باسم هيجرا Haegra أو هجرا Hegra تبعا للاختلافات • وكانت على اتصال وثيق بالثموديين الذين تقع الحجر فى أرضهم • وانى أعتقد أن الأرينى Arreni أو الارسيني Araceni الارّسينى Arraceni أو الانجمى Anagemi تبعا للاختلافات » الذين كانت تتركز جميع التجارة فى مدينتهم كما يؤكد بلينى هم بعينهم سكان مدينة هجرا Hagra أو هجرا Hegra • أو الحجر الحديثة• وبلينى قد جمع مؤلفه هذا من مقتطفات عديدة من التآليف الأخرى فليس من الغريب أن نجد فيه نصوصا متباينة عن مدينة واحدة ولا أن يكتب اسمها بطرق مختلفة • والجزء الشمالى الغربى من بلاد العرب السعيدة الذى يتكلم عنه بلينى الآن لم يكن يضم فى عهده أية مدينة سوى الحجر ومن الممكن أن يقال انها كانت تتركز فيها جميع أنواع التجارة •

وبطليموس يورد فى جغرافيته « ٦ « ٧ : ٢٩ » اسم مدينة اجرا Egra بين اسمي سـواكا Soaka وسلمى Salma . وسواكا هى هـذه الأطلال الموجودة بالواحة التى تسمى الآن باسم شواق وتقع على مسـافة قدرها أربعون ومائة كيل الى الغرب « من الحجر » وسلمى هى المعروفة حاليا بأبى سلامة وتقع على مسافة قدرها ستون كيلا الى الغرب كذلك .

ويذكر اسطفن البيزنطى (Ethnica (Meineke) vol I p. 260) مدينة اجـرا Egra على خليج أيلة Ailanitic

ويذكر الطبرى « تاريخ ط دى غوية ٢١٥ » أن ثمود كانت تسـكن الحجر وما جاورها بين الحجاز والشام حتى وادى القرى .

يذكر ابن الأثير فى كتابه الكامل « ط تورنبرج ٢ : ٣ » كاهنة بالحجر كانت تشد اليها الرحال من أماكن نائية «[1]»

ولما مَرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر — فى غزوة تبوك — نزلها واستقى الناس من بئرها فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم لاتشربوا من مائها شيئا ولاتتوضئوا منه للصلاة وماكان من عجين عجنتموه فاعلفوه الابل ولا تأكلوا منه شيئا « الطبرى : تاريخ ط دغوية ١٦٩٧ — الواقدى : محمد ط فلهوزن ص ٣٩٧ — ابن هشام : السـيرة ط فيستنفلد ٨٩٨ » .

ويذكر الاصطخرى « المسالك دى غوية ١٩ » أن الحجر محلة صغيرة قليلة السكان وهى من وادى القرى على مرحلة ؛ فى وسط صخور منعزلة تعرف بالأثائب وفيها ديار ثمود .

وفى زمن المقدسى « ٩٨٥ م » كانت الحجر حصنا صغيرا به عدد من العيون والنخيل والبساتين « أحسن التقاسيم ط دى غوية ٨٤ » وغير بعيد منها على صخرة مرتفعة يقع مسجد النبى صـالح وهو منقور فى الصخر وحوله عدد من المنازل الغريبة التى كان يسكنها أهل ثمود وأبوابها مزينة بالرسوم والنقوش .

(١) اشير على عبد المطلب ان يذهب اليها ليستفتيها فى امر نذره

ويذكر البكرى فى معجمه « ط فيستنفلد ص ٢٧٠ » أن الحجر ديار ثمود وهى تقع بين الحجاز والشام .

ويذكر الادريسى فى كتابه نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق « الاقليم الثالث الجزء الخامس » أن الحجر حصن تسكنه الأشباح يقع على مرحلة من وادى القرى وبها بيوت منقورة فى الصخر وأهل الحجر وتلك النواحى يسمونها الأثالب وبها كانت ديار ثمود وبالقرب منها عين . والمنطقة المحيطة بها رمل وأحجار ويصعب زراعتها . ومن الحجر الى تيماء أربع مراحل وكذلك من تيماء الى خيبر والى دومة الجندل أربع مراحل كذلك وتيماء على ثلاثة أيام من أول الشام .

ويذكر ياقوت فى معجمه « ط فيستنفلد ٣ : ٦٣٤ » أن شعيبا وأهله كانوا يسكنون أرض مدين وكان صالح يسكن فى نواحى الحجر وكان هود وقومه عاد يسكنون فى الأحقاف « فى جنوب بلاد العرب » ووفقا لما يذكره ياقوت « ٢ : ٢٠٨ » فان الحجر هى اسم لمنازل ثمود فى وادى القرى بين المدينة والشام .

ويطلق ياقوت كذلك اسم الأثالب على الصخور الموجودة قريبا من الحجر ويجعل الحجر جزءا من وادى القرى . بينما نجدها — وفقا لما يذكره غيره — تقع على مرحلة منه « وادى القرى » ويحرف ياقوت كلمة الأثالب فيكتبها الأثالت وذلك من قبيل التحريف كما يظهر بوضوح من شرحه اذ يقول الأثالب جبل من أرض ثمود عند الحجر ليس بعيدا عن وادى القرى .

ولقد زار ابن بطوطة فى أواخر عام ١٣٢٦ م « تحفة « ط دفريمرى وسنجونيتى ص ٢٥٩ » عينا غزيرة الماء فى حجر ثمود وهو يصف فى اعجاب منازل ثمود المحفورة فى الصخر الأحمر ولها معارج عليها يظهرون وكانت هذه المنازل محفوظة كما لو كانت حديثة البناء وفى داخل المنازل تظهر بقايا كثيرة من العظام وبين صخرتين يوجد فج الناقة الذى خرجت منه ناقة صالح وقد رأى هناك آثار المسجد الذى كان يصلى فيه صالح .

وحاجى خليفة يطلق عليها اسم الحجر أو قرية صالح « جهان نما « استانبول ١١٤٥ هـ » ص ٥٢١ » وهى اقليم صخرى قاحل تغطيه تلال منعزلة تسمى الأثالب وتظهر الكثبان الرملية هنا وهناك فى الاقليم • وعلى مسيرة نصف يوم تقريبا من العلا يوجد مسجد النبى صالح وهو منقور فى الصخر ككثير من مساكن ثمود •

وعند محمد أديب فى كتابه المنازل « ط استانبول ١٢٣٢ هـ ص ٧٩ » فان الحجر كانت تعرف بمدائن صالح أو قرى صالح أو عدال • وهى تقع على مسافة تسع عشرة ساعة من الدار الحمراء ويقال انها كانت فى وقت ما ملكا لثمود • والمساكن فى مدائن صالح عظيمة محوتة فى الصخر ولا يسكنها أحد وهناك حصن وبركة للماء تملأ من العين الكبيرة المحفورة فى الحصن • والماء فى العيون الأخرى لايصلح للشرب وغير بعيد منها يظهر الجبل المعروف باسم « اثان » وفى مرتفع منه يوجد مسجد صالح وهو منقور فى الصخر • وفى كل مكان أطلال للمبانى التى شيدتها ثمود • وكان الحجاج فى زمن محمد أديب « حوالى ١٧٧٣ م » يمكثون بها يوما كاملا اذ كانوا يدفعون هناك أجور من يحملون لهم الخيام ويوزعون فيهم الهدايا •

وغالبا ماكان الحجاج يصدرون من الحجر متخذين طريقا آخر ليتجنبوا النزول بالعلا • كما أنه من الممكن كذلك الوصول الى حصن زمرد عن طريق سهل المطران • ويتفرع هذا الطريق الآخر من الطريق التجارى القديم عند الحجر فى اتجاه جنوبى شرقى مارا بالخانق الموجود بين جبال الحوراء وجبال الباظة ثم يخترق بعد ذلك سهل المعتدل ثم يتجه نحو الجنوب مارا بمضيق العقيب ثم الى ماء البدايع بعدذلك حيث يعود ثانية فيلتقى بالطريق المؤدى الى العلا •

« شمال الحجاز عند المؤلفين الأقدمين وعند مؤلفي العرب »

١ — الساحل والجزر :

ووفقا لما ذكره أجاثارشيد Agatharchides:Periplus(Photius' version (Müller) vol I) ص « ٩/١٧٧ » فان من يبحر من خليج هيروبوليس يصل الى مكان يسمى نسا ، سمى بهذا الاسم من أجل نوع من طيور الماء يكثر هناك . وتقع نسا هذه عند رأس من الأرض تغطيه الأحراش الكثيفة التى تمتد رأسا الى بترا وفلسطين حيث كانت تنتقل البخور والتوابل وكان يقوم بنقلها الجرّيون Gerrhacans والمعينيون والعرب الذين كانوا يسكنون هناك فى البقاع المجاورة . ثم بعد ذلك يمكن الوصول الى خليج لحياز (Lacanitic) الذى يوجد بالقرب منه عدد من قرى العرب النبطيين ، الذين كانوا لايملكون الساحل فقط بل كانوا يملكون كذلك عددا من القرى الواقعة فى الداخل . والاقليم عامر بالسكان غنى بالماشية غنىً لايمكن تصوره . ووراء خليج لحيان يأتى اقليم Bythemani « بيتمانى » وهو اقليم منخفض" مطمئن" شاسع" مستوٍ غزير الماء يكثر به العشب والنباتات الطبية ونبات البردى اذ يبلغ ارتفاعه قامة الرجل . ولا يزرع هناك شيء سوى ذلك . وكان من نتيجة هذا أن أضحى الاقليم مملوءاً بالجمال البرية وقطعان الغزلان والظباء والماشية والبغال والثيران . ولكن هذا الغنى المفرط له مضرة واحدة فقد اجتذب عددا من السباع والذئاب والفهود . ومن ساحل هذا الاقليم يبتدأ شرم طوله خمسمائة استادة وتسكن عليه « بت ميزومانيس » Batmizomaneis التى تعيش على صيد البر . وتجاه الساحل المشار اليه توجد جزر ثلاث أولاها موقوفة على الالهة ايزيس والثانية تسمى « سكبيا » Sukabya والثالثة تسمى ساليدو Salydo وهى جميعا غير مسكونة وينبت بها شجر الزيتون ولكنه لايشبه الزيتون المعروف عندنا فهو نوع خاص بهذا الاقليم . وبعد هذه الجزر الثلاث التى تقع خارج الخليج يمتد ساحل صخرى طويل ، وهو جزء من اقليم العرب الثموديين Thamudenoi وعلى طول هذا الساحل فان الملاحة تكون صعبة اذ يمتد الساحل مسافة طويلة تزيد على الف ستادة دون أن

يكون به مرفأ واحد" آمن" ، يسهل الدخول اليــه ؛ ولا مرسىً يمكن الالتجاء اليه، ولاخليج أو جزيرة يمكن للملاحين أن يلقوا مراسيهم بهما . —

ولفظ نسا هذا هو وصف فقط وليس اسما علما ومعناه « جــزيرة الطيرر » . وأجاثارشيد لايذكر لنا الاسم العلم الذى كانت تعرف به هذه الجزيرة ؛ ولكن يبدو من الملابســات الأخرى أن هذه الجزيرة لابد وأن تكون هى نفس الجزيرة المعروفة بجزيرة « تيران » أو « تاران » . واسم « تيران » يعنى كذلك نوعا من طيور البحر . فلفظ « نسا » اذن مرادف لاسم «تيران » . والرأس التى يقول أجاثارشيد انها تمتد قريبا من هــذه الجزيرة هى الرأس المعروفة حديثا باسم رأس القصبة . وهى طرف المنطقة الجبلية الملاصقة لخليج العقبة والمحاذية له شرقا وتمتد حتى بترا عاصمة النبطيين ثم تمتد بعد ذلك الى فلسطين . وتغطى هذه المنطقة فى نصفهــا الشمالى — حتى الطرف الجنوبى للبحر الميت — غابات كثيفة . والنصف الجنوبى من هذه المنطقة قاحل الا فى الوديان حيث يمكن أن تظهر أحراش واسعة من أشجار الأكاسيا وحيث يرى على السفوح هنــا وهناك أنواع أخرى من الأشــجار مما يدل على أنه من الممكن — حتى اليــوم — أن يزرع هذا الاقليم بالغابات . ويمتد خليج لحيان أو خليج العقبة — كما يسمى اليوم — من جزيرة نسا الى الشمال مسافة تقرب من ثمانين ومائة كيلو ويكون متوسط اتساعه ثمانية عشر كيــلا . ولم يبق شىء من آثار القرى النبطية التى كانت تقع قريبا منه فى وقت من الأوقات ؛ فلا توجد — الآن — الا أحراش صغيرة من أشجار النخيل تقوم على الســاحل ، وبعض سدود الري التى أقيمت عند أفواه الوديان ، وبقية من الأســوار المنخفضة التى كانت تسور بها الحدائق مما يدل على أن هذه البقعة كانت تزرع فى وقت ما . والمــكان الذى تحتله بيثمانى Bythemani لايمكن تحديده تحديدا دقيقا اعتمادا على عبارة أجاثارشيد . وهو يضعه وراء خليج لحيان . ووفقا لما ورد فى جميع التفصيلات فانه قريب من الســاحل فربما كان هو عين الاقليم المنخفض من وادى الأبيض المعروف بالمغال أو المغار فهو اقليم منخفض من الأرض طوله أكثر من خمسين كيلا وعرضه عشرون وتحف به من الشمال ومن الشرق الجبال العالية والتلال الحصينة،

ويحوى كمية كافية من الماء • وعلى سفوح الوديان المتفرقة خاصة وادى العفال توجد المروج الواسعة المغطاة بالحشائش بأنواع مختلفة من النفل• وليس من المؤكد اذا كانت الجمال البرية قد كانت ترعى هناك فعلا فى وقت ما • ولم أجد فى أى مؤلف يعتمد صاحبه على مصادر مستقلة أية اشارة عن وجود الجمال البرية ببلاد العرب ولايمكن أن نعتقد بوجودها فى أرض بيتمانى التى كانت محاطة بترى النبطيين • فربما كانت هناك قطعان من الجمال ترعى فى حرية ولكنها كانت مع ذلك ملكا لمالك معين ولم تكن برية وكانت تحرس بالطريقة التى تحرس بها قطعان الماشية • أما البغال التى يذكرها أجاثارشيد فربما كانت خيلا ، ولكن لاتوجد اشارة الى ذلك • والغزلان التى يذكرها ربما كانت وعولا بيضاء Antelopea ويمكن أن تكون فى الاقليم حتى الآن • أما الغزلان نفسها deer فهى غير معروفة هناك حتى الآن • وفى هذه الاقاليم من بلاد العرب فان الأسد قد انقرض تماما ولكن لازالت هناك بعض الذئاب والفهود • وأما الخليج الذى يبلغ طوله خمسمائة ستادة «٧٩كيلا» والذى يذكره أجاثا رشيد فهو تلك الشقة من البحر التى يبلغ طولها خمسة وسبعين كيلا وعرضها خمسة عشر كيلا والتى يحف بها الساحل من ناحية الشمال والشرق • أما من الجنوب والغرب فتحف بها مواضع ضحلة بها بعض الجزر والجزيرات • وهذه الشقة تمتد من تاران متجهة نحو الشرق وتنتهى بالرأس المعروفة برأس مهاية شرما •

وقد كان الساحل المطل على هذا الخليج ، وكذلك الواحات الواقعة فيه وهى شرما وتريم والمويلح ، وكذلك الأرض المرتفعة التى تجاورها كانت ملكا لقبيلة بت مزيمانى Batmizomani • أما الجزر الثلاث المذكورة فان ساليدو ربما كانت هى نفس الجزيرة المعروفة بالصلا وسكتيا ربما كانت جبْعا أو كما تنطق كذلك يبْعا والجزيرة الموقوفة على الالهة ايزيس ربما كانت هى المعروفة بالبرقان • أما الساحل الصخرى الذى يمتد لمسافة طويلة وكان ملكا لقبيلة ثمود فهو الساحل الذى يمتد من رأس السبخة نحو الجنوب الشرقى وبه القليل من الخلجان ولايوجد به سوى مكانين صالحين لرسو السفن أحدهما عند محلة ضبا والآخر جنوب العوينة •

ووفقا لما يذكره ديودورس(Bibl. hist III, 43)فانه من الممكن الوصول الى خليج لحيان Laeanitic من وراء الرأس التى عند مدخل خليج هيروبوليس . فبالقرب من خليج لحيان هذا يقع عدد من قرى النبطيين العرب كما يسمون . وهذا الشعب يسكن لمسافات على طول الساحل ، وفى اقليم واسع فى الداخل وذلك لأنهم كثيرو العدد كثرة شاذة ولهم عدد من الماشية لايتصور كثرة . وبعد ذلك يمتد ساحل ترويه العيون التى تسيل من كل جانب وفيه تنبت الحشائش البرية والطبية والبردى وتبلغ هذه الحشائش فى ارتفاعها قامة الرجل . وهذا المرعى الغنى المتسع لايكفى ذلك العدد الذى لاحصر له من قطعان الماشية المختلفة الأنواع ، ولكنه كان يكفى كذلك عددا من الجمال البرية والظباء والغزلان deer, gazelles . وكانت هذه الحيوانات تجتذب السباع والذئاب والفهود من البرية وكان الرعاة يقومون الليل ليحرسوا أغنامهم من خطرها . ويمتد على طول هذا الصقع شرم يدخل فى الأرض طوله خمسمائة استادة تقريبا ؛ وتكتنفه مرتفعات قوية ويصعب الدخول اليه لكثرة الرياح به ولوجود الصخور المتفرقة عند مدخله . وهذا المدخل تشرف عليه صخرة ناتئة فى البحر مستشرفة . وغالبا ماتكون الملاحة عبره مستحيلة فيصعب الدخول فيه أو الخروج منه لأن الرياح اذا تغيرت فى وقت المد فان الأمواج ترتطم بالصخور وتتكسر فى كل مكان على هذا الطرف الناتىء . وسكان الاقليم المجاور لهذا الساحل يسمون « بنى زومانيس » «Banizomencis» وهم يعيشون من صيد البر ويقتاتون بلحوم الحيوانات التى يصيدونها . وفى هذا الاقليم يوجد معبد تقدسه العرب جميعا وغير بعيد من هذا الساحل تقع جزر ثلاث بها عدد من الموانى . والجزيرة الأولى هى الآن غير مسكونة ويقال انها كانت موقوفة على الالهة ايزيس وفيها يمكن أن تتتبع البقية الباقية من أساس لبناء قديم يتألف من أحجار وأعمدة ذات نقوش بدائية . والجزيرتان الأخريان غير مسكونتين كذلك وينبت فيها جميعا نوع من الزيتون يختلف عن الأنواع التى تنبت عندنا . وبعد هذه الجزر يمتد ساحل حاد أصم يصعب الدخول اليه وليس به مرفأ لمسافة الف ستادة تقريبا ولا أى نوع

من المرسى أو الملجأ الذى يأوى اليه البحارة من الخطر . وعلى طول هذا الساحل يشرف جبل صخرى القمة يطعن فى الهواء الى ارتفاع يبعث الدوار ومنه تنفتت قطع من الصخر قوية تنهار فى البحر . وعند سفح الجبل توجد صخور حادة يجاور بعضها بعضا ومن ورائها تفغر الكهوف أفواهها . هذه الكهوف التى أكلتها الأمواج والتى يتصل الواحد منهـا بالآخر فاذا كان البحر عميقا أثناء الجزر فان الأمواج تندفع داخل الكهوف ثم تسيل منها ثانية محدثة صوتا كالرعد . وكثير من الأمواج تتكسر على الكتل الصخرية مثيرة الرشاش الى أعلى ومحدثة كمية هائلة لاتتصور من الزبد . وأمواج أخرى تدخل الى الكهوف محدثة دوامة مزعجة تجـتذب كل شىء داخلها حتى ان من يصل الى هذه الأماكن ولايكون على علم سابق بما فيها فانه يموت من الخوف . وهذا الساحل ملك للعرب من ثمود .ـــ.

وديودورس لم يذكر جزيرة نيسا ولابتيمانى . « وبنى زومانيس » الذين يذكرهم هم عينهم بت ميزومانيس الذين ذكرهم أجاثارشيد فى نصه والذى يجب أن يقرأ اسمهم بنى زومانيس أى « بنى زومين » . والدخول الى خليج بنى زمين ربما كان من المنطقة الواقعة بين جزيرة تاران ورأس القصبـة . والمعبد الذى كان يقـدسه العرب جميعا والذى يشـير اليه ديودورس ربما كان هو المعبد القريب من مدين أو معبد الغوافة الواقع الى الشرق من الخليج .

ويذكر أرتيمـدورس (Artemidorus (Strabo ; Geography XVI 4;18) أنه من الممكن الوصول منخليج هيروبوليس الى جزيرة الفوكون Phokon المسماة بهذا الاسم لأن عجل البحر يكثر بها . وغير بعيد منها يستشرف جبل ناتىء فى البحر ومن هناك يتجه فى الأرض حتى مدينة بترا عـاصمة النبطيين العرب ثم يمتد حتىفلسطين . والى بترا كانالمينيون والجرّيون Gerrhaeans — كما كانت الشعوب الأخرى التى تسـكن فى جوارها — يحملون مختلف أصناف العطور والبخور . ثم يأتى بعد ذلك خليج أيـلة Aelanitic وكذلك أرض النبطيين وكانت كثيفة السكان غزيرة المرعى . ويسكن النبطيون كذلك الجزر القريبة من أرضهم ، كانوا يسكنون هناك

قديما فى أمن ؛ ولكنهم أخذوا بعد ذلك فى مهاجمة السفن الواصلة من مصر، وكانوا يسلبونها ، وكان لهم كذلك نوع من القوارب الصغيرة فأبحر اليهم أسطول لتأديبهم فخرب جزرهم • ويلى ذلك سهل تغطيه الأشجار وترويه المياه وهو مملوء بالأنواع المختلفة من الحيوانات الراعية منها البغال والجمال البرية والغزلان والظباء «deer & gazelles» أما الأسود والفهود والذئاب فهى عديدة هناك • وتجاه هذا السهل تقع الجزيرة المسماه « ديا » Dia • ومن هناك يمتد خليج طويل لمسافة قدرها خمسمائة استادة ؛ تحيط به الجبال وله مدخل صعب • والسكان الذين يحيطون به يصيدون الحيوان • وبعد ذلك تأتى جزر ثلاث غير مسكونة لكن ينبت بها نوع من الزيتون المحلى يختلف عن أنواعنا ويسمى زيتون الحبشة ويستعمل زيته فى الأغراض الطبية • ثم يمتد بعد ذلك ساحل صخرى لمسافة تقرب من ألف استادة وهو ساحل مقفر تندر فيه المرافىء والمراسى •—•

وجزيرة « عجل البحر » التى يذكرها أرتميدورس هى نفسها «جزيرة الطيور » التى يذكرها أجاثارشيد فهى اذن — وفق جميع الاحتمالات — الجزيرة المعروفة حديثا باسم تيران • وأرتيمدورس يسمى خليج العقبة خليج أيلة ولايسميه خليج لحيان وكلا التسميتين صحيح مضبوط فالتسمية الأولى هى الاسم القديم وهو مشتق من ميناء أيلة والتسمية الثانية نسبة الى بنى لحيان الذين كانوا يملكون جميع المنطقة المجاورة منذ القرن الخامس حتى القرن الثالث قبل الميلاد • وبما أنه لاتوجد فى الخليج نفسه أية جزر كما أن النبطيين لم يكونوا يستطيعون من داخل هذا الخليج أن يصلوا — حتى على قواربهم الخفيفة — الى السفن الآتية من مصر من خليج هيروبوليس أو السويس فانه يجب أن نستخلص من هذا أنه وفقا لأرتيميدورس فان النبطيين كانوا يسكنون الجزر الواقعة الى الجنوب والجنوب الشرقى من خليج العقبة • وربما كانت جزيرة ديا هى عين الجزيرة المعروفة باسم صنافير •

ويذكر استرابو « جغرافيا ١٦ (٤:٢٦) » أن أرض النبطيين تزدهر فيها أنواع من مختلف الفواكه زيادة عما ينبت بها من الزيتون وأن الأهالى

هناك يستعملون زيت السمسم وأن الأغنام بها بيضاء الصوف والثيران كبيرة الحجم ولا توجد بها الخيل ولكن حلت الجمال محلها وأن النبطيين لايلبسون الا صندلا وثوبا يغطى الجزع فقط دون أن يكون هناك لباس للجزء الأسفل من الجسم . —

فاذا كان الحصان لايوجد فى أرض النبطيين ؛ فلا يوجد بها البغل ولا نصف الحمار hinnies . أما قطعان البغال ἡμίονες التى كانت ترعى — كما يقول أجاثارشيد وأرتيميدورس فى أرض بيتمانى فليست على الحقيقة بغالا أو أنصاف حمير ولكنها يجب أن تترجم بكلمة « الحمر الوحشية » فمن هذه الحمر يوجد حقيقة عدد كبير فى بلاد العرب .

ويصف بلينى « التاريخ الطبيعى ٦ : ١٥٦ » الخليج الداخلى للبحر الأحمر وكان اللحيانيون Laeanitae يسكنون قريبا منه فاشتق له اسم من اسمهم وكانت عاصمتهم تسمى هجرا وكان بالقرب من هذا الخليج مدينة تسمى Laeana أو كما يسميها الآخرون Aelana ولذا أطلق بعض الكتاب على الخليج اسم خليج لحيان بينما أطلق عليه البعض الآخر اسم خليج أيلة . فأرتيميدورس يسميه خليج أيلة بينما يسميه ايوبا Iuba خليج لحيان . .

ويذكر بلينى كذلك « التاريخ الطبيعى ٦ : ٦٥ » أن خليجا يمتد من البحر الأحمر نحو مصر ويسمى هيروبوليتيك والخليج الآخر يسمى ايلانيتيك Aelanitic . وأن المسافة بين مدينة أيلة ومدينة غزة التى تقع على بحرنا « البحر الأبيض المتوسط » هى مسافة مائة وخمسين ألفا من الخطوات . — .

وليانيتاى Laeanitae هم اللحيانيون أنفسهم . ومدينتهم الرئيسية المسماة هجرا Hagra يجب أن تكون — كما رأينا — مدينة الحجر . والمدينة التى كانت تقع على الخليج نفسه لم تكن تسمى Laeana ولكن كانت تسمى Aelana أو Aela وتقع غزة على مسافة منها مقدارها مائتان وعشرون كيلا أو ما يقرب من مائة وخمسين ميلا رومانيا . وكل من أجاثارشيد وديودورس يسمى خليج العقبة ليانيتيك . وبلينى يسميه لياتيك وايلانيتيك . واسترابو يسميه ايلاتيك فقط ، مما يدفعنا الى أن نستنتج

أن اللحيانيين كانوا قد أفسحوا مكانهم للنبطيين ابان القرن الثانى والاول قبل الميلاد • وأن الاسم القديم ايلانيتيك المشتق من اسم الفرضة أيلة أخذ يحل محل اسم لحيان • ويلينى لابذكر أن اللحيانيين كانوا فى عهده يسكنون مدينة هجرا « الحجر » التى كانت فى منتصف القرن الأول الميلادى ملكا لملوك النبطيين • والمصادر التى استقى منها بلينى معلوماته ترجع الى النصوص الأخرى التى ذكرناها آنفا ؛ ولذلك فليس من الضرورى أن نبين أنه قد خلط بين خليج لاانيتيك Lacanitic bay فى الخليج الفارسى وبين خليج أيلة فى البحر الأحمر ، كما فعل بطليموس الذى يخلط بين هجر المدينة التجارية الواقعة غرب جزر البحرين قريبا من مدينة الهفوف الحديثة وبين الحجر الواقعة على مسافة أربعمائة كيل الى الجنوب الشرقى من أيلة •

ويضع بطليموس جزيرة أينو Ainu « جغرافيا ٦ (٧ : ٤٣) » عند خط طول ٤٥´ ٦٥° وعند خط عرض ٢٠´ ٢٧° شمالا ويضع محلة اينا Aina « جغرافيا ٦ « ٢٩:٧ » » عندخط طول ٤٠´ ٧٥° وعند خط عرض ٢٠´ ٢٧° شمالا • وبما أنه يضع جزيرة أينو والمحلة التى تحمل نفس الاسم على خط عرض واحد مع اختلاف بَيِّن فى خط الطول فانى أستخلص من هذا أن خطأ قد وقع عند تسجيل الرقم الخاص بخط الطول وأن المكانين ليسا الا شيئا واحدا • واذا كان الأمر على هذا النحو فان جزيرة اينو هذه يجب أن تقع الى الغرب من الجنوب الشرقى لركن خليج العقبة « أيلة » فى البقعة التى تقع فيها جزيرة تيران « تاران » الحالية • وبطليموس يذكر أنها تسمى أينو وربما كان هذا الاسم ينطق على نحو آخر فى اللغة النبطية «حاينو» •

وليست لدينا معلومات تتصل بالخليج ولا بالجزء الشمالى من البحر الأحمر ابان القرن الثالث والرابع المسيحى • وأول من يذكر لنا بعد ذلك شيئا من التفصيلات هو مالخوس الفيلادلفى (Malchus of Philadelphia (Müller) 112) اذ يذكر أن الأسقف بطرس Peter أسقف العرب المسيحيين الساكنين فى الخيام (Saracens) قد ذهب الى القسطنطينية عام ٤٧٣ م ليطلب الى الامبراطور ليو أن يمنح رتبة الفيلارك الرومانية لامرىء القيس

سيد قبيلة الناقلة «[1]» Nokalians • وهذا الرئيس المذكور كان يقيم أصلا فى الاقليم الخاضع للنفوذ الفارسى ولأنه لايجد المزيد من التقدير أو لأنه فضل الهجرة الى اقليم النفوذ الرومانى فقد ترك منطقة النفوذ الفارسى واستقر فى المقاطعة العربية Arabia قريبا من الحدود الفارسية فى المنطقة التى كان يشن عليها غاراته أولا وكان يشن هذه الغارات لا على الرومان ولكن على البدو من العرب « ساراسين » • وقد اتسع نفوذه فملك جزيرة كانت تابعة للرومان • ومن هذه الجزيرة التى كانت تسمى Iotabe وجه جامعى الضرائب ليجبوها له باسمه فأثرى من جراء ذلك ومن جراء غزواته للقرى المجاورة • ورغب أخيرا فى أن يكون حليفا للرومان وفيلاركا البدو الخاضعين للنفوذ الرومانى والمقيمين فى بلاد العرب الحجرية لذلك أرسل بطرسا Peter أسقف قبيلته الى الامبراطور ليو فدعاه هذا الى القسطنطينية توا على الرغم من أن معاهدة الصلح مع الفرس كانت تنص فى شروطها على عدم السماح لأى لاجىء بدوى عربى من الاقليم الفارسى بالاقامة فى الدولة الرومانية • وقد استقبل أمرؤ القيس فى القسطنطينية استقبالا رائعا اذ كان قد أعلن رغبته فى أن يصبح مسيحيا • وقدم اليه الكثير من الهدايا القيمة وعين فيلاركا وسمح له بالاحتفاظ بالجزيرة المذكورة وبعديد من القرى الأخرى •

ومن التفصيلات الآتية التى يذكرها بروكوبيس فان جزيرة Iotabe

---

(١) التفصيلات الخاصة بهذه القبيلة والمذكورة فى هذا المقام لاتكفى كى نتمكن من تعيين اسمها الذى كانت تعرف به فى المصادر العربية ، ولما كانت التفصيلات المذكورة تبين ان هذه القبيلة كانت من القبائل النقل ولم تكن من العرب القاطنين كما يظهر من وصفها بكلمة Saracens ولما كانت قد انتقلت من مكانها الأول فى منطقة النفوذ الفارسى الى مكانها الثانى قريبا من الحدود الرومانية فاغلب الظن ان هذا الاسم الذى عرفت به عند الرومان Nokalians كان يدل على معنى الانتقال وان الذى اطلقه على القبيلة هم سكان المقاطعة الرومانية من العرب القاطنين ؛ فوصفوا هذه القبيلة الطارئة عليهم بنعت يحمل معنى الانتقال والبداوة . وفى هذا المعنى من الألفاظ : النواقل : وهى قبائل تنتقل من قوم الى قوم — والمنقل : النجعة ينتقلون من المرعى اذا احتفوه الى مرعى آخر . — والناقلة : ضد القاطنين . فاخترت اللفظ الأخير لأنه اقرب من الناحية الصوتية الى التسمية الرومانية ، كما انه اقرب الى الأوصاف التى وصفت بها هذه القبيلة .

هى نفسها جزيرة طيور البحر أو عجل البحر فهى اذن جزيرة تيران «تاران» الحالية . ولانعلم متى أنشىء ديوان المكوس بهذه الجزيرة واقليم امرىء القيس ذاته لم يكن معلوما لنا لأن مالخوس لم يذكر اسم قبيلة ولكنه يذكر فقط البدو العرب بالاسم العام الذى كان يطلق عليهم « سراسين » والذى يرادف الاسم القديم « بنى قدم » أو الاسم الحديث « الشرقية » أو « البدو » وقبل عام ٤٧٣ م فان امرأ القيس لم يكن مسيحيا ولم يبين مالخوس اذا كان قد تنصر فى وقت ما قبل ذلك . فبطرس Peter قد كان أسقفا لقبيلة بدوية خاضعة لامرىء القيس . وفى داخل الجزيرة العربية فان اقليمى الوديان والحجيرة كانا تحت النفوذ الفارسى . فربما كان امرؤ القيس والناقلة Nokalians الذين كانوا معه قد هاجروا من هناك ؛ خاصة من اقليم الحجيرة ؛ فكان يقيم داخل حدود النفوذ الرومانى فى دومة الجندل التى استطاع أن يمتلكها ومنها كان يشن الغارات على البدو المقيمين فى فلسطين الثالثة « بلاد العرب الحجرية » وعلى الأقليم المتاخم لها جنوبا . ولما نجح بقواربه فى عبور البحر الى جزيرة Iotabe وبعض الجزر الأخرى المجاورة فقد استطاع أن يبسط نفوذه على الطريق التجارى الذى يربط سوريا ببلاد العرب الجنوبية كما استطاع أن يبسط نفوذه على الجزر والسواحل الواقعة فى الجزء الشمالى من البحر الأحمر وكانت المراكب التى تقوم بالتجارة بين مصر وبين جنوب بلاد العرب والهند تلتمس المأوى والملجأ فى المرافىء والجزر التى كانت تقع فى هذا الجزء . وقد كان فى جزيرة ايوتابا هذه حامية رومانية . ويظهر أن السكان الذين كانوا يعيشون هناك كانوا عددا قليلا من التجار وكانت الدولة الرومانية قد أسندت اليهم التزام المكوس فكانوا يجمعونها نيابة عنها ويعطون عن ذلك وثائق تثبت التحصيل والمركب الذى لايكون مزودا بمثل هذه الوثائق يدفع المكوس من جديد فى الموانى الرومانية .

ولم تلبث جزيرة ايوتابا فى قبضة امرىء القيس وخلفائه طويلا ففى زمن مبكر فى عام ٤٩٠ م استطاع القائد الرومانى — كما يذكر تيوفانس (Chronographie ed. Migne ص ١٢١) بعد قتال عنيف أن يتغلب على جزيرة

ايوتابا فى البحـر الأحمر التى كان يجمع بهـا — فى وقت ما — مكوس جمة لحساب الامبراطور ولكنها كانت قد وقعت أخيرا فى أيدى عرب سين Scenitan Arab . فسلمت هذه الجزيرة للتجار الرومان ليديروها وكان عليهم أن يدفعوا جعلا معينا عن البضائع المستوردة من الهند .

ويشير بروكوبيس كذلك (De bello Persico 1, 19) الى جزيرة ايوتابا . ووفقا لما يذكـره فان المقاطعة الفلسـطينية كانت تمتد حتى ميناء أيلة . التى تقع عند طرف خليج ضيق من البحر الأحمر . والذين يبحرون فى هذا الخليج من أيلة تكون الجبال المصرية عن يمينهم تمتـد فى اتجاه جنوبى وتكون الصحراء عن يسارهم وتمتد الى مسافة شـاسعة نحو الشـمال . ويمكن لهم رؤية البرين من كلا الجانبين حتى جزيرة ايوتابا التى تبعد عن أيلة مسافة تقرب من ألف ستادة . وسكان هذه الجزيرة من اليهود وكانوا فيما مضى مستقلين ولكنهم اضطروا فى عهد جسـتنيان أن يقبلوا النير الرومانى . وخلف ايوتابا يقع البحر المفتوح حتى انه لايظهر الشاطىء من الجانب الأيمن ولذلك فان الملاحين يضطرون الى أن يتبعوا الجانب الأيسر فى ملاحتهم وأن يرسوا فى كل ليلة على الشاطىء الأيسر اذ أنهم لايستطيعون الملاحة ليلا نظرا للأماكن الضحلة العديدة ويوجد على كل حال عـدد كبير من المرافىء الطبيعية والمراسى يمكن ادراكها فى كل مكان . ومن حـدود فلسـطين فان هذا الساحل يكون ملكا للعرب البدو « ساراسين » الذين كانوا يسكنون من زمن بعيد مضى فى واحة متسعة من النخيل تقع فى الداخل حيث لاينبت غير النخل . وهذه الواحة قد أهداها الرئيس أبو شرَب الى الامبراطور جستنيان الذى عينه بدوره فيلاركا على فلسـطين . ويحمى أبو شرب هذه المقاطعة من جميع الغارات المعادية لأنه كان شخصية مرهوبة لامن أعدائه فحسب بل من أتباعه البـدو كذلك الذين كانوا يدينون له بالطاعة . وذلك من جراء قسوته التى اشتهر بها . وواحة النخيل هى الآن ملك للامبراطور ولكن ملكيته لها ملكية اسمية لأنه لايمكن الوصول اليها الا بعد مسيرة أيام عشرة خلال اقليم قفر لاعامر به ولا غامر .—

وبروكوبيس لم يحدد تماما حدود المقاطعة الفلسـطينية فبعد ألف

ستأدة « حوالى ١٥٠ كيلا » من أيلة أو من العقبة الحالية نرى أنفسنا خلال خليج ايوتابا . وهذا يقع تماما — وفقا لعبارة بروكوبيس — عند مدخل خليج أيلة أو العقبة . وايوتابا كما رأينا هو الاسم الثالث أو الرابع الذى سميت به الجزيرة . والملاحظة التى يذكرها بروكوبيس من أنها كانت ملكا لليهود ملاحظة طريفة فربما كانوا هم جامعى المكوس الأصليين الذين ربما كانوا قد تراخوا مع مرور الزمن فى تقديم ما يجمعون من المكوس حتى أكرهوا على تقديمها ثانية فى عهد جستنيان . ووجود اليهود فى هذه الجزيرة ليس غريبا لأنه فى ذلك العهد كانت توجد خطة يهودية صغيرة أو كبيرة فى جميع المدن وفى كثير من القرى الواقعة فى المقاطعة العربية . فهؤلاء اليهود لم يستطيعوا أن يظلوا مستقلين مدة طويلة لأنه فى عام ٤٩٠ م أعيد الحكم الرومانى الى الجزيرة من جديد . ويظهر أن جزيرة ايوتابا والجزيرة الصغيرة المجاورة لها شرقا كانتا لاتزالان تابعتين لمقاطعة فلسطين الثالثة ومن سوء الحظ أن بروكوبيس لم يحدد حدود هذه المقاطعة بعناية أكثر من ذلك . وتبعا له فان فلسطين الثالثة تمتد حتى بداية خليج العقبة أو حتى الحدود الشمالية لبلاد العرب المسماة بالسعيدة . والبدو «ساراسين» الذين كانوا يقيمون على الشاطىء كانوا يعترفون بسلطة أبى شرب الذى كان يسيطر على واحة النخيل العظيمة التى أهداها الى الامبراطور جستنيان . ومما يدعو الى الأسف الشديد أن بروكوبيس لم يذكر اسم هذه الواحة وعبارته التى يقول فيها انه يمكن الوصول اليها بعد مسيرة عشرة أيام لاتساعدنا على تحديد مكانها بدقة فنحن لاندرى اذا كان يقدر هذه المسافة على أساس المعدل المعروف لسير القوافل أو على أساس المعدل لسير الراكب . كما أننا لانعلم النقطة التى بدأ منها تحديده . فاذا فرضنا أن واحة النخيل هذه كانت على مسيرة عشرة أيام من الشاطىء الذى يقع فى جوار جزيرة ايوتابا التى كان قد أشار اليها توا ، وفرضنا أنه كان يقدر المسافة على معدل السرعة للراكب فان مسيرة عشرة أيام فى اتجاه شمالى شرقى بسرعة متوسطة قدرها خمسون كيلا فى اليوم تنتهى بنا الى واحة دومة الجندل « الجوف » التى يمكن الوصول اليها فعلا من ايوتابا

خلال طريق قفر لا عامر به ولا غامر . وواحة النخيل ديدان أو العلا الحالية تقع الى مسافة ثلاثمائة وستين كيلا الى الشرق من ايوتابا ولكن هذه المسافة لاتتفق لا مع معدل سير الراكب ولامع معدل سير القوافل . ومسيرة عشرة أيام على أساس المعدل لسير القوافل التجارية تبدأ من الساحل قرب ايوتابا فى اتجاه الى الشرق تنتهى بنا الى واحة تبوك التى تبعد مائة وثمانين كيلا ولكنى لازلت أعتقد أننا لانستطيع أن نقول ان تبوك هى نفس الواحة التى يشير اليها بروكوبيس لأن تبوك لم تكن كبيرة قط كما أن نفوذ رئيسها لم يكن كبيرا مثل نفوذ الحكام فى واحة الجوف التى تسيطر على طريقين أو ثلاثة من أهم طرق التجارة . وأكثر من ذلك فان واحة تبوك تقع قريبا نسبيا من حدود المقاطعة الفلسطينية حتى ان الاتصال بها يكون سهلا . وان القائد أو الحاكم القوى لمقاطعة فلسطين يتمكن فى سهولة من أن يمد نفوذه اليها .

والمؤلفون العرب لم يصفوا خليج العقبة بنفس العناية التى وصفه بها الكتاب اليونان وكذلك أيضا الساحل الشرقى للبحر الأحمر والجزر الواقعة فى جواره .

فياقوت يقول فى معجمه « ط فيستنفلد ٤ : ١٦٠ » ان جزيرة تاران متعارفة بالخطر بالنسبة للملاحين القادمين من القلزم الى أيلة . وان جبيلات تقع غير بعيد منها . والجبيلات هذه ربما كان المقصود بها هو الجزر الصغيرة الممتدة الى الشرق من تاران فى صورة جبيلات فوق الماء .

ويذكر القزوينى فى كتابه عجائب المخلوقات « ط القاهرة ١٣٢١ هـ ص ١١٩ » أن بنى جَدّان يسكنون جزيرة تاران التى تقع غير بعيد من أيلة والتى يبلغ طولها ستة أميال تقريبا . وبنو جَدّان لايعيشون على الزراعة أو تربية الأنعام فليس لديهم ماء عذب ولكنهم يعيشون من صيد البحر ويتخذون مساكنهم من حطام المراكب التى تحتطم عند جزيرتهم وهم يستجدون الخبز والماء من المراكب التى تمر بشاطئهم . وفى هذه الجزيرة طرف ناتىء صخرى وبالقرب منه دردور « دوامة » فاذا هبت الرياح قوية فانها تتشعب شعبتين وتدفع بالسفن فى أحد الخليجين اللذين يكتنفانه

وحينما تخرج الرياح من هذين الخليجين فانها ترفع ماء البحر وتدفع بالمركب فى الدوامة فلا تخرج منها أبدا . وهذا الطرف الناتىء الصخرى ربما كان هو الرأس المعروف لنا باسم رأس القصبة . وما يذكره القزوينى فانه يذكرنا بما ذكره ديودورس قبل ذلك .

ويذكر المقريزى فى كتابه المواعظ والاعتبار « ط فيت ص ٦٢ » أن فى بحر القلزم خمس عشرة جزيرة منها أربع مسكونة . ولما كانت جزيرة النعمان تذكر ضمن هذه الجزر المسكونة فانا نرى أن بحر القلزم لايعنى عنده خليج السويس فحسب بل يعنى البحر الأحمر أيضا . لأن جزيرة النعمان تقع عند عرض ٢٧° شمالا والى الجنوب بمسافة بعيدة من مدخل خليج السويس .

٢ ــ المؤلفون الأقدمون وشمال الحجاز

لم يحفظ لنا الأدب القديم « الكلاسيكى » كثيرا عن أرض الحجاز ذاتها . فالكتاب الأقدمون لم يعرفوا اسم « الحجاز » وهم انما يتكلمون عن المقاطعة العربية (Arabia) أو عن بلاد العرب السعيدة « اوديمون » «Arabia Felix (Eudaimon)»

ووفقا لما ذكره ديودورس(Bibl.hist., II 48)فان المقاطعة العربية«Arabia» تمتد بين سوريا ومصر . وهى مقسمة بين شعوب عديدة يختلف كل واحد منها عن الآخر . فالأقاليم الشرقية — التى يتكون بعضها من صحراء لاماء فيها والتى بها القليل من الأراضى الخصبة — يسكن بها النبطيون ؛ ويشتغل هؤلاء القوم بالسلب والغارة على البلاد المجاورة . ومن العسير أن يقهر هؤلاء القوم فى الحرب لأنهم قد نقروا — فى أماكن خاصة من الصحراء القفر — نقرا نقروها فى الصخر وخزنوا فيها الماء . والغريب لايستطيع أن يهتدى الى أماكنها . وهؤلاء العرب شديدو المراس ولذلك كان اخضاعهم من الصعوبة البالغة فهم يعيشون فى حرية واستقلال . —

وديودورس لايعنى بكلمة «Arabia» بلاد العرب جمعاء ولكنه يعنى بها المقاطعة العربية التى عرفت فيما بعد باسم « بلاد العرب الحجرية » الواقعة إلى الشرق والجنوب والجنوب الغربى من البحر الميت على أطراف

الحدود بين مصر وسوريا • وتبعا لما ذكره ديودورس فان النبطيين كانوا يملكون الشقة الشرقية من المقاطعة العربية هذه وهي الجبال — التى تقع فى شرقى البحر الميت وشرقى أخدود العربة — والهضبة التى تتصل بهذه الجبال • وأما النقر التى يحفظون فيها الماء فهى المعروفة الآن باسم «مقور» وهى تنقر عادة فى الأرض الصخرية الى عمق قدره أربعة أمتار وهذا العمق يتخذ شكلا كمثريا ذا عنق ضيق يغطى عادة بحجر كبير فيسيل الماء الى النقرة من المساحات الصخرية المجاورة وينفذ اليها من تحت هذا الحجر • والغريب الذى لايعرف الاقليم ولا يعرف عادات السكان هناك يمر حول هذه البئر دون أن يفطن اليها • وقد تتراكم بقايا النباتات الجافة مع الرمال عند أحد جانبى الحجر فتبدو كما لو كانت هناك أبد الدهر •

ويذكر استرابو « جغرافيا ١٦ « ٤ : ٢١ » » أن المقاطعة العربية ايودايمون « بلاد العرب السعيدة » كانت أول أمرها دارا للنبطيين والسبئيين الذين كثيرا ما أغاروا على سوريا قبل أن يحكمها الرومان • وفى مكان آخر « ١٦ « ٤ : ٢٤ » » فانه يؤكد أن ممالك النبطيين كانت تمتد مسيرة أيام عديدة الى جنوب ليكة Leuke وأنها كانت تلاصق أرض الأريتاس Aretas وهؤلاء قد اعترفوا بسلطان عباده Obodas ملك النبطيين اذ كانوا من قرابته أو — على الأقل — من حلفائه • وفى أرض أريتاس هؤلاء قد سار آليوس جاليوس بحملتـه مدى ثلاثين يوما قبل أن يصل الى أرض السبئيين •

ولايسكن جميع النبطيين بلاد العرَب السعيدة « المقاطعة العربية ايودايمون » لأن عاصمتهم وهى بترا كانت تقع فى بلاد العرب الحجرية ولكن الجزء الأكبر من اقليمهم كان يدخل ضمن بلاد العرب السعيدة « المقاطعة العربية ايودايمون » وبما أن استرابو لم يشر الى أى حدث معاصر فمن الجائز أن يكون قد نقل هذه العبارة التى تشير الى غارات السبئيين على سوريا من مصدر آخر أقدم منه يرجع فى تاريخه الى الزمن الذى كان السبئيون فيه يسيطرون على الطريق التجارى جميعه وعلى كل النقط التى تقع عليه •

يقول بلينى « التاريخ الطبيعى ٥ : ٦٥ » ان بلاد العرب تقع وراء الفرع البيلوزى للنيل وتمتد الى البحر الأحمر كما تمتد كذلك الى الأرض الغنية المعروفة Beata « أى السعيدة » والتى يحمل منها مختلف أنواع العطور . وهذه الأرض قاحلة الا فى البقعة التى تلامس حدود سوريا . وهى مشهورة بجبل كاسيوس . وتسمى باسم القتبانيين Catabanian والأزبونيتان Esbonitan وعرب سين Scenitan . ويتصل بهذه القبائل من ناحية الشرق عرب الكنشل Canchlean ؛ ومن ناحية الجنوب عرب Cedreans وكلاهما جار للنبطيين .

وكما هى العادة دائما فى نصوص بلينى فان هذه الفقرة غير واضحة . فهو يعنى فى نصه بلاد العرب الحجرية التى تمتد من بيلوز نحو الجنوب حتى البحر الأحمر وحتى بلاد العرب السعيدة أو كما يسميها Beata . فالقتبانيون لم يقيموا مطلقا فى بلاد العرب الحجرية . والأزبونيتان ربما كان المقصود بهم سكان البقاع المجاورة لمدينة حسبان التى تقع فى بلاد العرب الحجرية شرق الطرف الشمالى للبحر الميت . وكلمة سينتاى تشمل جميع البدو الذين يسكنون الخيام . وقمة كاسيوس تقع الى الشرق من بيلوز على ساحل البحر الأبيض نفسه . وربما كانت Cedrei قبيلة قيدار القديمة التى كانت تملك حوران وضواحيها . وكانت حدودهم الجنوبية تلامس حدود النبطيين . ووفقاً لما ذكره بلينى فانا يجب أن نضع الكنشل الى الجنوب الشرقى من قيدار والشمال الشرقى «١» للنبطيين فتكون تبعا لذلك فى البادية العربية . Arabia Deserta .

ويعرض بلينى للقبائل والمدن التى تقع فى داخل المقاطعة العربية ؛ ويقول ان القدماء قد قرنوا الثيمانيان Thimaneans بالنبطيين . وأنه كان يوجد فى عهده : التاڤنى Taveni « أو وفق القراءات الأخرى التابنى

(١) يبدو أنه قد وقع بعض الخطأ فى هذا المكان ولعل المؤلف يريد ان يقول « فانا يجب ان نضع الكنشل الى الشمال الشرقى من قيدار والجنوب الشرقى للنبطيين » او لعل كلمة الجنوب قد وضعت خطأ فى العبارة السابقة التى ينقل فيها عن بلينى ويقول « ويتصل بهذه القبائل من الشرق الكنشل ومن الجنوب قيدار » فلعله كان يريد ان يقول ومن الشمال .

. والتبائنى (Tabeni, Thabaeni) ، والسولينى Suelleni ، والأرسينى Araceni « أو وفق القراءات الأخرى سراسينى ، أناجنى (Sarraceni, Anageni) ». والأرنى Arreni « أو وفق قراءة أخرى هارنى (Hareni) » حيث كان يجتمع كل التجار ، والهمنتاى Hemnatae والأڤوليتاى (Avolitae) ومدينتا دوماتا Domata « وفق القراءات الأخرى دوماثا ودومادا (Domatha, Domada) . وهيجرا Haegra ، والثمودائى Thamudaei ، ومدينة بكلنزا Baclanza « أو وفق قراءة أخرى بدناثا Badanatha » ، والشاريتائى Chariattaei « أو وفق قراءات أخرى كرياتى أو كريات Cariatth, Cariati » ، والتوالى Toali « أو وفق القراءات الأخرى آكالين أو أكوالى Achoali, Acalin ومدينة فوداكا Phodaca « أو وفق القراءات الأخرى فودا وفوثكا وتوتاكا Phoda, Fothea, Totaca, » والمينائى Minaei . —

أما التيمانيون Thimancans فربما كانوا هم قبيلة تيمان المذكورة فى الكتاب المقدس . وليس من المؤكد أن تكون تيمان هذه هى التاقنى Taveni بعينها وان كان ذلك ممكنا فقد كان التاقنى سكان مدينة التوانا Thoana كما يذكر بطليموس « جغرافية ٥ « ١٦ : ٤ » » . وهى التى ترجمت فى قائمة بويتنجر بلفظ ثورنيا Thornia (Peutinger Table VIII) وأطلالها هى المعروفة حاليا باسم التوانة وتقع حيث كانت تسكن قبيلة تيمان المذكورة فى الكتاب المقدس « سفر التكوين ٣٦ : ١١ » .

وكلمة أرسينى Araceni ربما كانت هى التسمية العامة التى كانت تطلق على قبائل البدو سراسينى Saraceni أو ربما كانت قبيلة سراكينوا Sarakenoi التى يذكرها بطليموس « جغرافية ٦ « ٧ : ٢١ » » والتى كانت تسكن فى اقليم سركا Saraka أى الشرق « أنظر اسطفن البيزنطى Ethnica ط Meineke ص ٥٦٦ » فهى اذن شرق اقليم النبطيين حيث يحدد الكتاب المقدس مكان بنى قدم أو بدو البادية العربية والذين يعرفون اليوم باسم بدو الشرقية .

وكلمة أرّنى Arreni هى تحريف لكلمة أجرنى أو هجرنى Hagreni, Agreni
وهؤلاء هم سكان مدينـــة هيجرا أو هجرا Hegra ‘ Haegra أو الحجر
الحديثة والتى كانت تعتبر منزلا هاما من منازل الطريق التجارى الواصل
بين الجنوب الغربى لبلاد العرب وبين سوريا ومصر • فعند هـــذه النقطة
يخرج فرع من الطريق التجارى القديم ويتجه الى الخليج الفارسى وبابل
سائرا بمحاذاة الحافة الجنوبيـــة لصحراء النفود • فبلينى كان على حق
اذ يذكر أن التجارة كانت تتركز فى هذه المدينة •

ومدينـــة دوماتا Domata هى واحة أدوم الـــكبيرة « دومة أو دومة
الجندل » التى تقع على مسافة أربعمائة كيل شرقى بترا عاصمة الأنباط •
والثمودائيون Thamudaei هم بعينهم « ثمودى » Thamud[i] الذين
أخضـــعهم الملك الآشورى سرجون الثـــانى وهم أيضـــا الثموديـنيون
Thamydenoi الذين يذكرهم بطليموس «جغرافيا ٦ « ٧ : ٢١ » » ومسكنهم
الرئيسى فى الغوافة يقع فى النهاية الجنوبية لاقليم حسمى اذ يكون الاقليم
بركانى التكوين • وقد كان اورانيوس على علم كذلك بالثموديين Thamuda
اذ يلحقهم بالأنباط Uranius : Arabica (Müller) vol 4 P 525

ويذكر بطليموس فى جغرافيته « ٦ « ٧ : ٤ ، ٢١ » » القبائل المختلفة
التى كانت تســـكن على الساحل والقبائل التى كانت تســـكن فى داخل
الاقليم فى الجـــزء الشمالى من الحجـــاز • فعلى الســـاحل فى الجزء
الشمالى كان يسكن الثموديتاى Thamyditai وفى الجنوب كان يسكن
السيدنوا Sidenoi وفى داخل الاقليم بالقرب من الجبال الواقعة بين
بلاد العرب الحجرية وبلاد العرب السعيدة والبادية العربية كان يســـكن
السكنتاى Skènitai ومن ورائهم الثاديتـــاى Thaditai والى الجنوب من
هذه الأخيرة كان يقع اقليم السرّكنوا Sarakenoi والثميدنوا Thamydenoi
والى الغـــرب من جبل زامس Mountzames كان يســـكن بدو الأباتواى
Apataici والأثريتاى Athritai وكان بالقرب منهم ميزيمنيس Maisaimeneis
والأودنوا Udenoi • ـــ

وعند بطليموس فان كلمة سكنتاى Skenitai هى التسمية العامة التى كانت تطلق على البـدو وليست علما لقبيلة معينـة . أما اسم ثاديتـاى Thaditai ربما يبدو أنه ثميديتاى Themyditai وقد حذف منه القـطع my. وربما كان ذلك من قبيل التحريف الخطى للفظ ثائيتـاى Thaiitai وهو اسم لقبيلة « طى » ، ووفقا لمـا يذكره بطليموس فان الثـاديتاى Thaditai كانوا يقيمون بين منطقة جبـال التراة وصحراء النفود ومن الممكن أن يكونوا فى نفس هذه الصحراء فعلا فاذا كان الأمر على هـذا الوجه فيجب أن نضع منطقة السركنوا Sarakenoi فى النصف الشمالى الغربى من الاقليم المعروف حاليـا بشمّر لأنه وفقا لمـا يذكره بطليموس فان السركنوا Sarakenoi والثميدنوا Thamydenoi كانوا يقيمون الى الجنوب من الثـاديتاى Thaditai ونحن نعلم موضع المنطقـة التى كان يقيم بهـا الثمودينوا Thamydenoi منذ منتصف القرن الثـانى للميلاد وقد كان ذلك غالبا منـذ زمن بطليموس فكان مركزهم الرئيسى حسمى وهنـاك بنوا معبـدهم فى الغوافة . فاذا كان الثمودينوا الذين يذكرهم بطليموس هم أنفسهم Thamudenon Ethnos الذين تنسب اليهـم نقوش الغوافة فقـد ملكوا — اذن — جميع السـاحل حتى الجنوب أو على الأقل حتى خط العرض ٢٧° شمالا . فالثميدتاى Thamyditai الذين كانوا يسكنون المنطقة الشمالية هم عين هؤلاء أنفسهم . والثاديتاى Thaditai الذين كانوا يسكنون الى الشمال الشرقى كانوا هم أيضا ممن يدفع لهم الجزية أو كانوا يكونون احدى العشائر التى ترجع بنسبها اليهم . ولهذا يجب أن نضع السركنوا Sarakenoi الى الشرق من الثمودينوا Thamudenoi فى صحراء النفود أى أنها كانت فى منـطقة قبيلة طى المتقدمة . ولكن لفظ السركنوا Sarakenoi كان يطلق عند الكتاب الأقدمين اطلاقا عاما على جميع البـدو من العرب ، ثم ظل كذلك حتى يومنا الحاضر فهو يعنى جميع القبائل العربية الساكنة فى قلب البادية العربية والتى تسمى « شرق » فلفظ السركنو Sarakenoi عند بطليموس يجب ألا يفهم منه أنه علم خاص بقبيلة معينة وانما هو لفظ عام يعرف به جميع البدو الذين كانوا يسكنون فعلا شرق مملكة الأنبـاط فى البادية العربية .

ووفقا لما ذكره بطليموس فى جغرافيته « ٦ « ٧ : ٢ » » فان مدينة أون Onne ومـديانا Modiana أو مدونا Mdouna وجبل هبـوس Mount Hippos ومدينة هبوس Hippos ومدينة فوينكون Phoinikon أو مدينـة النخيل تقع جميعا على الساحل من بلاد العرب السعيدة فيما وراء خليج أيلة . —

وأون هى بعينهـا الأطلال المعروفة الآن باسم « الخرايب » وكانت فرضة لواحة أونه الكبيرة (Una) أو عين أونه « عينونة » . ومدانا أو مـدونا Madana ، Moduna التى يذكرها بطليموس تقع الى الجنوب الشرقى من أونه فيجب أن نبحث عنها فى المنطقة التى توجد بها البقية من الأطلال القليلة والتى تقع الى الشرق من واحة تريم غير بعيد عنهـا ، فربما كانت تسمى المـدين . ومن الممكن كذلك أن تكون مـديانا Modiana التى يقصـد به فرضة مدين وميناءها وأنهـا لم تكن تقع الى جنوب الجنوب الشرقى من « الخرايب » ولكن الى شمال الشمال الغربى منها أى بالقرب من الواحة المعروفة حاليا باسم القيـال . أما جبل هبوس فهو دون شك جبل الشار فانه يبدو فى شكل الحصان ومحلة هبوس هى نفس الأطـلال الواقعة على شرم الجبـة . أما محلة الفوينكون أو محلة النخيل فتنطبق أوصافهـا بصورة أعظم رجحانا على مصب الوادى الخصيب ذى الميـاه الكثيرة المعروف بوادى الدامة .

ويذكر بطليموس فى جغرافيته « ٦ « ٧ : ٢٧ » » عددا كثيرا جدا من المدن والقرى يقع فى ذلك الجزء من بلاد العـرب السعيدة المعروف الآن باسم الحجاز . وواضح من الصفات الخـاصة بالاقليم أن أسـماء المدن والقرى هذه لم تكن تدل فى كثير من الأحيان الا على أهم الآبار والعيون أو مضارب الخيام .

أما محلة أرماوا Aramaua فهى دون شك الجبـل المسمى « آرام » والذى يذكره المؤلفون العرب باسم ارم ويعرف حاليا باسم رَمّ وعنـده يوجد الكثير من الماء .

أما أوسـتاما Ostama فانى أضع مكانها عنـد الأطلال المعـروفة

بالقرَيّة فى حوض نهر الزيتة . وموضع القرَيّة لاينطبق على موضع أوستاما التى يذكرها بطليموس ، ولكن كثيرا ماتكون التفصيلات التى يذكرها بطليموس لاتتفق مع أوصاف المكان حتى ولو كان المكان معروفا لنا على وجه من التحديد .

وربما كانت لفظة « تابوا Thapaua » تحريفا عن اسم قديم كانت تعرف به واحة تبوك وربما كان هذا الاسم هو Thabaucha أو Thapaucha.

فمن تبوك هذه (Thapaua) عن طريق القرية (Ostama) وجبل ارم (Aramaua) كان يسير الطريق التجارى متجها الى بترا عاصمة الأنباط وهذا الطريق بالنسبة الى بقية الطرق الواصلة بين الجنوب الغربى لبلاد العرب وبترا عاصمة النبطيين . هو أيسرها وأعظمها سهولة وأكثرها مناسبة .

أما مكنا Makna فهى واحة مقنا المعروفة حاليا بهذا الاسم . وتقع على ساحل الخليج المعروف باسم العقبة وذلك على الرغم من أن التفصيلات التى يذكرها بطليموس لاتتفق مع ظواهر المكان الحقيقية .

ولفظ أجنكاله Agkale انما يتصل باسم الواحة المعروفة بالحقل وهى تقع كذلك على الساحل .

ومدياما Madiama هى المحلة القديمة المعروفة باسم مدين وقد وسعها الأنباط أما الآن فهى تعرف باسم البدع ويخطىء بطليموس فى تحديد خطى الطول والعرض الخاصين بهذه المدينة ، فوفق تحديده تقع هذه المدينة حيث تقع واحة مقنا .

أما محلة أخروا Achrua « أو وفق القراءة الأخرى أخرونا (Achrona) » فيجب أن يكون موقعها — تبعا لما يذكره بطليموس — الى الشرق من واحة البدع . وربما كانت هى عين المحلة المعروفة الآن باسم القِنا فهى تقع الى الغرب من جبل أمخريمان ، وهى ليست كبيرة فى حجمها . فمن الممكن أن نصل من اسم أم خريمان هذا الى التسمية القديمة « أخروا » .

أما أُبْرقا Obraka فهى اللفظ العام اللغوى المعروف بأبرق وبرقاء ويعنى الصخور القاتمة التى تغطى — الى حد ما — برمال يشع منها الضوء . فاذا أخذنا بالتفاصيل التى يذكرها بطليموس عن موضع ابركا

هذه فنستطيع أن نضـعها عند الأبرق فى اتليم الخـنفا حيث كان البدو يتخذون منها مربعا لهم فى وقت الربيع .

أما لابـا Laba فانى أرى انها تقع فى وادى لعبان حيث يقع المنزل المعروف بالأخضر .

وثيما Thaima هى واحة تيماء المعروفة .

وأما الموضع المعروف باسم لوجانا Lugana أو زوجانا Zugana كما يذكر بطليموس فى جغرافيته « ٦ (٢٩:٧) » فأمره طريف . فمن المؤكد أن بطليموس قد سجل طريقتين لنطق الحرف الأول منه . ولكن فى اللغة العربية فانه يستحيل أن يحدث التبادل بين حرفى اللام والزاى فيجب أن نستنتج اذن أن اللام كانت تحريفا لحرف « » اليونانى الذى يكون فى العربية « ذالا » أو « ضاداً » شـبيهين بحرف « الزاى » أو « الظاء » فدوجانا اليونانية Dugana أو Zugana تذكرنا بكلمة ضحكان العربيـة أو كما تنطق الآن فى اللسان العامى ظحكان أو ظحجان وهى الواحة القريبة من ضبا . واذا كان بطليموس قد وضع زوجانا هذه فى داخل الاقليم فهو يضع كذلك واحة مقنا فى الداخل وهى انما تقع على السـاحل مهما يكن من أمـر .

أما جيسا Gaisa التى تقع على خط عرض زوجانا فيبدو أنه حتم علينا أن نقـول انها هى المعروفة الآن بشـعيب أم الجيش الواقع الى الشرق من ضـحكان .

أما سـواكا Soaka فهى واحة الشـواق الحالية بين ضـحكان وأم الجيش .

واجرا Egra هى مدينة الحجر . ومن الفرضة المعروفة بضـحكان « زوجانا » كان يخرج الطريق التجارى مارا بالشواق « سـواكا » وأم الجيش « جيسا » وينتهى الى الحجر « أجـرا » .

أمابدايس Badais التى يذكرها « ٦ (٣٠:٧) » فمن الممكن أن تكون هى بعينها ـ وعلى وجه من التحقيق ـ الواحة المعروفة باسم بدا والتى تقع الى الجنوب من لعبان . « لابـا » .

« اقليم حسمى »

ووفقا لما رواه ابن اسحق « ابن هشام : السيرة ط فيستنفلد ١:٩٧٥ ــ الواقدى: محمد ط فلهوزن ٢٣٤ ــ ياقوت: معجم ط فيستنفلد ١:٤٠٧ » فان قبيلة جذام التى كانت تسكن اقليم حسمى قد دخلت الاسلام عام ٦٢٧/٦٢٨ م اذ قدم رئيسها وهو رفاعة بن زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ودخل الاسلام وكتب له رسول الله كتابا الى قومه : ولكن الهنيد ــ أحد أفراد هذه القبيلة ــ وابنه قد هاجما رسولا للنبى فى وادى شنار ثم سلباه • وكان هذا الرسول عائدا من لدن هرقل فى رسالة للنبى اليه • ولما بلغ الخبر قبيلة جذام التى كانت قد أسلمت فقد نفرت الى الهنيد واستنقذت ما سلبه من الرسول فردوه عليه • ثم خرج الرسول حتى قدم المدينة فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم الخبر واستسقاه دم الهنيد فوجه النبى غزوة الى قبيلة جذام بقيادة زيد بن حارثة • فصادفت الهنيد وعشيرته فقتلته ثم سلبته وكان ذلك قريبا من الماقص من قبل الحرة فى اقليم الأولاج • وكان يقيم فى الحرة المجاورة ــ فى وادى مدان الذى يسيل مشرقا ــ احدى عشائر جذام التى كانت قد دخلت الاسلام مع رفاعة بن زيد ، فلما سمعوا بما حدث لعشيرة الهنيد فقد ركب نفر منهم الى المسلمين فلما تحققوا الأمر عادوا فى المساء الى أهليهم بالمدان • وبعد أن استعتموا بالمدان وشربوا عتمتهم ركبوا الى رفاعة بن زيد عند عين كراع ربه بظهر حرة ليلى فأعلموه الخبر • ثم شدوا رحالهم جميعا على الجمال وساروا الى جوف المدينة فبلغوها بعد ثلاث ليال فلما دخلوا المدينة قصوا على الرسول ماحدث فأمر الرسول بفك الأسارى من جذام وأرسل عليا بأمره هذا مع رفاعة ليبلغه زيدا فلقياه وجيشه بفيفاء الفلحتين فاستردت جذام جميع ماكان فى أيدى الجيش — •

وفى المنطقة التى تسكنها قبيلة جذام يأتى من الشام ثلاثة طرق : يأتى الأول عن طريق أيلة محاذيا الحافة الغربية لسلسلة الجبال الجرانيتية مارا خلال وادى الجزل • ويأتى الثانى عن طريق معان وتبوك ثم يقصد الى الحجر • وأما الثالث فيأتى عن طريق الأزرق وتيماء وبرد ويمر خلال المنطقة

البركانية المعروفة بحرة ليلى ثم يذهب بعد ذلك الى المدينة • ونستنتج من التفصيلات المختلفة المتعلقة بهذه الحادثة أن رسول النبى قد عاد من لدن ملك الروم بواسطة الطريق الأول فسار من فلسطين الى أيلة ثم جاز من هناك الى وادى شنار أو كما يسميه ياقوت شنان [1] حيث هاجمه الهنيد وسلبه •

ومما لاشك فيه أن الوقت لم يطل بين وقوع الحادثة التى سلب فيها الرسول وبين ارسال الحملة التى بعثت لتأديب الجناة • فلا بد أن تكون الحملة قد قصدت مباشرة الى الهنيد صاحب الجناية وأنها كانت تتحرى ذلك وتحترس فى أمرها احتراسا شديدا • ولابد أن يكون الهنيد يتوقع وصول مثل هذه الحملة التى يرسلها النبى ليدفع الاهانة عن رسوله لذلك فقد نقل مضاربه وخيامه من المكان الذى كان قد هاجم فيه الرسول الى مكان آخر ، لان هذا الأخير كان على معرفة تامة بالمكان الذى هوجم فيه •— فنقل خيامه الى الماقص على حافة المنطقة البركانية فى اقليم الأولاج • وياقوت فيما ينقله عن ابن اسحق يقول ان المسلمين هاجموا الهنيد عند الماقص من قبل الحرة « المنطقة البركانية » ولايذكر ابن اسحق ولا ابن هشام هذه الحرة مضافة الى اسم الرجلاء • وياقوت يضيف كلمة الرجلاء من عنده ويظهر أنها غير صحيحة • فالنص جميعه يشير الى حرة ليلى أكثر من حرة الرجلاء • لانه لابد من أن يكون هؤلاء الذين أسلموا من قبيلة جذام مقيمين بالقرب من الهنيد اذ استطاعوا أن يصلوا على ظهور الخيل الى أعلى وادى مدان — حيث كان يستريح المسلمون الغزاة القادمون من المدينة — ثم يعودون الى خيامهم فى المساء من نفس اليوم • ومن هناك شدوا رحالهم على الجمال فوصلوا فى ليلة واحدة الى رئيسهم رفاعة الذى كان يقيم كما يرى من النص على حافة حرة ليلى • ولا يمكن أن تكون جميع هذه الأماكن بما فيها ذلك الذى كان يقيم فيه الهنيد ، والآخر الذى كان يقيم به هؤلاء ، الذين استجابوا لدعوة الاسلام ، والثالث الذى كان يقيم فيه رفاعة لايمكن أن تكون بعيدة عن بعضها

---

(1) الأستاذ السقا فى نشرته لمعجم البكرى يضبطه « شيار »

مسافة تزيد على ستين كيلا . ولا أن تكون من المدينـة على مسافة تزيد على ثلاثمائة وخمسين كيلا . فيجب أن نضع هذه الأماكن على الحـافة الشرقية لحرة العوارض التى تكون جزءاً من حرة ليلى . وحرة الرجلاء لاتذكر مطلقا بين الأماكن التى كانت تقيم بها قبيلة جذام لأنهـا تقع على مسافة تزيد على مائتى كيل من أقصى حدودهم الشمالية . وجميع الأحاديث تروى أن هذه الغزوة كانت موجهة الى قبيلة جذام فى حسمى . وتقع حرة الرجلاء على مسافة قدرها ثلاثمائة كيل الى الشمال الشرقى من حسمى ؛ بينما تقـع حرة ليلى على حافة اقليم حسمى . وفى حرة ليلى والى الشرق منها كان يقيم بنو عذرة . ونحن نعلم أن الحملة اتخـذت رجلا من بنى عذرة دليلا لها . ووفقا لمـا رواه ابن اسحق فان قوم رفاعة كانوا يقيسون وقتئذ فى وادى مدان الذى يسيل شرقا من الحرة ولكن لايوجد فى حرة الرجلاء جميعها واد واحد يسيل نحو الشرق فمن كل هذا يلزم أن تكون كلمة الرجلاء قد أقحمت فى النصوص الخاصة بغزوة جذام ويلزم أن نقتصر على هذا الجزء من حرة ليلى الذى يقع على حافة حسمى . وعلى كل حال فيبدو أن زيد بن حارثة لم يدخل بجيشه الى اقليم حسمى نفسه فى هـذه الغزوة ، وأن ربط غزوته بمنطقة حسمى هو من قبيل الخطأ .

ويشرح فلهوزن نص الواقدى « الواقدى : محمد ط فلهوزن ص٢٣٥ تعليق ٥ » فيقول ان زيدا قد طلع من الأولاج مع الفجر فى خمسمائة رجل ثم هاجم القبائل المتحالفة فى حرة الرجلاء — اذ كانت قد وجهت اليها — وهذه القبائل هى جذام وغطفان ووائل وسلامان وبهراء وهم الذين كانوا حضورا عندما عاد رفاعة بكتابه من لدن النبى . — ولكن نجد أن قبائل غطفان ووائل وسلامان وبهراء ليسوا من جذام ، كما أن النص لايذكر أن زيد بن حارثة قد هاجمهم فى حرة الرجلاء .

ويقول كيتانى كذلك (Caetani : Annali vol I p. 627) ان زيدا بعد أن ترك الأولاج فاجأ قبيلة جذام التى كانت محتشدة فى حرة الرجلاء . — وليس هناك أى مؤلف عربى يؤكد أن جذام كانت متجمعة فى الرجلاء .

ويقول الهمدانى فى كتابه صفة جـزيرة العرب « ط مولر ١ : ١٢٩ »

وأما حسمى فبين فزارة وجذام وهى من حدود جذام وبحسمى بئر ارم من مناهل العرب المعروفة . — وفزارة كانت تقيم الى الجنوب الشرقى من اقليم حسمى وأرض جذام . واذا كان ارم أو الرم — كما يسمى الآن — يدخل فى اقليم حسمى فان حسمى يجب أن تمتد حتى منطقة الشراة . فهى تكون — كما يرى أهل البلاد الأصليين — الجزء الشمالى والشمالى الشرقى منها .

وفى نص آخر للهمدانى « المصدر السابق ١٧٩ » يذكر أن محلة الزهيوط تقع على حدود الشام بين قبيلتى جذام وكلب ؛ كما يذكر فى هذه المنطقة كذلك وادى الأيم « بطن الأيم » واقليم حسمى .

وفى نسخ عدة من مخطوطات ديوان حسان بن ثابت «ط تونس ١٢٨١هـ ص ٢٨ » فانا نجد كلمة الزهيوط بدلا من كلمة المروت التى لايعرفها الجغرافيون العرب «[1]» . وفى الأرض التى كانت تقيم بها جذام قديما يوجد بها الآن مكان يسمى بالزهيد . وهذا المكان مهما يكن من أمره فهو يذكرنا باسم الزهيوط هذا . أما مايذكره ياقوت فى معجمه « ط فيستنفلد ١ : ٤٢٥ » عن هذا الأيم فنتبين أنه جبل أسود فى أرض بنى عبس فى وادى الرمة فهو اذن على مئات عديدة من الكيلات من حدود سوريا وأرض جذام . والهمدانى عندما يستشهد بالشعر القديم فمن العسير أن نحدد من استشهاده مواقع الأماكن المختلفة لأنه غالبا مايعقد الصلات بين الأماكن التى تكون بينها — فى الواقع — مسافات شاسعة البعد .

ويذكر البكرى فى معجمه « ط فيستنفلد ٢٩٥ » أن حسمى موضع من أرض جذام حيث بقى به الآن ماء الطوفان بعد نضوبه . وهو يذكر أن عنترة يخاطب بنى فزارة المقيمة فى أرض حسمى وينبهها الى أن الدخان المتصاعد من بركان العلندى سيأتيهم عنه بالنذر دون بيوتهم «[2]» . ويقول البكرى ان الدخان يرى أبدا صاعدا من رأس جبل العلندى .

---

(١) يشير المؤلف الى هذه الأبيات من شعر حسان :

الم تر أن الغدر واللؤم والخنا ... بنى مسكنا بين المعين الى عرد
فغزة فالمروت فالخبت فالمنى ... لى بيت زمّاراء تلدا على تلد

(٢) ونص عنترة هو قوله :

سيأتيكم عنى وان كنت نائيا ... دخان العلندى دون بيتى مذود
قصائد من قيل امرىء يحتديكم ... وانتم بحسمى فارتدوا وتقلدوا

ولايمكن أن يكون هذا البركان الثائر عظيم البعد جدا من ديار بنى عذرة ويجب أن يكون موضعه فى الجزء الجنوبى الشرقى من حرة ليلى • أما لماذا بقيت مياه الطوفان فى اقليم حسمى خاصة فهو أمر غير واضح اذ أن مياه العيون العديدة هنـاك لاتختلف فى مياهها عن الميـاه فى الأقاليم المجاورة •

ويذكر المقريزى فى كتابه السلوك « ترجمة كاترمير ١:٤:١ » أنه فى يوليو من عام ١٢٥٦ م « جمادى الآخـرة ٦٥٤ هـ » ظهرت نار بالحجاز واستمرت شهرا فى شرقى المدينة النبوية خاصة بناحية وادى شظا تلقـاء جبل أحد حتى امتـلأت تلك الأودية منها وصار يخرج منها شرر يأكل الحجارة وزلزلت المدينة وسمع الناس أصواتا مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام وقد انبجست الأرض عن نار عظيمة عند وادى شظا وامتدت أربعـة فراسخ فى عرض أربعة أميال وعمق قامة ونصف وسـال الصخر منها ثم صار فحما أسود • وذكر غير واحد من الأعراب الذين كانوا بحاضرة بلد بصرى من أرض الشام « اقليم حوران » أنهم رأوا صفحات أعناق ابلهم فى ضوء هذه النار •

ويروى البكرى فى معجمه « ط. فيستنفلد ٧٦ » أن الأحقاف التى كانت منازل عاد جبل بالشام أو هى خشاف من حسمى والخشـاف الحجارة فى الموضع السهل •— واسم الأحقاف « حقاف » نجده باقيـا حتى الآن فى المنطقة الجنوبية الغربية من البدع « مدين » •

ويقول ياقوت « معجم ٢ : ٢٦٧ » ان حسمى اقليم ببادية الشام بينـه وبين وادى القرى ليلتان وأهل تبوك يرون جبال حسمى فى غربيهم وشرورى فى شرقيهم • ويقال ان حسمى اقليم وعر واسع « أرض غليظة » قريب من أيلة وماؤه ردىء ، وتنزله جذام • ووفقا لابن السكيت — كمـا يروى ياقوت — فان جذام تسكن المنطقة الجبلية ، وجانب التيه المنسوب الى بنى اسرائيل الذى يلى أيلة ، وبين أرض بنى عذرة من ظهر حرة نهيل ، وتسمى ديارهم حسمى • ويقال أن الماء قد بقى فى العيون التى بحسمى من ماء الطوفان بعد نضوبه لذلك فهو أخبث الماء ، وفى أخبار المتنبى وحكاية مسيره من مصر

يقول ان حسمى أرض طيبة يودى لين النخلة من لينها « وهى مشهورة بهذا النوع من التمر المعروف باللين » وتنبت جميع النبات ومملوءة جبالا فى كبد السماء متناوحة ملس الجوانب اذا أراد الناظر النظر الى قلة أحدها فتل عنقه حتى يراها بشدة ومنها مالا يقدر أحد أن يراه ولا يصعده ولا يكاد القتام يفارقها كما يذكر النابغة :

فأصبح عاقلا بجبال حسمى دقاق الترب محتزم القتام

يعرفها من رآها من حيث يراها لأنها لامثيل لها فى الدنيا . ومن جبال حسمى جبل يعرف بارم عظيم العلو يزعم أهل البادية أن فيه كروما وصنوبرا . وفى حديث أبى هريرة فان النبى صلى الله عليه وسلم يسمى هذا الجزء من حسمى الذى تسكنه جذام باسم السنبك . وفى رأى كثير من المؤلفين العرب أن الله قد أجاب دعاء المؤمنين فى حسمى ففجر الماء فى ارم وفى البديعة ونَعْمان وعَلَكان .

ومن الطرف الجنوبى لاقليم حسمى حتى وادى القرى نفسه مسافة تزيد على مائتى كيل ولكن هذه المسافة فيما بين الطرف الجنوبى لحسمى ووادى الجزل الذى كان يعتبر من أعمال وادى القرى ليست الا سبعين كيلا فقط . ويدخل ياقوت هذا الاقليم فى أرض الشام لأن تبوك — وتبعا لذلك الجزء الأكبر من حسمى — كانت من الناحية السياسية تابعة لاقليم صُغَر . — أما صغر فقد كانت عند الطرف الجنوبى للبحر الميت . وعند تبوك كانت تشرف جبال حسمى من قبل الغرب والشمال الغربى ؛ كما كانت تظهر جبال شرورى على أى حال الى الشمال الشرقى وليست الى الشرق كما يذكر ياقوت . ووفقا لما يذكره ابن السكيت فان الحافة الشرقية من العربة المقابلة لميناء أيلة يجب أن تكون تابعة لحسمى بينما تكون الحافة الغربية تابعة لصحراء التيه المنسوب الى بنى اسرائيل .

وحرة نهيل التى يذكرها ابن السكيت غير معروفة بالنسبة الى . ويقول فيستنفلد فى تعليق له « ياقوت : معجم ٥ : ١٥٢ » انه لايصادف كلمة « نهيل » فى أى مكان فى الأدب العربى وانها ربما كانت هى « نهيا » التى يشير اليها المتنبى فى رحلته من مصر الى العراق . وعلى كل فالمتنبى لايذكر « نهيا » فى أى مكان من رحلته هذه ولكنه انما يشير اليها فى

وصفه لغزو سيف الدولة للأعراب «[1]» . ونهيا هذه التى يذكرها لاتقـع قريبا من اقليم حسمى ولكنها الى الجنوب الغربى من تدمر . ومنازل بنى عـذرة كانت فى جوار الحجر فهى تقـع اذن على الحافة الشرقيـة لحرة العوارض وحرة الرحا فيجب أن نضع حرة نهيل فى طرف المنطقة البركانية الى الشمال الغربى من الحجر فى مكان هنـاك بالقرب من منطقـة اللابة المعرونة بسالوم فهناك نصادف اسم مهير الذى يذكرنا بكلمة نهيل «نهـ» لأن النون فى أول الكلمة كثيرا ماتبدل ميما كمـا أن اللام فى آخر الكلمة قد تبدل راء .

وأهل حسمى يألفون أنواع النخيل المعـروفة باللين ويفان ان هـذه الأنواع تزدهر خاصـة ازدهارا حسنا فى واحة شرما . أما سحب الغبـار أو على الأكثر الرمال فيمكن رؤيتها فى اقليم حسمى غالبا فى كل بضعة أيام. فهى تغطى جميع الاقليم حتى يصعب معها الرؤية — حتى فى اليوم الصحو — على مسافة تزيد عن خمسين مترا . وهذه السحب من الدخان ظاهرة تدل على التحات « التآكل » الشديد والرياح القوية اذ تكون جبـال حسمى عرضة لهما . وبسبب التعرية فان أرض حسمى الصخرية قد أضحت ناعمة كحدوة الفرس وهذا هو السبب الذى من أجله كان يرى رواة الأحاديث أنها هى المعنية بلفظ السنبك « الجزء المقدم من حدوة الفرس » .

وفوق جبل ارم أو الرم حاليا يمكن أن تنبت الكروم وأشجار الصنوبر حتى يومنا هذا . ولكنى لم أر أبدا شجرة واحدة من الصنوبر الى الجنوب من عمان . وعين البديعة التى يذكرها ابن السكيت هى عين واحة البديع التى تقـع على أى حال على ثلاثين كيـلا شرقى الطرف الشمالى الغربى لجبال حسمى نفسها . وعين نعمان تقع فيما أرى فى النعمى الحديثـة عند الطرف الجنوبى الغربى لحسمى بينما تكون علان فى الغالب هى عين المكان المشهور الذى تنزله القبائل والمعروف باسم علقان وهذا المكان يأتيه الماء من العلى وهو اسم يذكرنا بلفظ علان .

---

(١) يقول المتنبى :

قـد نزح الغوير فـلا غوير ونهيـا والبييضة والجفـار

« تبوك »

يذكر بطليموس اسم محلة تعرف بتباوا Thapana عند الحدود الشمالية الغربية لبلاد العرب السعيدة « جغرافيا ٦ « ٧ : ٢٧ » » وانى أعتبر هذا الاسم تحريفا للفظة تبوكا Thapauca أو تبوك • اذ ينطبق المكانان كل منهما على الآخر •

ويذكر بلو « O. Blau (1871) Altarabische Sprachstudien ص٥٦١» أنه وجد اشارة الى تبوك فى كتاب لجغرافى مجهول Ravenna geographer: Cosmographia II, 6 (Pinder & Parthey) ص ٥٧ » • والسبب فى ذلك أنه يقرأ لفظ Taboca Coromanis على نحو آخر فيقرأها Taboca Romanis ولكن هذه القراءة غير مضبوطة • فهذا الجغرافى المجهول قد نقل ما نقله عن جغرافية بطليموس « ٦ « ٧ : ١٩ » » ولكنه نقله نقلا محرفا • والقراءة الصحيحة لتبوكا كورومانيس هذه هو Abukaion Koromanis وهو مكان يذكره بطليموس على ساحل الخليج الفارسى •

ويذكر البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان « ط دى غوية ص ٥٩ » أنه فى عام ٦٣٠/٦٣١ م « ٩ هـ » وصل الرسول صلى الله عليه وسلم الى تبوك فى جيش عظيم من المسلمين فصالحه أهلها على الجزية • وبعد عشرة أيام تقريبا عاد الى المدينة •

فتبوك فى هذا العصر كان يسكنها قوم من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، لأن أهل الكتاب وحدهم هم الذين يصالحون على الجزية •

ويقول ابن هشام « السيرة ط فيستنفلد ١ : ٩٠٧ » ان مساجد الرسول التى بنيت فى تبوك وفى وادى القرى وفيما بين هذين المكانين هى: مسجد بثنية مداران ، ومسجد بذات الزّراب ، ومسجد بالأخضر ، ومسجد بذات الخطمىّ ، ومسجد بألاء ، ومسجد بطرف البترا من ذنب كواكب ، ومسجد بالشق شق تارا ، ومسجد بذى الجيفة ، ومسجد بصدر حوصى ، ومسجد بالحجر ، ومسجد بالصعيد •

ويظهر أن ابن هشام يذكر هذه المساجد وفق ترتيبها الجغرافى فمما

ذكره البكرى نجد أن مسجد الزراب يقع على مسيرة يومين من تبوك ويرد اسمه عند ابن هشام فى الموضع الثانى ثم يأتى بعده الأخضر . والأخضر هذا هو المنزل المعروف الآن بنفس الاسم ويقع على سبعين كيلا الى الجنوب من تبوك فيكون معدل السير لليوم الواحد خمسة وعشرين كيلا تقريبا . وبعد عشر مراحل وفق هذا المعدل تأتى الحجر فتكون فى المرحلة العاشرة من تبوك ولذا وجب علينا أن نضع أماكن هذه المساجد على طريق المحجة . وان كان مما يلفت النظر أننا لم نجد على أى حال واحدا — من الذين وصفوا طريق الحج — يشير الى وجود هذه المساجد التى أنشأها رسول الله ، على الرغم من أنهم قد اعتادوا أن يفيضوا فى وصف الأماكن المختلفة المتصلة بقصة صالح .

وثنية المداران هذه هى نفس الخانق المعروف باسم المدرا والذى يبدأ عند أطلال قصير التمرة . وربما كانت هذه الأطلال هى البقايا الوحيدة لمسجد المداران . وهى لاتقع على المحجة ولكن على عشرين كيلا الى الغرب منها . وانى أضع مسجد الصعيد عند العيون التى تنبع أسفل طُوَيِّل ابن صعيد ولكنها لاتقع على أى حال جنوب الحجر ولكن على مائة كيل تقريبا من شمال الشمال الغربى للحجر . وقد أقول كذلك ان مسجد الحوصى هو عين الأطلال التى تقع قريبا من عين الحوصى عند تقاطع الطريق فى الشمال الشرقى من تبوك وعلى مسافة بعيدة منه . فاذا كانت هذه الفروض التى أفترضها صحيحة فان ابن هشام لم يذكر هذه المساجد حسب ترتيبها الجغرافى فعلا وعلى ذلك فهو لايمهد لنا الفرصة لتحديد أماكنها تماما . ويبدو أن الروايات الدينية تعزو الى الرسول صلى الله عليه وسلم بناء جميع المساجد الواقعة بين المدينة والشام على مقربة من طريق الحاج ، وتذهب الى أنه بناها فى غزوته لتبوك ودومة الجندل .

ويدخل المسعودى واحة تبوك فى أرض الشام « التنبيه والاشراف ط دى غوية ص ٢٧٠ » ويقول ان بينها وبين المدينة تسعين فرسخا وذلك مسيرة اثنتي عشرة ليلة من المدينة .— وبما أن المسافة من تبوك الى المدينة

هى أكثر من خمسمائة وخمسين كيلا فيجب أن يكون الفرسخ أكثر من ستة كيلات • والمسعودى هو الوحيد من بين الجغرافيين العرب الذى ينفرد بتقدير المسافات على طريق الحج هذا قياسا بالفراسخ • ولكن تقديره لايعدو أن يكون تقديرا تقريبيا فيظهر أنه بعد أن وقف على عدد المراحل ضربها فى سبعة مقدرا كل مرحلة بسبعة فراسخ على الرغم من أن بعض المراحل قد يكون أطول من ذلك أو أقصر تبعا لمواقع موارد الماء • ثم هو يعتبر واحة تبوك من أعمال الشام لأنها كانت فى عهده « منتصف القرن العاشر الميلادى » تابعة للشام من الناحية السياسية •

ووفقا لما يذكره المقدسى فى كتابه أحسن التقاسيم « ط دى غوية ص ١٧٩ » فان تبوك كانت فى القرن العاشر الميلادى مدينة صغيرة بها مسجد للرسول صلى الله عليه وسلم •

والادريسى فى كتابه نزهة المشتاق « الاقليم الثالث الجزء الخامس » يضع تبوك فى منتصف الطريق تقريبا بين الحجر وحدود الشام ويقول انها تبعد عن أول الشام مسيرة أربعة أيام • وبتبوك — كما يقول — قلعة يسكنها الجن وسكان تبوك يشربون من عين غزيرة الماء ويزرعون نخيل التمر •

وهذه النصوص تجعل الحجاز يمتد الى سفح جبل الشراة الى مسافة تقدر بمسيرة أربعة أيام من تبوك ، على أن يكون طول المرحلة خمسة وأربعين كيلا •

ويقول ياقوت فى معجمه « ط فيستنفلد ١ : ٤٢١ ، ٨٢٤ — ٤ : ٦٩٠ » ان تبوك موضع بين وادى القرى والشام وهى بركة لأبناء سعد من قبيلة عذرة • وينقل عن أبى زيد الأنصارى أن تبوك تقع بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام وبين تبوك والمدينة اثنتا عشرة مرحلة • ويقول انها حصن وحائط وفيها عين ونخيل وهى تقع بين جبال حسمى الى الغرب منها وشرورى الى الشرق • وكثير من الناس يذكر أن نبى الله شعيبا قد أرسل من مدين — التى تقع من تبوك على ستة أيام وهى على ساحل البحر — أرسل الى أهل تبوك لينذر أصحاب

الأيكة • ولكن ياقوت لايوافق على هـذا الرأى ويقول ان الأيكة يجب أن تكون فى الأماكن المجاورة لمدين حيث ظهر النبى شعيب • وقـد أمر الخليفة عمر بن الخطاب ابن عريض اليهودى أن يسـور بئر تبـوك فسورها لأنها كانت غزيرة الماء وتفيض دائما وتسمى هذه البئر كما يذكر ابن سعد باسم « المولة » •

والمسافة من تبوك الى مدين والى المدينة لاتقدر على أساس معـدل واحد للسرعة فمدين تبعد عن تبوك مسافة قدرها مائة وخمسون كيـلا فقط ، فياقوت يقدرها على معدل سير الحمولة « القوافل المحملة » وهذا المعدل نحو من خمسة وعشرين كيلا فى اليوم • ولكن بين تبوك والمدينـة مسافة تزيد على خمسمائة وخمسين كيلا فتكون المرحلة خمســة وأربعين كيلا فهو يقدرها وفق معدل سير الهجين « جمال الركوب » • وبنو عذرة كانوا يسكنون الى الجنوب الشرقى من تبوك وحينما يخص ياقوت البركة الموجودة هناك ببنى سعد من قبيلة عذرة فان ذلك يدل على أن العادة فى القرون الماضية أن بعض العشائر والبطون كانت تختص بامتـلاك بعض المنازل والمحاط المختلفة كما هو الحال الآن — ووفقا لما يذكره أبو زيد فان الحجاز كانت تمتد الى الشمال حتى منطقة الشراة •

ويذكر ياقوت فى معجمه « ٢ : ٢٤٧ » حرة تبوك وهى الموضع الذى سار فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوته الى تبوك • وهذه الحرة هى المنطقة البركانية الواقعة بين المعظم ولصَّان •

وقد زار ابن بطوطة تبوك فى نهاية عام ١٣٢٦ م « التحفة ط ديفرمرى سنجوينتى ص ٢٥٧ » وسمع من الحجاج أن كثرة الماء فى عين تبوك انما هى من بركة الرسول صلى الله عليه وسلم • ويذكرون أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل هذه الواحة على رأس حملة حربية فمن عادتهم اذا وصلوا منزل تبوك أن يأخذوا أسـلحتهم ويجردوا سيوفهم ويحملوا على المنزل ويضربوا النخيل بسيوفهم • ويقيم الحجاج فى تبوك أربعـة أيام للراحة وارواء الجمال واستعداد الماء للبرية المخوفة التى بين تبوك والعلا •

ويقول المقريزى فى خططه « المواعظ والاعتبار Codex Vindobouensis 908

(A.F. 19) جـ ١ :٣٦ ب » ان تبــوك تحاذى مدين على نحو ست مراحل الى الشرق منها « فى البادية » وبها كثير من النخيل .

وحاجى خليفة فى كتابه جهان نما « ط استانبول ١١٤٥ هـ ص ٥٢٣» يمتدح من بين منازل الحاج محلة تبوك لكثرة نخيلها ومائها . وكثرة الماء بها انما هو من بركة الرسول صلى الله عليه وسلم . ووفقا لما يذكره حاجى خليفة فان السلطان سليمان قد جدد القلعة هناك وبنى بركة كبيرة للماء .

ويقول محمد أديب ان تبوك تعرف، كذلك بعاصى خرما « المنازل ط استانبول ١٢٣٢ هـ ص ٧٣ » ويحدد المســافة بينها وبين المنزل المعروف بتاع البسيط باثنتى عشرة ساعة . ويقول ان النخيل البرى ينمو هنــاك بكثرة . وأما القلعة والبركة بها فيرجعان الى عهد السلطان سليمان . ثم يقول ان فى القلعــة شجرة تين عظيمة حفر بجوارها عين ماء . وفى البركة عين تتدفق بشــدة وينبت بالقرب منها أشجار التــين والرمان والسفرجل والعنب والباذنجان والبطيخ ويقال ان فى تبوك مسجدا حيث صلى الرسول وقد جدده عمر بن عبد العزيز . وأمام تبوك مكان يسمى ثنيــة المدرارى كان فيــه كذلك مسجد صلى فيه النبى ، وبهــذه المناطق ينبت البيطران بكثرة وكذلك الغابات لأن الماء يسيل هناك . وفى البقــاع المجاورة فان العرب يقيمون فى أماكن يزرعونها ، وقليل من أكواخ البدو قد بقى حتى الآن حيث كانت تقوم القرى والحلل قديما . وغير بعيد من هذه المنطقــة تقع القرية المسماة بسرغ . وجميع هذه الأماكن تابعة للحجاز الذى تقــع فيه مــكة والمدينة واليمامة . ووفقا لما يذكره الأصــمعى فالحجاز اسم للمنطقة التى تشتمل الحرار ؛ فجميع منازل سليم حتى المدينة تسمى الحجاز لانها تحتجز بالجبال . —

لم توجد مطلقا ولاتوجد الآن أية غابات بالقرب من تبوك . ولــكن يوجد الى الغرب والشمال والشمال الشرقى كثير من الغضا الذى يكون فى هيئة أحراش ترى من بعيد كأنها الغابة الصغيرة . ومنذ أنشئت ســكة حديد الحجاز أخذت هذه الأحراش تتضاءل فقد كان الغضا يقطع ويرسل الى المحطات المختلفة على طول الطريق أو كان يستعمل لعمل الفحم الذى

ينقل الى دمشق • وثنية المدراري هي جامع المداران أو المدرا الحديثة الواقعة قريبا من قصير التمرة على نحو من عشرين كيلا من تبوك • أما منازل العرب فتقوم بالقرب من حديقة الرايس وبالقرب من عين الجرثومة وبالقرب من بير القنا وفى كل مكان الى الجنوب والغرب من محلة تبوك• أما قرية سرغ فتذكرنا بالمنزل المعروف بسرغ الذى يقع علي مائة وسبعة عشر كيلا الى شمال الشمال الغربى من تبوك •

ووفقا لزيتسن **Beiträge zur Geographie Arabiens• U. J. Seetzen** فى مجلة **Monatliche Correspondenza edit. by. F. von Zach.** المجلد الثامن عشر ص ٣٧٧ » الذى ينقل عبارة يوسف الملكى فان تبوك كانت تسكنها فى القرن التاسع عشر قبيلة الحمايد التى كانت قد هاجرت الى الشمال •

« طريق الحاج المصرى »

ينقل لنا الطبرى فى تاريخه « نشرة دى غوية ص ٢٠٧٨ » نصـا عن ابن اسحق يتضح منه أن الحجاز كانت ترتبط بالشام بواسطة طريقين : أما الأول فهو طريق المُعْرِقَة ويسير محاذيا للساحل حتى أيلة • والثانى هو طريق التبوكية وهو الذى يمر بتبوك •

وربما كان الطريق الأول هو عين الطريق الذى عرف فيما بعد باسم طريق الحاج المصرى وهو الذى يسير من أيلة الى المدينة ثم يصل بعد ذلك الى مكة • أما فى الشمال من أيلة فربما كان طريق المعرقة هذا يجوز خلال أخدود العربة • ونصل الى هذا الاستنتاج من معرفتنا بالطريق الذى سلكه عمرو بن العاص بجيشه حين سار الى الشام فى ربيع عام ٦٣٤ م فقد جاز خلال أخدود العربة ثم استراح بعضا من الوقت عند الغَمْر « أنظر موسل Arabia Petrae مجلد ٢ جزء ٢ ص ٢٠١ » ثم تقدم بعد ذلك فى اتجـاه الشمال الغربى نحو غزة •

أما طريق التبوكية المار بتبوك فهو الذى عُرف بعد ذلك بطريق الحاج الشامى ويسير من دمشق الى المدينة •

ويذكر اليعقوبى فى كتابه البلدان « ط دى غرية ص ٣٣٠ » الطريق الذى يخرج من فلسطين ثم يمر بالغمر الى ميناء أيلة ثم يذهب بعد ذلك الى مدينة مدين • فهو يذكر هذا الطريق ولا يسمى لنـا اسمه • وان كان هو عين الطريق المعروف باسم المعرقة •

ونستطيع أن نحدد مواضع المنازل التى تقع على هذين الطريقين فيما بين الشـام والمدينة وفيما بين مصر والمـدينة وذلك عن طريق الاسـتعانة بالنصـوص التى تحدد مراحل الطـريق اذ أن هذين الطـريقين لم تقدر مسافاتهما قياسا بالأميال أو الفراسخ ولكنـها قدرت بعدد المراحل ، وفى هذه الحالة فاننا لانستطيع أن نجزم اذا كانت هذه المراحل قد قدرت على أساس المعدل المعروف لسير القوافل التجارية أو على أساس المعدل المعروف لقوافل المسافرين ؛ وكانت قوافل الحجاج تعتبر من هذا النوع الأخير •

ولعل هذين الطريقين لم يقاسا بطريقة رسمية اذ لانجد تفاصيل خاصة عن المسافات فى هذين الطريقين ترجع فى تاريخها الى العصر الأموى أما فى العصر العباسى فقد أهمل أمر هذين الطريقين اهمالا تاما .

وقد كان ابن خرداذبة « المسالك ط دى غوية ١٩ » على معرفة بأحد هذين الطريقين وهو الطريق الواصل بين مصر والمدينة . ويخرج هذا الطريق من ميناء أيلة الى واحة الحقل « ٤٠ك » ثم الى مدين وهى المعروفة الآن بالبدع « ٨٠ ك » ثم الى الأعز . — .

واسم هذا المنزل الأخير قد حرفه النساخ تحريفات عديدة . ومن المحتمل أن يكون هو نفس الماء المعروف بالغَرّ أو الأغر الواقع فى وادى شمرا على مسافة خمسة وستين كيلا تقريبا الى الجنوب الشرقى من البدع « مدين » وعلى ذلك فيكون الرسم الذى استعمله اليعقوبى وقدامة « الأعر » أو « الأغر » هو الصحيح وليس « الأغز » أو « الأعراء » . وواحة الغَرّ أو الأغَرّ تقع على طريق الرصيفيّة الذى يخرج من البدع « مدين » متجها نحو الجنوب الشرقى . والمنزل التالى بعد ذلك لايذكره ابن خرداذبة ولكن يجب أن يكون موقعه عندمفرق الطرق فى وادى الشار على مسافة خمسين كيلا من الغَرّ حيث تتجمع المياه بعد نزول الأمطار الغزيرة وحيث يوجد عدد من العيون بالقرب منه فى منطقة جبل الشار . وبعد خمسة وخمسين كيلا تقريبا منه الى الجنوب الشرقى أى بالقرب من شعيب السلوة تتفجر العين المعروفة بالكليب وهى — فيما أرى — نفس المنزل المعروف بالكلابة كما يسميه المقدسى أما المنزل المعروف بشغب فيقع على نفس الطريق بعد سبعين كيلا من الكليب . وتأتى بدا بعد خمسة وستين كيلا تقريبا فى الجنوب الشرقى من شغب .

ويصف اليعقوبى هذا الطريق فيقول ان مدينة أيلة يسكنها أخلاط من الناس وبها قوم يذكرون أنهم موالى عثمان بن عفان . وأكثر سكانها يعمل فى التجارة وبها برد حبرة يقال انها بُرد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعند أيلة كان يجتمع الحجاج القادمون من الشام ومن مصر والمغرب « الاصطخرى : مسالك ط دى غوية ٢٧ » ، ابن حوقل : مسالك ط دى

غوية ٣٤ » ثم يخرجون منها الى شرف البعل ، ويقع هذا المنزل الأخير على ثمانين كيلا من أيلة والطريق اليه يسير فى محاذاة ساحل البحر فى اتجاه جنوبى حتى يصل الى الحقل « ٤٠ ك » ثم يتجه بعد ذلك الى الجنوب الشرقى مجتازا المرتفعات الجبلية اى وادى الأبيض حيث توجد به الآن الأطلال المعروفة باسم الشراف .

والمنزل التالى بعد ذلك وهو مدين « البدع » يتفرق عنده الطريق فيأخذ الحجاج الذين يقصدون مكة مباشرة طريقا غير تلك التى يأخذها المارون بالمدينة . فالذاهبون الى المدينة يسلكون الطريق التى يذكرها ابن خرداذبة باسم طريق الأغر ومنها الى قالس كما يسمى اليعقوبى المنزل التالى للأغر . وربما كانت قالس هذه واقعة فى وادى الشار . أما بين قالس وشغب فان اليعقوبى لايذكر شيئا من المنازل .

أما الطريق الساحلى الذى يذهب الى مكة مباشرة فتعيين اتجاهه أمر أكثر صعوبة من سابقه . فمن مدين يتجه الطريق الى منزل عامر هو « عينونة » ولا زالت تعرف بهذا الاسم حتى الآن الواحة الواقعة على خمسين كيلا الى الجنوب من مدين . والمنازل الأخرى الواقعة على هذا الطريق فى حدود منطقتنا هى : العوينذ والصلاة والنبك والقصيبة والبحرة والمغيثة وظبة والوجه . أما المنزل المعروف بظبة فمعروف لنا بصورة مؤكدة وهو على مائة وخمسة من الكيلات بعد عينونة . وبين عينونة وظبة يسمى اليعقوبى أسماء ستة منازل بينما لايذكر فيما بين ظبة والوجه الا منزلا واحدا ، على أن الوجه تقع من ظبة على مائة وخمسين كيلا . فمن المؤكد أن خطأ قد حدث فى النص فى هذا الموضع . واذا وزعنا هذه المنازل السبعة جميعا فيما بين عينونة والوجه تكون المسافة بينهما سبع مراحل والمرحلة بين خمسة وأربعين أو خمسين كيلا . وهذا التقدير يتفق مع مقدار المراحل التى ذكرها اليعقوبى . وعلى هذا تكون ظبة هى المنزل الثانى بعد عينونة وليست المنزل السابع كما يفهم من النص . أما فيما يتعلق ببقية المنازل الأخرى فان اليعقوبى لم يقدم لنا أية اشارة تبين لنا أين يجب أن توضع أماكنها .

ولايذكر ابن رسته « الأعلاق النفيسة دى غوية ص ١٨٣ » سوى المنازل الواقعة على طريق الحاج الى المدينة والتى ذكرها ابن خرداذبة . أما الطريق الساحلى فلا يذكر عنه شيئا .

وقدامة المتوفى عام ٩٢٢ م يعرض لكلا الطريقين « الخراج دى غوية ص ١٩٠ » وفى طريق المدينة فانه يذكر نفس المنازل التى ذكرها ابن خرداذبة واليعقوبى غير أنه قد أخطأ فى تحديد النقطة التى يفترق عندها الطريقان فيذكر أنها شرف البعل أما هذه النقطة فهى فى الواقع مدين « البدع » وان تضاريس الأرض فى هذه المنطقة لاتمكن الحجاج من أن يخرجوا من شرف البعل الى الأغر مباشرة دون المرور بمدين . ومن مدين يتجه طريق مكه نحو الجنوب على الساحل . ولكن كلا من قدامة والمقدسى « أحسن التقاسيم ط دى غوية ص ١٠٩ » لايذكر اسم عينونة بين المنازل على الرغم من أن قوافل الحجاج أو التجارة لم يكن فى مقدورها تجنب المرور بها . وكلا هذين المؤلفين يذكر منزل العويند فى مكانه الصحيح الذى يقع فيه فعلا فيما بعد ظبة وليس قبلها كما ذكره اليعقوبى . فاذا وافقنا على أن الموضع الذى وضعنا فيه مدين وعينونة هو الموضع المضبوط فسنجد أن قدامة والمقدسى يدخلان منزلى الصلاة والنبك فيما بين عينونة وظبة التى نعرف مكانها كذلك على وجه التحديد . ولكن المسافة بين عينونة وظبة لاتحتمل منزلين وانما تحتمل منزلا واحدا فقط يقع فى مكان ما قريبا من المحلة التى تعرف اليوم بالمويلح . وهذا الاسم الأخير الذى يعنى الملوحة الخفيفة يرجع الى أصل حديث اشتق من الوصف الذى كانت توصف به العيون التى تقع فى هذا المكان وكانت على شىء من الملوحة فعلا . ولما كان اسم الصلاة لازال يطلق على الساحل الواقع الى شمال المويلح وعلى الجزر الواقعة الى القرب منها كذلك فان موضع المنزل المعروف بالصلاة هو عين محلة المويلح نفسها . وفى نفس هذا المكان كان يضعها المؤلفون الآخرون الذين يعينون مكانها فيما بين عينونة وظبة . وعلى نحو من خمسين كيلا الى الجنوب من ظبة توجد أكوام صغيرة لأطلال المنزل المعروف بالعويند الذى حرفه النساخ الى العونيد . والمنزل التالى بعد ذلك يقع فى وادى شعف

حيث يقع فعلا المنزل الذى يحمل اسم النبك • وعلى ذلك تكون منازل الطريق التى تقع داخل حدود منطقتنا هى كما يلى وفق ترتيبها الجغرافى : مدين — عينونة — الصلاة — ظبة — العويند — النبك •

أما حاجى خليفة فيذكر فى كتابه جهان نما « ط استانبول ١١٤٥ هـ ص ٥٤١ » « مسودات جهان نما Codex Vindobonensis 1282 (Mxt. 389) لوحة ١٧٩ ب » أن طريق الحاج المصرى يمر بالمنزل المعروف بسطح العقبة — وهو المرتقى القريب من أيلة — وعلى ميل منها توجد عين مسورة عذبة الماء • ويسكن هذا المنزل عرب الحويطات الذين يعيشون على زراعة النخيل وعندها ينتهى الربع الأول من طريق الحاج • ويسير الطريق بعد ذلك خلال ممرين ضيقين وفيهما ماء عذب ثم يصعد بعد ذلك فوق المرتقى الصخرى المعروف بظهر الحمار ثم الى الجرفين ثم يصل الى شرف ويسكنها بنو عطية ويوجد بها كثير من الحطب ويستمر الطريق بعد ذلك بين منطقتين جبليتين خلال وادى المطلات حيث يسكن بنولام • والمنزل المعروف بمغارة شعيب مشهور بغزارة مياهه وعذوبتها وبأشجاره الكثيرة من الأثل والدوم والنخيل • والمنزلان اللذان يأتيان بعد ذلك هما قبر الطواشى وعيون القصب ويقعان فى واد غزير المياه تنبت فيه أحراش من الغاب والبردى ولكنه شديد الحرارة وفى هذا المكان يموت كثير من الحجاج فى فصل الصيف • وعلى الساحل مقام يقولون ان الذى بناه هو ابراهيم الخليل والحجاج يقدسون هذا المقام • وقريبا من المنزل المعروف بالشرم وفى جوار الساحل تقوم جبال الشراة • والمنزل المسمى بالمويلح يقع على الساحل نفسه وهو غزير المياه وان كانت مالحة بعض الشىء • ثم تأتى بعد ذلك دار قايتباى وسميت بذلك لأن السلطان قايتباى « الملك الأشرف سيف الدين قايتباى ١٤٦٨/١٩٤٦م » قد استراح بها وهو فى طريقه الى الحج • وكان الحجاج قبل ذلك يضربون خيامهم فى بقعة يقال لها بطن الكبريت • وفى منزل آخر قصى دفن الشيخ مرزوق الكفافى ويزور الحجاج ضريحه • وعند المنزل المعروف بالأزلم ينتهى الربع الثانى من طريق الحاج • والمناطق المجاورة له أرض قاحلة تحف بها الجبال الصخرية وماؤها زعاق والمرعى بها غير كاف ولكن ينمو بها كثير من السنا •—•

أما العين المسورة التى يذكرها حاجى خليفة عند أيلة فهى التى تقع فى الحـدائق الى الجنوب من حصن العقـبة الحالى ، ولازال يعرف هذا الحصن باسم أيلة كما تعرفو بذلك أيضا العين القريبة منه ، أما ظهر الحمار فهو اسم لمرتفع صـخرى يقع بين واحتى الحقل والحميضـة ، وجرفين هى شعيب أم جرفين الذى يبدأ عند مرتفع الشرف ، وبنو عطية أو العطاونة لازالوا يقيمون الى الشرق من الشرف ، ولقـد أقيم منزل الحـاج فوق البقعة التى يتصل عندها شعيب الشرف بوادى الأبيض ، ثم يسير الطريق بعـد ذلك نحو الجنوب خـلال وادى الأبيض هذا وهو يقع بين جبـال مرتفعة سوداء داكنة ، فوادى الأبيض ـ اذن ـ هو ما يسميه حاجى خليفة بالمطلات ، أما بنو لام فلم يبق منهم الآن سوى المساعيد ، أما قبر الطواشى فلم أسمع اسمه فى المنطقة المشار اليها ولكن نستخلص مما ذكر من الأعلام والمسافات أن منزل الحاج فى هذه المنطقة يقع عند المراح ، أما عيون القصب فهى تلك العيون التى تتفجر بين أحراش الغاب والبردى الموجودة بوادى الشمرا على درب الملاح على نحو من ثمانية كيلات الى الشرق من الساحل ، والمقام الذى بناه ابراهيم لا أعرف عنه شيئا ، أما جبل الشراة فهو جبل الشـار ولكنه حرف فى الكتابة ، وكلمة الشرم فهى تشير الى الميـناء أو الفرضة والمكان الذى سمى بهذا الاسم يجب أن يكون واقعا على السـاحل عند خليج الصفراء ، والمويلح هى المحلة الحـديثة التى تحمل نفس الاسم ، وبطن الكبريت هى عين الوادى الذى ينحدر فوق السفح الجنوبى لطويل الكبريت ، فالكبريت لايرسب فوق هذه التلال فقط ولكنه يرسب كذلك فوق التلال الواقعة وراء ذلك الى الجنوب والمعروفة بحميرة القريقر حيث يجب أن نضع مكان الدار التى بناها قايتباى ، وقبر مرزوق الكفافى هو عين القبر المعروف حاليا بقبر الطواشى عند نهاية شعيب الكفافى فهو اذن عين المحلة المعروفة بظبة ، أما المنزل المعروف بأزلم فهو الذى كان يعرف قديما بالعويند وقد ذكرناه توا ،

ويذكر حاجى خليفة فى كتابه جهان نما « استانبول ١١٤٥ هـ ص ٥٨٢ » أن حصن أيلة يقع على ساحل بحر السويس قريبا من جبل الطور وانه تابع

لمصر . ومن أيلة فان المسافة الى مدين مرحلتان وهى تسمى كذلك باسم مغاير شعيب . ومنها الى حصن الأزلم ثلاث مراحل أخرى . —

أما الطريق من مدين الى المدينة فلا نجد اشارة اليه .

ويقول شمس الدين البكرى فى كتابه التحفة Codex Vindobonensis (AF. 283) 1925أو 457 لوحة ١٨ ب » أن سلطان مصر قنصوه الغورى « ١٥٠١/١٥١٦ » أمر بتمهيد العقبة الواقعة عند أيلة كما أمر باصلاح منزل الحقل . وفى الحقل هذه قد أنشىء خان وشيدت الأبراج عند بابه . وأنشىء كذلك خان كبير فى الأزلم كان الحجاج يودعون به شطرا من زادهم ليتبلغوا به عند عودتهم أثناء الجزء الباقى من طريقهم .

ويسجل لنا كل من جان دى تيفنو « ١٦٥٦ م » Jean de Thevenot وجابريل بريموند Gabrielle Bremond كل منهما فى رحلته « الاول ص ٤٧٧ والثانى ص ١٦٣ من نشرة G. Corral) » . وقد كتب كل منهما رحلته فى منتصف القرن السابع عشر — يسجلان لنا كذلك أسماء المنازل الواقعة على طريق الحاج المصرى الى المدينة . فالطريق يخرج من سطح العقبة الى قلعة العقبة الحالية ثم بعد ست ساعات ونصف الساعة يصل الى برج ظهر الحمار « الحقل » وبعد سبع ساعات ونصف أخرى خلال اقليم وعر يصل الطريق الى شرف بنى عطية ويكتبه بريموند « Scharafè betügatele » ويذكر كل من بريموند وتيفنو مقدار المسافة بين ظهر الحمار وبين المنزل التالى بعده فيحددانها بأربع عشرة ساعة . وان هذا التقدير غير صحيح فان أربع عشرة ساعة هو مقدار المسافة جميعها من العقبة الى الشراف . ثم يسير الطريق بعد ذلك الى مغاير شعيب التى كانت تسكنها قديما قبيلة مدين وهى على مسافة أربع عشرة ساعة ثم يسير بعد ذلك الى عيون القصب « واحة شمرا » ويقال ان موسى قد أعان عندها بنات يثرون ثم يسير بعد ذلك مدى أربع عشرة ساعة الى قلعة المويلح . ثم بعد احدى عشرة ساعة الى قلعة أخرى . وهذا المكان الأخير يجب أن يكون هو عين المحلة المعروفة حاليا بظبة . ومن القلعة على مسافة أربع عشرة ساعة ونصف الساعة تقع قلعة الأزنم . ثم بعد أربع عشرة ساعة يأتى اصطبل عنتر ثم بعد ثلاث عشرة ساعة

ونصف الساعة يصل الطريق الى قلعة الوجه •

وفى عام ١٦٩٤م ركب عبد الغنى النابلسى « حقيقة Codex Vindobonensis 1269 (Mxt 712) المجلد الثانى لوحة ١١ «ا» ، ١٦٠ب » هو ومن معه فخرج من العقبة متجها نحو الجنوب فى محاذاة الساحل فكان البحر عن يمينه والجبال عن يساره وسار حتى واحة الحقل ذات النخيل والمياه الغزيرة فوصلوها قبل الظهر • وبعد أن استراحوا قليلا أخذوا فى الصعود على مرتقى ظهر الحمار وقبيل الغروب كانوا فى شعيب أم جرفين وقد أمضوا ليلتهم هناك ولم يكن بهذا المكان ماء • وقبيل الظهر من اليوم الثانى وصلوا الجرفين • وقد ساروا بين صخور عالية من حجر السماق والرخام حتى الشرف أو كما يعرف أيضا « شرف بنى عطية » وهناك لم يجدوا ماء . وفى الصباح ساروا حتى انتهوا الى الحافة الأخيرة للشرف حيث أصابوا طعام الغذاء • وبعد الرابعة ارتحلوا ثانية فمروا بالرجم ثم حطوا رحالهم قبيل الغروب عند العفال • وفى عصر اليوم التالى وصلوا الى مغاير شعيب وهى التى يسميها البدو « البدع » وهنال يجتمع ماء الينابيع المختلفة • فيصير كالنهر فى أماكن كثيرة • وفى اليوم التالى فان جماعة النابلسى ركبوا حتى الغروب وباتوا فى شعيب الصوير حتى شروق الشمس • وباختصار فقد بلغوا عيون القصب قبيل الظهر وهذه العيون تتجمع مكونة قناة ينبت على جانبيها القصب والبردى • واستراحوا هناك حتى العصر • ولما أوغلوا فى المساء وجدوا انفسهم فى منطقة لايتبينون فيها طريقهم فضلوا الطريق وأقاموا حتى انبثاق الصبح • ثم استراحوا بعد ذلك فى وادى العذيب حتى العصر وعند المساء وصلوا حصن المويلح وهناك أصبح البحر على مرأى منهم مرة أخرى وقد وجدوا عيونا من الماء العذب هناك ، والحصن عامر طول أيام السنة • ثم تركوا البحر مرة ثانية ومع العصر كانوا عند المُقَاوِل حيث أمضوا ليلتهم • ثم مروا بعد ذلك خلال الغال وشق العجوز فوصلوا ظبا حيث توجد عيون من الماء العذبة النقية • وفى الصباح خرجوا من ظبا ومروا بعد ساعة بقبر رجل من أهل الفضل من تجار المغرب يسمى مرزوق الكفافى مرض وهو فى طريقه الى الحج فبقى فى ظبا حيث أمر بحفر بئر على نفقته

ثم مات بعد أيام قليلة . وبعد ساعة من الظهيرة استراح عبد الغنى ورفاقه فى وادى البحراء لمدة قصيرة ثم أدركهم المغرب فباتوا فى الوادى الواقع الى الجنوب من حصن الأزلم وفى هذا المنزل السادس عشر من طريق الحاج المصرى كان يعيش خمسة من الأعراب تقريبا . وفى الصباح ارتحل الحجيج من جديد ثم استراحوا عند عين للماء العذب قريبا من ممر الدخان الواقع بين الجبال ثم ضربوا خيامهم للمبيت قبيل الغروب فى بطن نهر السَّعف . —

أما ظهر الحمار فيجب أن تكون هى بعينها القمم المسماة بالطبق والتنينير التى تمتد جنوبا حتى شعيب أم جرفين . والرجم تقع قريبا من شعيب الحصانة . والعفال هو اسم الجزء الأسفل من وادى الأبيض . والمكان الذى أمضى فيه الحجاج ليلتهم كان فى شمراء تومان . والبدع هو الاسم الحالى لمدين القديمة أو مغاير شعيب . وقد عبروا شعيب الصوير الواقع على أربعين كيلا فى الجنوب الغربى من البدع ثم ساروا فى درب الملاح حتى واحة شمرا التى هى عيون القصب . وأرى أن موضع العذيب هو فى ضواحى أم جيهيلة . والمقاول تقع فى مكان ما على الحافة الشمالية لحميرة قراقر على درب الفلك . والغال يخرج من حميرة قراقر متجها الى الجنوب . وشق العجوز هو شعيب الشقيق . وأما اسم التاجر مرزوق الكفافى فقد نسيه الناس ويطلقون على قبره اسم قبر الطواشى . والبحراء تمتد نحوا من خمسة عشر كيلا الى الجنوب الشرقى من ظبا .

«طريق الحاج الشامى»

وطريق الحاج الشامى يتبع نفس طريق القــوافل القديم المعروف باسم التبوكية والذى يشـير اليه ابن اسـحق « الطبرى : تاريخ ط دى غوية ص٢٠٧٨ » وهذه الحقيقة واضحة مما ذكره ياقوت فى معجمه « ط فيستنفلد ١:٣٣٦ ــ ٢:١٣٥ » اذ يذكر أن محمد بن سعدون العبدرى يروى أن أباعبيدة أقبل من المدينة حتى أتى وادى القرى وأخذ عليهم الأقرع والجنينة وتبوك وسرغ ثم دخل الى الشام . والعبدرى يروى ماذكره أبو حذيفة اسحق ابن بشر فى كتابه عن مغازى الشام . والمراكز الرئيسـية فى وادى القرى كانت تقع عند المحلة المعروفة الآن باسم العلا . أما الاقرع فتقع الى الشمال من العلا . والجنينة هى المـكان المعروف الآن بجناين القـاضى ويقع بين الأقرع وتبوك . وسرغ ــ وهكذا يجب أن نقرأها ، لا كما حرفت فى النص الى « سروع » ــ تشير الى الواحة والحصن المعروفة الآن باسم سَرْغ الواقعة فى شمال تبوك .

وبعد فتح الشام كان عدد كبير من الحجاج وكذلك الخلفاء وأفراد البيت الحاكم من بنى أمية يمرون خلال هذا الطريق فى ذهابهم الى مـكة والمدينة . ويحكى ابن الفقيه فى كتابه البلدان « ط دى غوية ١٠٦ » أن الخليفة الوليد بن عبد الملك قد حفر المياه فى مختلف المنازل الواقعة على هذا الطريق كما أنشأ بها البيمارستانات للمرضى .

ولا نجد من بين المؤلفين من يذكر أن الأمويين قد عنوا بقياس المسافات فى هذا الطريق ووضع علامات الأميـال عليه . ولكن الخليفة مروان بن الحكم قد أقام الأعلام « الأميال » فى حدود الحرم فقط « ابن رسـته : الأعلاق النفيسة ط دى غوية ص ٥٦ » فلو أن علامات الأميال كانت قـد وضعت على جميع أجزاء الطريق لاهتم الجغرافيون دون شك بذكر مراحل الطريق مقدرة بالأميال ، كما فعلوا فى وصف الطريق الواصل بين الكوفة والمـدينة . بل ان المؤلفين الأقدمين لايذكرون باستيعاب جميع المنـازل الواقعة بين دمشق ومكة وانما يشـيرون اليها بطريقة اجمـالية دون ذكر للمسـافات .

ولا يسمى ابن خرداذبة « المسالك ط دى غوية ص ١٥٠ » المنزلين الأولين من الطريق باسمائهما وانما يذكرهما بلفظ منزل . وأما المنزل الثالث فيطلق عليه اسم ذات المنازل . والمقصود بالمنزل الأول « الكسوة » دون شك . أما المنزل الثالث فهو أذرعات الواقعة على مسافة مائة وخمسة من الكيلات تقريبا الى الجنوب من دمشق . وأول منزل يذكر ابن خرداذبة اسمه بعد ذلك هو سرغ « ٣٣٠ ك » وهذه هى القراءة الصحيحة للاسم لا كما ورد محرفا تحت لفظ سرع . وبعد ذلك فان الطريق يصل ــ كما يذكر ابن خرداذبة ــ الى تبوك فالمحدثة فالأقرع . واسم هذا المنزل الأخير قد بقى محفوظا الى اليوم فى الاسم الذى يطلق على بركة الأقرع وهى تقع على مائتى كيل تقريبا الى جنوب الجنوب الشرقى من تبوك غير بعيد من محطة المطلع الواقعة على سكة حديد الحجاز . أما المنزل الذى يسميه بالمحدثة فانى لا أعرفه غير أنه ربما كان هو المحطة المعروفة بالمعظم الواقعة على سكة حديد الحجاز . فالمنزل القديم المعروف بالأخضر الواقع بين المعظم وتبوك لازال يعرف بهذا الاسم بينما لاتذكر أية اشارة الى المحدثة بعد عهد السلطان الملك المعظم الذى أنشأ بركة الماء بها . فمن المحتمل اذن أن يكون اسم المعظم قد حل محل اسم المحدثة الذى كان يسمى به المنزل قديما . وبعد الأقرع فان اسم المنزل الذى يذكره ابن خرداذبة هو الجنينة ولكن يجب على كل حال أن يتقدم هذا المنزل قبل الأقرع وقبل المحدثة نفسها . فالمسافة بين الأقرع وبين المنزل الذى يليه وهو الحجر هى أربعون كيلا فقط فلا يحتمل أن يكون بها منزل آخر بينما نجد فى نحو منتصف الطريق بين الأخضر والمعظم « المحدثة » مكانا يقال له جناين القاضى وفيه أطلال وبقايا لحصن ومبان وبركة ماء مما يكون عادة فى المنازل التى تقع على طريق الحاج . ففى هذا المكان يجب أن نضع المنزل المسمى بالجنينة . ومن الحجر فان الطريق يذهب الى وادى القرى وهى المعروفة بالعلا .

أما ابن رستة « الأعلاق النفيسة ص ١٨٣ » وقدامة « الخراج دى غوية ص ١٩١ » فلا يعرضان لذكر المنزلين الأولين ؛ ثم يذكران المنازل التى تأتى بعد ذلك وفق الترتيب الذى ذكرها به ابن خرداذبة .

والمقدسى يذكر فى كتابه أحسن التقاسيم « ط دى غوية ص ٢٤٩ » أن الطريق الذاهب الى تبوك يبدأ من عَمَّان وبعد منهلين يصل الى معان ثم بعد مسافة أخرى مماثلة يصل الى تبوك ومن تبوك بعد مبيت أربع ليال يمكن الوصول الى تيماء • فالمقدسى يقدر المسافة من عَمَّان الى معان بثلاث مراحل ثم الى تبوك بثلاث مراحل أخرى • ويقدر المسافة من تبوك الى تيماء بخمس مراحل • والمسافة من عمان الى معان هى أكثر من مائة وتسعين كيلا فتكون المرحلة على هذا التقدير قريبا من ثلاثة وستين كيلا • أما مقدار المرحلة فيما بين معان وتبوك فيكون أكثر من ذلك اذ تصل الى مائة كيل تقريبا اذا كان عدد المناهل بينهما اثنين فقط وليس ثلاثة « كما يذكر فى نسخة استانبول • أنظر نشرة دى غوية ص ٢٥٠ ملاحظة ب » ولما كان مقدار المرحلة من مراحل طريق الحاج يصل عادة الى قريب من ستين كيلا فيجب أن نأخذ بما ورد فى نسخة استانبول فنذهب الى وجود ثلاثة مناهل فيما بين معان وتبوك وليس منهلين • واذا كان المؤلف قد ذهب الى وجود أربعة مناهل على الطريق فيما بين تبوك وتيماء فيكون قد قدر المرحلة نحوا من خمسة وخمسين كيلا والأمر على هذا النحو أيضا فيما يتصل بمقدار المرحلة فيما بين تيماء ووادى القرى •

أما الادريسى « نزهة المشتاق نشرة برندل أبسلا سنة ١٨٩٤ ص٢٨ » فيذكر من أسماء المنازل عددا أكبر مما ذكره أسلافه وان كانت هذه الأسماء قد ذكرت محرفة حتى أضحى من الصعب تحديد مواضعها • فهو يذكر أن الطريق يخرج من دمشق الى المنزل الأول المسمى بالكسوة وهو يقع فوق مرتفع على الضفة الغربية لنهر الأعوج الذى ينتهى مصبه الى البحيرة • والى الشرق من الكسوة يقوم خان عظيم يبيت فيه الحجاج • وبعد مرحلة من الكسوة تأتى زرعا « ازرع انظر فيما بعد — وفى النص حرفت الى دعا » وبعد مرحلة أخرى يصل الطريق الى محلة عامرة هى ذات المنازل وهى المعروفة باسم ذرعات كما ذكرت • ثم نجد بعد هذا المكان أن تحديد مواضع المنازل المختلفة يتعرض لصعوبات جمة • فاسم المنزل الذى يأتى بعد ذلك هو ينوع أو بنوع وهو التحريف الذى يتعرض له دائما لفظ

سرغ الذى يسمى به هذا المنزل والذى يذكره جميع الجغرافيين السابقين .
ولكن المسافة بين ذرعات وسرغ تكون أكثر من ثلاثمائة كيل . والادريسى
لايذكر اسما واحدا لمنزل يقع فيها . وبعد مرحلة أخرى من سرغ تأتى
البثنية ولكن الادريسى « نزهة المشتاق نشرة برندل ص ٣٠ » يذكر أن
البثنية هى ذرعات . وبعد البثنية تأتى المحلة العامرة المسماة دَمّا «دمنة» .
وهذه يجب أن نضع موضعها عند المنزل المعروف بذات الحج على مسافة
أربعين كيلا تقريبا الى الجنوب من سرغ فبالقرب منها ينتهى شعيب دمنة
الذى يأتى من العين المعروفة بنفس الاسم . وهذا الترتيب الذى يبدأ
بسرغ ثم دمنة يستقيم مع اسم المنزل الذى يذكر بعد ذلك وهو تبوك .
أما المنازل فيما بعد تبوك فهى ذاتها التى يذكرها المؤلفون السابقون غير
أن لفظ الجنينة قد حرف الى الحنيفية .

وفى عام ١٣١٣ م « ٧١٣ هـ » قدر أبو الفدا « المختصر نشرة ادلر
مجلد ٥ ص ٢٨٠ » المسافة من مكة الى حماة نحوا من خمسة وعشرين
يوما أقام منها فى المدينة والعلا وبركة زيزا ودمشق ثلاثة أيام . وكان
خالص سيره من مكة الى حماة دون اثنين وعشرين يوما ولكنه غير راحلته
أثناء الطريق «[1]» . والمسافة بين مكة وحماة أكثر من تسعمائة كيل فلا بد
وأن يكون أبو الفدا قد قطع خمسة وأربعين كيلا فى كل يوم . ومن أسماء
المنازل التى يذكرها يتضح أنه قد سار فى طريق التبوكية .

ولما خرج ابن بطوطة مع الحجيج من دمشق « التحفة ط دفريمرى
وسنجوينتى ص ٢٤٥ » فى سبتمبر ١٣٢٦ م فقد سار الى الكسوة ثم
الصنمين فزرعة ثم بصرى ثم بعد ذلك الى زيزا فاللّجون فالكرك الى
معان .— ودفريمرى وسنجوينتى يريان أن ذرعة هى أذرعات . وهذا
غير صحيح لأن اسم زرعة يتصل بالمحلة المعروفة بازرع الواقعة على
الطريق الواصل مباشرة بين الصنمين وبصرى بينما تقع أذرعات الى
الغرب منه .

ووفقا لابن بطوطة فان معان تقع على تخوم الشام . والى الجنوب

(١) نص ابى الفدا « وكان صحبتى فرس وبغل ولم يقف عنى شيء منهما »

من معان بعد المنزل المعروف بعقبة الصوان « تسمى حاليا عقبة الحجازية» فان قافلة الحجيج قد دخلت الى سهل صخرى قاحل يقال عنه ان الداخل اليه مفقود والخارج منه مولود • وبعد يومين ألقت القافلة رحالها عند المنزل المسمى بذات الحج ، وهى حسيان لا عمارة بها • والمنزل الثانى يذكره ابن بطوطة فى وادٍ قاحل لاماء به يسمى بَلْدَح وهذا الاسم غير مألوف لدى • والوادى المقصود يجب أن يكون وادى البزوة الذى يقطع طريق الحاج عند نقطة تبعد خمسين كيلا الى الجنوب من ذات الحج • والمنزل التالى كان يقع على مسافة أربعين كيلا تقريبا الى الجنوب منها • وبعد تبوك فقد وصلت القافلة الى اقليم أكثر اضاعة من الاقليم السابق لذلك جدت فى السير ليلا ونهارا لتخرج منه فى أسرع وقت ممكن • والمنزل المسمى بالأخيضر « الأخضر » يقع فى واد عميق تحف به المنحدرات العالية التى يغطيها الحمم البركانى « اللابة » وهو على حق حين يصف هذا الوادى فيقول كأنه وادى جهنم • وخلال هذا الوادى جازت القافلة الى بركة المعظم نسبة الى أحد سلاطين الأيوبيين • وفى اليوم الخامس بعد تبوك وصلت القافلة الى الحجر • وهذه التفصيلات المذكورة تبين أن طول المرحلة كان خمسين كيلا •

ويصف حاجى خليفة الرحلة الى الحج « جهان نما استانبول ١١٤٥ هـ ص ٥٣١ ، ٥٣٩ — مسودات Codex Vindobonensis 1282 (Mxt 389) لوحة ١٨٧ ب » فيقول يأتى بعد معان منزل قاحل لاماء فيه يسمى ظهر العقبة ويسمى كذلك عبادان ثم تأتى بعد ذلك النخيلات المعروفة باسم الطبيليات وهى غير بعيدة من محلة « لِيس » والمنزل الذى يأتى بعد ذلك هو ذات الحج أو حَجَر وفيها بنى السلطان سليمان حصنا وينمو هناك النخيل البرى فى حدائق صغيرة ترويها العيون • ثم يأتى بعد ذلك المنزل المسمى بقاع البسيط أو العرائد وهو واقع فى اقليم رملى غير بعيد من جبل شرورى ثم تأتى بعد ذلك تبوك • وبعده الى الجنوب يأتى المنزل المعروف بمغارات القلندرية وهو بالقرب من مرتفع لاماء فيه ثم يأتى الأخيضر وبركة المعظم ومغارش الزير أو الأقرح • وعلى مسيرة نصف يوم

الى الجنوب من هذا المنزل الأخير يقع جبل الطاف حيث عقرت ناقة نبى الله صالح عند المزحم • ثم يسير الطريق شرقا الى مبرك الناقة مارا بالحجر الى مدائن صالح حيث توجد مساكن محفورة فى الصخر كما توجد العيـون الغزيرة ولـكن لايشرب ماؤها • والمنزل المعروف بالعـلا يقع على مسيرة نصف يوم من الحجر أسفل جبل أثان • —

والمنزل المسمى بظهر العقبـة هو نفس الحصن الصغير المعروف باسم فاصوعا الواقع قريبا من سفح عقبة الحجازية • واسم عباذان لم يستعمله الكتاب الأقدمون فى تسمية هذا المنزل • وواحة الطبيليات يجب أن تقع عند سرغ • أما مايقصده حاجى خليفة من محلة ليس والموضع الذى يريد أن يضعها فيه فهو غـير واضح بالنسبة الىّ • وفى مسوداته فانه يضع كلمة ليس هذه فى الهامش ولا يضعها فى درج الـكلام فمن الممكن أن تكون ليس هذه قد وضعت بدلا من ديس أو الديس وهى اسم لوادٍ ينتهى قريبا من سرغ ، ومن الممكن أن يتحول حوض هـذا الوادى بالقرب من سرغ الى واحة عظيمة • ويصل محمد أديب فى كتابه المنازل « استانبول ١٢٣٢هـ ص ٧١ » محلة ليس هذه بظهر العقبة ويقول انها تقع خلف عباذان وتكون شبيهة باحدى القرى • والمنزل المسمى بذات الحج يحتفظ بتسميته حتى الآن • وقاع البسيط أو العرائد هو المنزل المعروف بالحزم الواقع فى سهل العرايد الواسع الامتداد الى الغرب من شرورى • أما مغارات القلندرية فيجب أن نبحث عنها بعد أن يترك الطريقُ السهلَ ويدخل بين الصخور الوعرة عند ظهر الحاج • واسم الأخيضر وكذلك بركة المعظم قد حفظا فى اسمى المنزلين المعروفين بالأخضر والمعظم • اما « مغارش الزير » فيجب أن تقرأ « مفارش الرز » وهو الاسم الذى يطلق على السهل الواقع قريبـا من دار الحمراء لأن الحجاج يقولون انهذا السهل مفروش بالرز المتحجر • أما الأقرح فهو تحريف للمنزل المعروف بالأقرع • وكلمة الطاف يجب أن تقرأ الطاق وهو المعروف الآن بابى طاقة واسم المزحم يطلق الآن على محطة صغيرة من محطات سكة حديد الحجاز •

ويذكر عبد الغنى النابلسى « حقيقة مخطوط فينا Codex Vindobonensis

1269 (Mxt 712) مجلد ٢ لوحة ١٧٠ « ا » ١٧٢ ب » أنه فى عـودته من المدينة عام ١٦٩٤ م بات بالعلا ثم سار بين كثبان من الرمل وجبـال وعرة حتى وصل الى آبار ثمود المعروفة كذلك بمدائن صالح أو الحجر .وباتت قافلة الحجيج هناك ليلتها واستمرت حتى ظهر اليوم الثانى ثم سارت بعد ذلك فوصلت عند منتصف الليل الى الممر الضيق المعروف بشق العجوز وهو نفس الأخدود المعروف بشقب العجوز الواقع على مسـافة أربعين كيلا الى شمال الحجر . ومضى الجميع بعد ذلك فى سهل الزلاقات وتغطيه الرمال والأحجار الخفيفة وبها تزلق أقدام الدواب والجمال . وعند انبثاق الصبح كانوا عند الأقيرع أو مفـارش الرز . ونجد أن المؤلف فى هـذا يقرن بين مكانين تفصلهما فى الواقع مسافة ملحوظة . والأقيرع وهوتصغير الأقرع يقع الى الجنوب الغربى من شقب العجوز بينما تمتد مفارش الرز الى الشمال — بعـد أكثر من عشرين كيلا . وبعـد ساعة من شروق الشمس وصل الحجيج الى دار الحمراء ولم يجدوا ماء . ولبثوا بها حتى الواحدة بعـد الظهر ثم ارتحلوا واستمروا طوال الليل حتى حصن المعظم فوصلوه بعـد ساعة من الشروق ووجدوه متـداعى الأركان مهجورا . وكانت تحرسه قديما ثلة من جنود الشـام ولكن الأعراب اقتحموه عليهم وقتلوهم وهجر الحصن بعد ذلك . وقد وجد عبد الغنى الى جوار هذا الحصن بركة مربعة طول ضلعها مائتا ذراع وسمك جدارها ذراع واحـد وهى مبنية من نفس الأحجار التى بنى بها الحصن ، وبداخل الحصن عين غزيرة الماء .

ثم ارتحلوا بعـد الظهيرة فمروا فى واد ضيق وعر تغطيـه الصخور ويسمى المؤلف هذا الوادى « الصافى » ويبدو لى أنه قـد وقع نوع من التحريف فى هذا الاسم وأن اسمه الحقيقى هو « لصّان » فربما كان قد كتبه فى سرعة وهو على ظهر راحلته . لأن لصّان هـذا هو أصعب جزء فى طريق الحج فيما بين العلا وتبوك وهو أكثر الأجزاء تعالما بالخطر والوعورة وكون النابلسى يعنى اسم « لصان » فعـلا فانه واضح مما يذكره بعـد ذلك . فقـد ركب ثلاث ساعات خلال هـذا الوادى الوعر ثم وصل الى

السهل المعروف بجناين القاضى ويقع هذا السهل على مسافة خمسة عشر كيلا الى الشمال الغربى من النقطة التى يبتدأ عندها لصان وهذه المسافة تستقيم مع الزمن الذى حدده بثلاث ساعات . وفى جنساين القاضى كان الرمل أكثر قدرا وكانت الأرض الوعرة مغطاة بأشجار الشوك الذى كان ينتزع قطعا من ملابسهم . وبعد الغروب دخلوا ثانية فى الوادى ثم وصلوا بعد ثلاث ساعات الى المنزل المعروف بالأخضر . ويطلق عبد الغنى النابلسى كذلك اسم الأخيضر على هـذا الحصن القوى البناية ويقول ان الجنـد يقدون كل عام من دمشق لحراسة البركة من الأعراب الذين يعمدون الى سقيا أغنامهم منها . ولقد رأى بالقرب من البركة عينا عميقة عذبة غزيرة الماء يقال ان لبى الله الخضر قد حفرها من أجل الحجيج .

واتجه الحجيج الى الشمال الغربى من الأخيضر ثم خلصوا من الوادى المجدب وبدا لهم كأنما ارتحلوا من الأرض السفلى ومروا فى نقب الأخيضر المغطى بالأحجار والمحفوف بالقمم الوعرة وفى ذلك المكان امتلأت صدور الناس والدواب بالهلع والفزع وعند انبثاق الصبح وصلوا الى سهل فسيح الأرجاء وبعد ساعة أخرى كانوا عند منزل يسمى مغاير شعيب ولا يوجد به ماء . وظلوا هناك حتى الرابعة بعد الظهر . وهذا المنزل هو الموضـع المعروف الآن بظهر الحج وهو يقـع على مسافة خمسة وثلاثين كيـلا الى الشمال الغربى من الأخضر . وعنـد منتصف الليل كانوا يجوزون خلال الوادى الرملى المعروف بوادى الأثل وعند بزوغ الشمس كانوا أمام حصن تبوك حيث حطوا رحالهم . وكانوا يظنون أنهم سيلتقون هناك بعدد من النـاس والتجار الذين قدموا اليهم من دمشق ولكن هؤلاء الأقوام كانوا قـد تأخروا ولم يصلوا . وفى حصن تبوك المنيع كانت توجـد عين عذبة غزيرة الماء وقد وضعت عليها ساقية تدور فيها الحيوانات وكان الماء يسيل الى بركة فى الحصن الحديث .

وبعد أن أدوا فريضة العصر خلفوا تبوك وفى أثناء الليل كانوا يجوزون فى سهل يملؤه الغضا حتى وصلوا الى المنزل المسمى بالقاع أو قاع البزوة وقد حفظ هذا الاسم حتى الآن فى اسم شعيب البزوة الواقع الى الجنوب

من محطة الحزم على سكة حديد الحجاز • وبعد الظهر مباشرة شدوا رحالهم وعند منتصف الليل عبروا سهلا ضيقا زلقا ثم ألقوا رحالهم عند الحصن المتسع المسمى بذاتِ الحج حيث كانت ثلة من جند الشام تقوم بحراسة بركة الماء • وباتوا فى هذا المكان ليلتهم ثم سقوا دوابهم وتزودوا بالماء لثلاثة أيام • وعند الساعة الرابعة بعد الظهر واصلوا سيرهم وبعد منتصف الليل عبروا مكانا زلقا آخر يسمى زلاقات عمار وهو يقع قريبا من المحطة المعروفة الآن بحالات عمار • وبعد ساعة من شروق الشمس ألقوا رحالهم عند المنزل القفر المسمى جُغَيْمَان والواقع بين المرتفعات • وان هذا الاسم ربما كان اسما ثانيا للموضع الذى بنيت عليه بعد ذلك محطة سكة الحديد المسماة بالمدورة والتى تقع مباشرة فى جوار المنزل القديم من منازل طريق الحاج والمعروف باسم سرغ اذ أنه من الملاحظ أن عبد الغنى لايشير أية اشارة الى هذا الحصن القديم • وبعد صلاة الظهر شد الحجيج رحالهم وجازوا عبر منطقة وعرة فى معظمها حتى انبثق الصبح فارتقوا عقبة الحلاوة وسميت بذلك — كما يقول عبد الغنى — لحلاوة الاستبشار بقرب الأهل والأحباب • وبعد فترة قصيرة من الراحة شدوا رحالهم ثانية عند الظهيرة ولكنهم لم يحطوها ثانية حتى وصلوا معان •

«المراجع»

ابن الأثير . على بن محمد عز الدين (١١٦٠ — ١٢٣٤ م) : الكامل فى التاريخ . نشرة تورنبرج . ليدن ١٨٥١/١٨٧٦ . ١٤ مجلدا .

ابن اسحق . محمد (ح ٧٦٨ م) : كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم رواية عبد الملك بن هشام (٨٣٤ م) . نشرة فيستنفلد . جوتنجن ١٨٥٨ / ٦٠ . مجلدان .

ابن بطوطة . محمد بن عبد الله (١٣٠٤ — ١٣٧٧ م) : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . نشرة دى فريمرى وسنجوينتى . باريس ١٨٥٣ / ١٨٥٨ . ٤ مجلدات .

ابن حجر العسقلانى . ابو الفضل احمد بن على بن محمد (١٤٤٩ م) : الاصابة فى تمييز الصحابة . نشر الجزء الأول المولى محمد وجيه عبد الحق والمولى غلام قدير وشبرنجر . ونشر الثانى والثالث والرابع المولى عبد الحى . كلكتا ١٨٥٦ ، ١٨٩٣ ، ١٨٨٨ ، ١٨٧٣ . ٤ مجلدات

ابن حوقل . ابو القاسم (كتب عام ٩٧٧ م) : كتاب المسالك والممالك . نشرة دى غوية . المكتبة الجغرافية (٢) . ليدن ١٨٧٣ .

ابن خرداذبة . ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (الف ٢ ٨٤٨ م) : كتاب المسالك والممالك . نشرة دى غوية . المكتبة الجغرافية (٦) . ليدن ١٨٨٩ .

ابن خلدون . ابو زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد (١٣٣٢ — ١٤٦٠م) ١) المقدمة نشرها كاترمير باريس ١٨٥٨ . ٢) كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر — بولاق ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ — ١٨٦٨م) . ٧ مجلدات .

ابن رسته . ابو على احمد بن عمر (زار المدينة عام ٩٠٣ م) : كتاب الأعلاق النفيسة . نشرة دى غوية . المكتبة الجغرافية (٧) . ليدن ١٨٩٢ .

ابن سعد . ابو عبد الله محمد (٨٤٥ م) : كتاب الطبقات الكبير . نشره سخاو . ليدن ١٩٠٤/١٩٠٩ . ٩ مجلدات .

ابن الفقيه . ابو بكر احمد بن محمد الهمدانى (كتب ح ٩٠٢ م) : كتاب البلدان . نشره دى غوية . المكتبة الجغرافية (٥) . ليدن ١٨٨٥ .

ابن منظور . الانصارى الخزرجى الافريقى . جمال الدين أبو الفضائل محمد بن مكرم بن على (١٣١١ م) : لسان العرب . بولاق ١٣٠٠ / ٧ هـ ، (١٨٨٣ / ٩١ م) ٢٠ مجلدا .

ابو شامة . شهاب الدين ابو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل (١٢٠٣ــ ١٢٦٨ م) : كتاب الروضتين فى اخبار الدولتين . القاهرة ١٢٨٧ / ٨٨ هـ . (١٨٦٩ / ٧٢ م) نشره كذلك مع ترجمة فرنسية بربييه دى ميتار . فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية ــ المؤرخون الشرقيون ، المجلد الرابع والخامس . باريس ١٨٩٨ ، ١٩٠٦ .

ابو الفدا . اسماعيل بن على بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب عماد الدين الأيوبى (١٢٧٣ ــ ١٣٣١ م) : ١) مختصر تاريخ البشر . نشره ادلر . كوبنهاجن ١٧٨٩ / ١٧٩٤ . ـــ ٥ مجلدات . ٢) تقويم البلدان . نشره رينو ، دى سلان . باريس ١٨٤٠ .

أبو الفرج . على الأصبهانى . (٩٦٧م) : كتاب الاغانى . بولاق ١٢٨٥ هـ . (١٨٦٨ / ٩ م .) ٢٠ مجلدا ــ الجزء الحادى والعشرون من كتاب الأغانى نشره برينو . ليدن ١٨٨٨ ــ فهرس ابجدى لكتاب الأغانى اصدره جويدى . ليدن ١٨٩٥ / ١٩٠٠ . مجلدان .

الادريسى . ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الشريف (١١٠٠ ــ ١١٦٦ م) : ١) كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق . ترجمة فرنسية قام بها جوبير . باريس ١٨٣٦ / ٤٠ . مجلدان . ٢) كتاب نزهة المشتاق فى ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق . روما ١٥٩٢ . نشره كذلك برندل . ابسالا ١٨٩٤ .

الاصطخرى . ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى (نبغ فى ٩٥١ م) : كتاب مسالك الممالك . نشره دى غوية . المكتبة الجغرافية (١) . ليدن ١٧٨٠

البكرى . أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (١٠٩٤ م) : معجم ما استعجم . نشره فيستنفلد . جوتنجن ١٨٧٦/٧٧ . مجلدان .

البكرى . المصرى . شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابى السرور الصديقى (١٦١٩ م) : التحفة البهية فى تملك آل عثمان الديار المصرية . مخطوط . المكتبة الأهلية بفينا ٩٢٥ .

البلاذرى . احمد بن يحيى بن جابر (٨٩٢ م) : كتاب فتوح البلدان . نشره دى غوية . ليدن ١٨٦٦ .

حاجى خليفة . (او خلفا) . مصطفى بن عبد الله كاتب چلبى (١٦٥٨ م) : ١) جهان نما . استانبول ١١٤٥ هـ (١٧٣٢ / ٣٣ م) . ٢) مسودات جهان نما . مخطوط . المكتبة الأهلية بفينا ١٢٨٢ .

حسان بن ثابت . (ولد ح ٥٦٣) : ديوان . تونس ١٢٨١ هـ (١٨٦٤/٥م)

الزبيدى . محمد مرتضى بن محمد بن عبد الرزاق الحسينى (١٧٩١م) : تاج العروس . بولاق ١٣٠٧ / ٨ هـ (١٨٨٩ / ٩٠ م) ١٠ مجلدات .

الشعراء الستة الجاهليون : ديوان . نشره الفاردت . لندن ١٨٧٠

الطبرى . ابو جعفر محمد بن جرير (٩٢٣ م) : تاريخ الرسل والملوك نشره دي غوية وآخرون . ليدن ١٨٧٩ / ١٩٠٣ . ١٥ مجلدا .

عبد المؤمن بن عبد الحق . ابو الفضائل صفى الدين (١٣٣٨ م) : مراصد الإطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع . نشره جوينبول . ليدن ١٨٥٠/٦٤ . ٦ مجلدات .

قدامة بن جعفر . الكاتب البغدادى . ابو الفرج (٩٢٢ م) : نبذ من كتاب الخراج . نشره دى غوية . المكتبة الجغرافية (٦) ليدن ١٨٨٩ .

القرآن الكريم .

القزوينى . زكريا بن محمد بن محمود (١٢٨٣ م) : كتاب عجائب المخلوقات ـ كتاب آثار البلاد . نشره فيستنفلد ، جوتنجن ١٨٤٨ / ٩ . مجلدان . ونشر كتاب العجائب بالقاهرة عام ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ / ٤ م)

لبيد بن ربيعة . ابو عقيل (٦٦١ او ٦٨٠ م) : ديوان . نشره يوسف ضياء الدين الخالدى . ڤينا ١٨٨٠ .

محمد اديب . (الحاج) . ابن محمد درويش (١٨٠١ م) : نهجة المنازل . استانبول ١٢٣٢ هـ (١٨١٧ م)

المسعودى . ابو الحسن على بن الحسين (٩٥٦ م) : كتاب التنبيه والاشراف . نشره دى غوية . المكتبة الجغرافية (٨) . ليدن ١٨٩٤

المقدسى . ابو عبد الله محمد بن احمد (ولد ٩٤٦ . ألف ٩٨٥ م) :احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . نشره دى غوية . المكتبة الجغرافية (٣) . الطبعة الثانية . ليدن ١٩٠٦ .

المقريزى . ابو العباس احمد بن على بن عبد القادر بن محمد الحسينى تقى الدين (١٤٤٢ م) : ١) المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار . مخطوط . المكتبة الاهلية بڤينا ٩٠٨ . نشره ڤيت . القاهرة ١٩١١ / ١٣ . مجلدان . ترجمه بلوشنيه الى الفرنسية . باريس ١٩٠٨ . ٢) السلوك لمعرفة دول الملوك ترجمه كاترمير الى الفرنسية . باريس ١٨٣٧/٤٥ . مجلدان

النابغة . الذبيانى . زياد بن معاوية (ح.٦٠٠م) : ديوان . نشره ديرنبورج باريس ١٨٦٨ .

النابلسى . عبد الغنى (١٦٤١ ـ ١٧٣١ م) (كتب رحلته ١٦٩٨) : الحقيقة والمجاز فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز . مخطوط . المكتبة الأهلية بڤينا ١٢٦٩

النووى . ابو زكريا يحيى (١٢٧٨ م) : كتاب تهذيب الأسماء واللغات . نشره فيستنفلد . جوتنجن ١٨٤٢ / ٤٧ . مجلدان .

الهمدانى . ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب (٩٤٥ م) : صفة جزيرة العرب . نشره مولر . ليدن ١٨٨٤ / ٩١ . مجلدان

الواقدى . ابو عبد الله محمد بن عمر (٨٢٣ م) : كتاب المغازى . نشره كريمر . كلكتا ١٨٥٦ . ترجمه الى الالمانية ڤلهوزن . برلين ١٨٨٢ .

ياقوت . بن عبد الله الرومى (١٢٢٤ م) : كتاب معجم البلدان . نشره فيستنفلد . ليبزج ١٨٦٦ / ٧٣ . ٦ مجلدات

اليعقوبى . احمد بن يعقوب بن واضح الكاتب (نبغ فى ٨٩١ م) : ١) تاريخ نشره هوتسما . ليدن ١٨٨٣ . مجلدان ٢) كتاب البلدان . نشره دى غوية . الطبعة الثانية . المكتبة الجغرافية (٧) ليدن ١٨٩٢ .

BIBLIOGRAPHY

Agatharchides of Cnidus (2nd Century B.C.) *Periplus* or *De mari erythraeo:* excerpts from Greek text as quoted by Photius and by Diodorus with Latin translation in: Carolus Müllerus, *Geographi graeci minores*, vol. I, Paris, 1882, pp. 110-195.

Assemanus, J. S. *Bibliotheca orientalis*, 4 vols., Rome, 1719-1728.

Biblia hebraica, edited by Rudolf Kittel, 2nd edition, 2 vols., Leipzig, 1913.

Biblia sacra latina veteris testamenti Hieronymo interprete ex antiquissima auctoritate in stichos descripta. Vulgatam lectionem ex editione Clementina principe a. MDXCII et romana, ultima a. MDÇCCLXI repetitam testimonium comitatur codicis amiatini latinorum omnium antiquissimi. Editionem instituit suasore Ch. Car. Jos. de Bunsen, Th. Heyse, ad finem perduxit C. de Tischendorf, Leipzig, 1873.

Blau, O. *Altarabische Sprachstudien*, in ZDMG, vol. 25, Leipzig, 1871, pp. 525-592.

Botta, P. E. *Monument de Ninive découvert et décrit par Botta, mesuré et dessiné par E. Flandin*, 5 vols., Paris, 1846-1850.

Bremond, Gabrielle. *Viaggi*, edited by G. Corra, Rome, 1679.

British Museum, Department of Egyptian and Assyrian Antiquities. *Cuneiform Texts from Babylonian Tablets, etc., in the British Museum*, London, 1896, ff.

Caetani, Leone (Principe di Teano). *Annali dell'Islam*, vol. I, Milan, 1905.

Corancez, L. A. *Histoire des Wahabis depuis leur origine jusqu'à la fin de 1809*, Paris, 1810.

Delitzsch, Fr. *Wo lag das Paradies ?* Leipzig, 1881.

Dhorme, Fr. P. *Les pays bibliques et l'Assyrie (suite)* in *Revue Biblique*, New Series, vol. 7, Paris, 1910, pp. 179-199.

Diodorus Siculus (c. 20 B.C.). *Bibliotheca historica:* Vols. 1-3 edited by Fridericus Vogel, Vol. 4 and 5, edited by Curtius Theodorus Fischer, in *Bibliotheca scriptorum graecorum et romanorum teubneriana*, Leipzig, 1888-1906.

Eusebius of Caesarea (d. 337 or 340). *Onomasticon:* edition by Erich Klostermann entitled *Onomastikon der biblischen Ortsnamen*, in *Die griechischen christlichen Schriftsteller*, Vol. II, Part 1, *Eusebius Werke*, Vol. 3, Part I, Leipzig, 1904.

Glaser, Eduard. Collection of inscriptions in the National Bibliothek, Vienna, collated from the use of the author by Dr. Adolf Grohmann.

Jerome (or Eusebius Hieronymus) (d. 420). *Commentariorum in Isaiam libri duodeviginti*, in: J. P. Migne, *Patrologiae cursus completus, series latina*, Vol. 24, Paris, 1845.

Josephus, Flavius (37-c. 95). *Archaeologia:* edited by Samuel Adrianus Naber, 4 vols., in *Bibliotheca scriptorum graecorum et romanorum teubneriana*, Leipzig, 1888-1892.

Lammens, Henri. *L'ancienne frontière entre la Syrie et le Hidjaz,* in *B.I.F.A.O.* Vol. 14, Cairo, 1918, pp. 69-96.

Layard, A. H. *Inscriptions in Cuneiform Character from Assyrian Monuments,* London, 1882.

Lyon, D. G. *Keilschrifttexte Sargon's, Königs von Assyrien (722-705 v. Chr.); nach den originalen neu herausgegeben, umschrieben, übersetzt und erklärt von Dr. Lyon,* constituting *Assyriologische Bibliothek,* edited by Friedrich Delizsch und Paul Haupt, Vol. 5, Leipzig, 1883.

Malchus of Philadelphia (fl. 5th cent.) Fragments, edited by Carolus Müllerus in his *Fragmenta historicorum graecorum,* Vol. 4, Paris, 1851, pp. 111-132.

Marcianus of Heraclea (c. 400). *Periplus maris exteri,* edited with Latin translation by Carolus Müllerus in his *Geographi graeci minores,* Vol. I, Paris, 1855, pp. 516-562.

Müller, D. H., *Epigraphische Denkmäler aus Arabien (nach Abklatschen und Copien des Herrn Professor Dr. Julius Euting in Strassburg),* in *D.K.A. W.,* philosophisch-historiche Classe, Vol. 37, Part 2, Vienna, 1889, pp. 1-96.

Musil, Alois. *Arabia Petrae:* 8 vols. in 4, Vol. I, *Moab;* Vol. 2 (in 2 parts), Edom ; Vol. 3, *Ethnologischer Reisebericht ;* Kaiserliche Akademie der Wissenschaften, Vienna, 1907-8.

Musil, Alois. *Karte von Arabia Petrae nach eigenen Aufnahmen von Professor Dr. Musil:* scale 1:300,000 ; 3 sheets each 65 x 50 cm., Kaiserliche Akademie der Wissenschaften, Vienna, 1907.

Musil, Alois. *Kusejr 'Amra* in *Kusejr 'Amra,* Vol. I, Vienna, 1907, pp. 3-186.

Musil, Alois. *Umgebungskarte von Wadi Mûsa (Petra) :* scale 1:20,000, Kaiserliche Akademie der Wissenschaften, Vienna, 1907.

Notitia dignitatum : accendunt notitia urbis Constantinopolitanae et laterculi provinciarum, edited by Otto Seeck, Berlin, 1876.

Pliny (C. Plinius Secundus) (d. 79). *Naturalis historia,* edited by C. Mayhoff, 2nd edition, 6 vols., Leipzig, 1892-1909; see also D. Detlefsen, editor, *Die geographischen Bücher (II, 242-VI Schluss) der Naturalis historia des C. Plinius Secundus mit vollständigem Kritischen Apparat* (constituting *Quellen und Forschungen zur alten Geschichte und Geographie,* edited by W. Sieglin, Vol. 9), Berlin, 1904.

Procopius of Caesarea (c. 560). *De bello persico,* edited by Jacobus Haury in *Bibliotheca scriptorum graecorum et romanorum teubneriana,* Leipzig, 1905.

Ptolemy (Claudius Ptolemaeus) (c. 150). *Geographia:* edited by C.F.A. Nobbe 3 vols., Leipzig, 1843-1845; bks. I-V edited with Latin translation and atlas, Vol. I, Part 1, by Carolus Müllerus, Paris, 1884; Vol. I, Part 2, by C. Th. Fischer, Paris, 1901.

Ravenna Geographer, The Anonymous (7th cent.). *Cosmographia* edited by M. Pinder and G. Parthey in their *Ravennatis anonymi Cosmographia et Guidonis Geographica,* Berlin, 1860, pp. 1-445.

Rawlinson, H. C. *Cuneiform Inscriptions of Western Asia,* 5 vols., London, 1861-1884.

Rost, Paul. *Die Keilschrifttexte Tiglat Pileser III, nach den Papierabklatschen und Originalen des Britischen Museums,* 2 vols., Vol. I, *Einleitung, Transcription und Ubersetzung, Wörterverzeichnis und commentar ;* Vol. 2, *Autographierte Texte,* Leipzig, 1893.

Schrader, Eberhard, editor. *Keilinschriftliche Bibliotek: Sammlung von assyrischen und babylonischen Texten in Umschrift und Uebersetzungen...,* Berlin, Vol. I, 1889; Vol. 2, 1890; Vol. 3, Part I, 1892; Vol. 3, Part 2, 1890; Vol. 4, 1896; Vol. 5, 1896; Vol. 6, Part I, 1900.

Seetzen, U. J., *Beiträge zur Geographie Arabiens,* in *Monatliche Correspondenz zur Beförderung der Erd-und Himmelskunde,* edited by F. von Zach, Vol. 18, Gotha, 1808, pp. 374-393.

Septuagint, The: edited by Henry Barclay Swete, *The Old Testament in Greek According to the Septuagint,* 2nd edition, 3 vols., Cambridge, 1891-1895.

Stephen of Byzantium (c. 600) *Ethnica :* edited by August Meineke, *Ethnicorum quae supersunt,* Vol. I (all published), Berlin, 1879.

Strabo (c. 63 B.C. — c. 19 A.D.) *Geographia:* edited by August Meineke, in *Bibliotheca scriptorum graecorum et romanorum teubneriana,* 3 vols., Leipzig, 1907-1913.

Tabula Peutingeriana (12th century MS copy of Roman map of time of the Empire) : photographic edition in 11 sheets entitled *Peutingeriana Tabula Itineraria... nunc primum arte photographica expressa,* Vienna, 1888.

Theophanes (c. 758-818). *Chronographia,* in: J. P. Migne, *Patrologiae cursus completus..., series graeca,* Vol. 108, Paris, 1861, cols. 55-1010.

Thevenot, Jean de (1633-1667). *Voyages en Europe, Asie et Afrique,* 5 vols., Paris, 1689.

Uranius. *Arabica:* edited by Carolus Müllerus in his *Fragmenta historicorum graecorum,* Vol. 4, Paris, 1851, pp. 523-526.

Varthema, Ludovico di. *Itinerario:* English translation entitled *The travels of Ludovico di Varthema... A.D. 1503 to 1508, translated... by John Winter Jones... and edited by George Percy Badger* (constituting vol. 32 of the Hakluyt Society Publications, First Series) (London, 1863.

Velenovsky, J. *Arabské rostliny Z. posledni cesty Musilovy r. 1915. Plantae arabicae ex ultimo itinera A. Musili a. 1915 :* in *Vestnik kràl ceké spokecnosti nauk. Tride II. na rok 1921-1922 (M.S.R.S.B., Classe des Sciences,* 1921-1922), Prague, 1923.

Velenovsky, J. *Plantae arabicae musilianae : in Vestnik kral, ceske spolecnosti nauk (S.K.B.G.W.)(1911, No. II,* Prague, 1912.

Winckler, Hugo. *Die Keilschrifttexte Sargon's nach den Papierabklatschen und Originalen neu herausgegeben,* 2 vols. Vol. I, *Historischsachliche Einleitung, Umschrift und Ubersetzung, Wörterverzeichnis;* Vol. 2, *Texte, autographiert* von Dr. Ludwig Abel, Leipzig, 1889.

Winckler, Hugo *Keilinschriftliches Textbuch zum Alten Testament,* 3rd edition, Leipzig, 1909.

الفهرس الابجدى

« تصويب »

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣	٢٥	عزيا	عزيا
٨	١	Rawilson	Rawlinson
٨	٢٢	واحدة	واحة
١٣	٢٦	هو	هي
١٥	٢٦	انهم	انهم .
١٩	١	يوضع هذا العنوان أسفل السطر الأول (ا ـ سعير والشراة)	
٢٦	٢٢	المقدس	المقدسي
٣٦	١٩	سطر مكرر نرجو حذفه .	
٥٩	١٧	Rawilson	Rawlinson
٦٠	١٣	حلفائهم	حلفاءهم
٦٣	١٩	اصطحبوا	اصطحبوا
٦٦	١	الأدوميون	الأدوميين
٧٥	٣	رجلال	رجلا
٧٦	٢٧	المدينين	المدينيين
٧٩	٢٦	يجدّ	يجدُ
٩١	١١	واللتان	واللتين
١١٢	١٦	حليج	خليج
١٢٧	١٢	Thimancans	Thimancans
١٣٢	١٠	« »	« d »
١٣٧	٢٦	ان	ان
١٤٦	١٦	دى غرية	دى غوية
١٤٨	٤	اى	الى
١٥٦	٢	باسمائها	باسميهما



